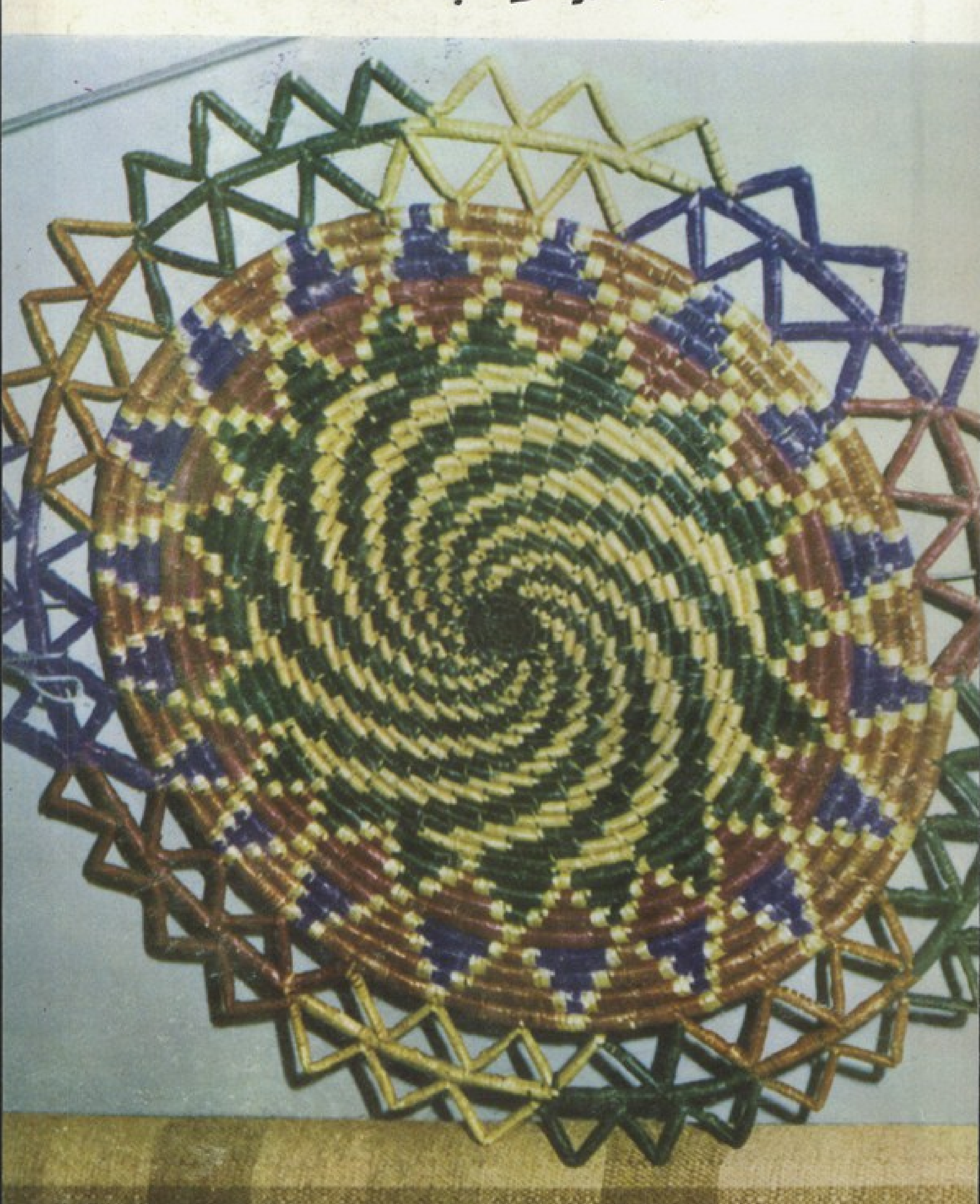
الفنون الشعبية

العدد الحادي عشر • آب ١٩٧٦



الفنون الشعبية

مجلة متخصصة تصدر كل ٣ أشهر عن
دائرة الثقافة والفنون
عمـان ـ الاردن
ص٠ب ٦١٤٠

العدد الحادي عشر آب ١٩٧٦

الموزعـون
وكالة التوزيع الاردنية ـ عمان
هاتف ٣٠١٩١ ـ ص٠ب ٣٧٥

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ـ هاتف ٣٧٧٧١

ثمن النسخة في الاردن ٩٠ فلسا
الاشتراك السنوي (أربعة أعداد) ٥٠٠ فلس

في هذا العدد

لابد من التمييز بين استعمال الوثيقة الفولكلورية لغرض اعداد بحث ، أو الاستشهاد بها لاثبات فرضية ، وبين الحفاظ على هذه الوثيقة لتكون مرجعا لكل الدارسين في المستقبل . ان استعمال الوثيقة لمرة واحدة ثم التخلص منها يبقي لدى الأجيال التي ستدرس الموضوع في المستقبل وجهة نظر واحدة هي نتيجة استقراء واحد . والمعروف ان أي قضية يمكن أن ينظر اليها من أكثر من جانب ، كما يمكن استنباط أمور جديدة منها كلما درست بعد مرور زمن عليها وتوفرت مناهج بحث جديدة .

وهكذا يصبح من الضروري جدا الحفاظ على الوثائق الفولكلورية بشتى أنواعها ، وخاصة ان هذه الوثائق تتعرض اكثر من غيرها للتلاشي في خضم الحياة بسبب التطور الحضاري والانتقال من سمة حضارية الى اخرى .

ان من أهم وأبرز الوثائق الفولكلورية التي يجب الحفاظ عليها هي الاداة الفولكلورية التي استعملها



الانسان في الوسط الشعبي كأداة حياة يومية في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه . ثم تأتي هناك الوثائق الصوتية التي تسجل : الاغاني ، الموسيقى الشعبية ، اللهجات وافادات حملة التراث . ومن أنصع وأهم الوثائق التي يجب حفظها الأفلام التي تصور بأوضح صوره نشاطات الحياة الشعبية أثناء الأداء والممارسات اليومية .

وفوق ذلك فهناك الوثائق المكتوبة التي تبين نماذج شتى من نسخ النصوص الشعبية في المراحل الزمنية المختلفة . ومن هذه النصوص ما يحمل وهجا خاصا على أنه دون في فترة مبكرة ، وعلى الأخص ما دونه باحثون عرب وأجانب في أواخر القرن التاسع عشر ..

ومن الوثائق المكتوبة ما خلفه باحثون عرب واجانب وتركوه بشكله المخطوط ، ومنها ما نشر بلغات اجنبية وفي دوريات ألمانية وروسية وفرنسية يندر من اطلع عليها واخذ علما بما تناوله أولئك الباحثون من نصوص فريدة . ويكفي تلك النصوص أهمية أنها دونت بثلاث من وسائل الكتابة في آن واحد وفي نفس المكان ، وهذه الوسائل هي :

١ ـ الكتابة بالحرف العربي وباللغة العربية .

٢ ـ الكتابة بالحرف اللاتيني مع نظام خاص للنطق يؤدي للفظ الأصلي التي تم أداء النص به .

٣ ـ الكتابة بالحرف اللاتيني وباللغة الانجليزية ، ومن تلك النصوص التي حظيت بذلك الاهتمام ما نشره هنري شبير ونصر الله حداد عن اشعار «نمر عدوان» .(١)

ان حفظ هذه الوثائق وصيانتها والعناية بها لهي مهمة أساسية وضرورية لتكمل أية مجهودات أخرى في احياء التراث .

سكرتير التحرير

(١) تراجع الدوريات : ZDPU, PJB, JAOS, JPOS.

صناعة الفرو ونسيج بيت الشعر في حمص

تمارس هذه الصناعة اليدوية عائلات حمصية توارثت الحرفة حتى وقت قريب جداً الا انها كبقية الصناعات اليدوية التقليدية المتراجعة تضاءل عدد ممثليها وهم اليوم ستة حرفيين يعملون على اربعة انوال بينما كان يوجد قبل ثلاثين عاما اكثر من خمسة عشر نولا يدويا • ومن تقاليد هذه الحرفة انها لم تكن يوما متمركزة في سوق واحدة ، ويتواجد اليوم اربعة حرفيين من اصل ستة ويعملون في مشغلين قريبين من بعضهما ويقعان في احد شوارع السوق الرئيسية لحمص •

صناعة نسيج بيت الشعر هي حرفة يدوية موسمية يبدأ موسمها عند قص شعر الماعز في نيسان وينتهي بحلول عيد الصليب[1] ، وخلال الموسم يحضر الزبون (البدوي) شعر الماعز المقصوص ويسلمه الى الحرفي ليقوم الاخير بنسجه على شكل (شغة ، لفظ بدوي) والشوة كما يسميها حرفيو هذه الصناعة هي المنتوج الوحيد للنول اليدوي الذي يعملون عليه وهي عبارة عن سياق من النسيج يبلغ متوسط عرضه (٧٥ سم) ويختلف طوله تبعا لرغبة الزبون •

ادوات العمل :

يستعمل في هذه الحرفة نوعان من الادوات الغزل والنوع الثاني هو ادوات النسيج •

---

(١) بانتهاء عيد الصليب ينتقل عرب البادية الرحل من البيت الغياضي (الصيفي) الى بيت الشعر (البيت الشتوي) •

اولا ـ ادوات الغزل

١ ـ الدولاب ويسميه الحرفيون الدولابي من دولاب ثنائي الواجهة (انظر الى الشكل رقم ١) ، يبلغ قطره (٤٥ سم) وهو مثبت على خشبة





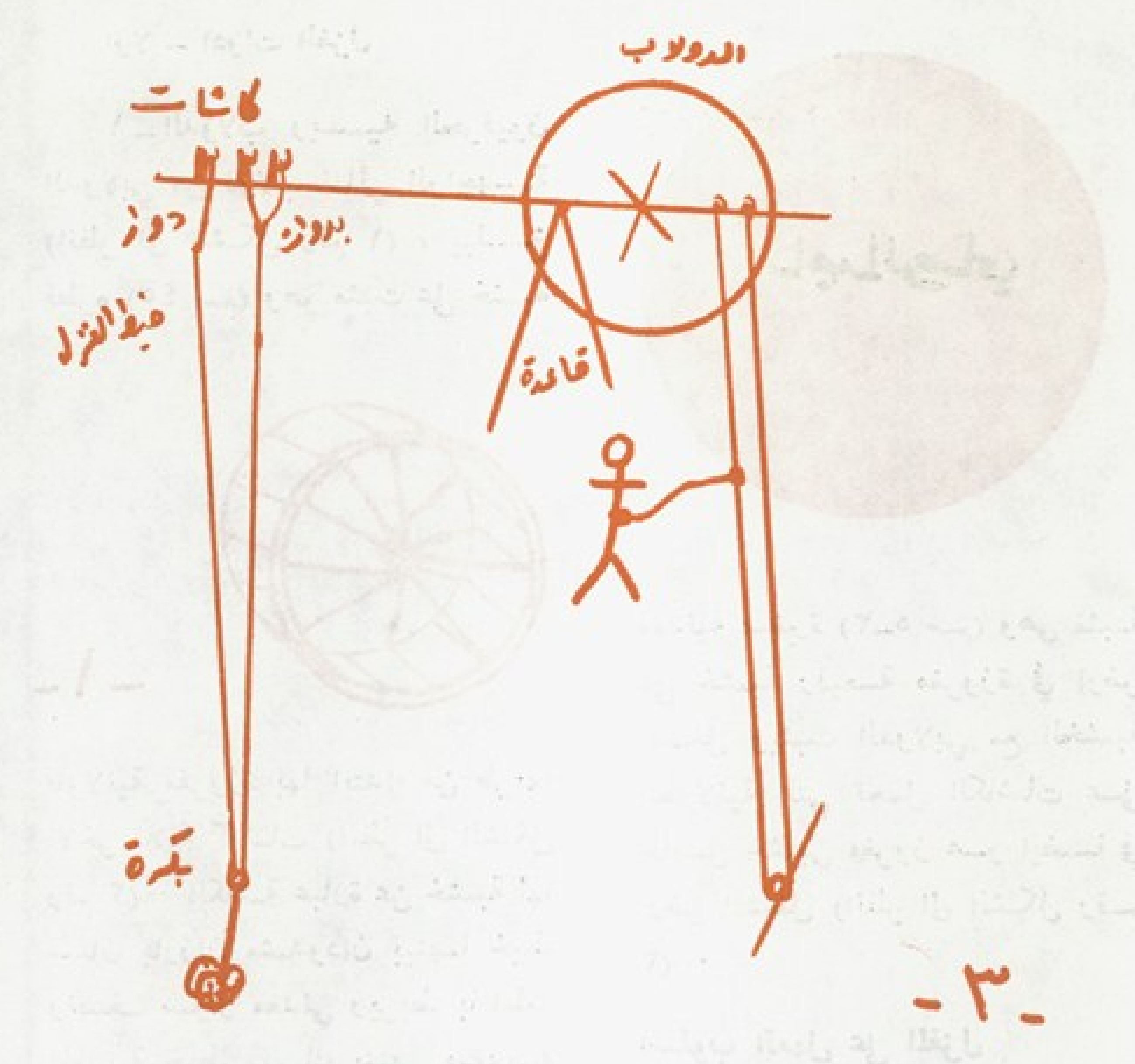
-١-

طولانية مفروزة بها ابتداء من طرفها الاخر ثلاثة كاشات (انظر الى الشكل رقم ٢) . الكاشة عبارة عن خشبة لها سنان بارزان مشدودان بينهما خيط ونصف سوار معدني ويربط بالقطعة المعدنية خيط سميك ينتهي بمقدمة شعرية (بداية خيط الشعر المجدول) ويثبت على طرف الخشبة الاخر دولابان مربوط بهما خيط سميك يدور في الطرف الاخر (اي على بعد من ٦ ـ ٨ م) وبلفة واحدة حول حلقة معدنية صغيرة (٣ـ٥ سم) وهي مثبتة على خشبة رفيعة مغروزة في ارض المشغل ويثبت الدولابي مع الخشبة الطولانية التي تحمل الكاشات على حامل خشبي مغروز هو ايضا في ارض المشغل (انظر الى الشكل رقم ٣) .

اسلوب العمل على المغزل

يقف المعلم امام الدولابي حاضنا لفة شعر الماعز المقصوص بين اليد اليسرى وصدره ويصل عقدة الحبل الملفوف حول بطنه بالخيط المشدود بين البكرات ويبدأ عندها عملية





مزدوجة ففي الوقت الذي يصل فيه بين شعر الماعز من اللفة على شكل رزمة صغيرة ورفيعة مع خيط البدوات المربوطة بالكاشات يرجع الى الوراء ببطء فيتحرك الخيط المشدود بين البكرات ويدور بدوران الدولابي وينمو خيط الغزل وعندما يصل الصانع الى نهاية خط مسار الخيط المشدود بين البكرات يعلق خيط الغزل النامي بطرف سن مشدودة على بكرة مثبتة على الجدار ويمر فيها خيط يصل السن بثقل حجري وذلك للحفاظ على ثبات خيط الغزل النامي معلقا وتسمى الاداة بالكولابة ثم يبدأ الصانع بالتحرك نحو الامام مكملا انماء خيط الغزل وهكذا يصنع خيط الغزل ويلف حول مكوك (قطعة خشبية طولانية يبلغ متوسط طولها ٥٠ سم) ويدعى المكوك بقضيب اللف · يحتاج الصانع الى اكثر من سنة لكي يتقن عملية غزل الخيوط ·

ثانيا ـ ادوات النسيج

١ ـ النول ويتألف من الفخذين والزند والآنونة (قانونة) وقاعدة تسمى بالكليخة التحتانية وعارضة

علوية مقابلة تدعى بالكليخة الفوقانية (انظر الشكل رقم ٤) وتثبت الآنونة بالزند بواسطة (الاشي) .

وتوجد عند اتصال الكليخة بالفخذ قطعة خشبية لتنزيل او رفع النسيج وتدعى بالمصة كما وتوجد عند نهاية النول عارضة خشبية واطئة وهي مثبتة من الجانبين وتدعى ايضا بالمصة ويدور حولها النسيج كما وتوجد قطع خشبية مثبتة في ارض المشغل بين المصة والكليخة وتسمى بالغرز ومثبت عليها عاضة خشبية تسمى بالمعبر وتستعمل لتحديد طول سياق النسيج .

٢ ـ قضيب اللف او المكوك ، ورد وصفه اعلاه (انظر الى الشكل رقم ٥) .

٣ ـ المشط : شكله طولاني وهو مصنوع من الحديد ويبلغ طوله حوالي (٤٥ سم) ووزنه (٣٫٥ كغ) يستعمل لدق الحدفة ولسك الخيوط مع بعضها ، وله قبضة خشبية (انظر الى الشكل رقم٦) .

٤ ـ السيف وهو قطعة خشبية تشبه السيف يبلغ طولها (١١٠ سم) وتستعمل هذه الاداة للتفريق بين خيوط السدي (انظر الى الشكل رقم ٧) .

٥ ـ المتيت ويتألف من قطعتين خشبيتين طولانيتين متداخلتين في بعضهما ومربوطتان ببعض بواسطة خيط متين ويوجد على كل طرف من المتيت مسمارين وتستعمل لشد سياق النسيج نحو الخارج اي منعه من الانحناء اثناء العمل (انظر الى الشكل رقم ٨) .

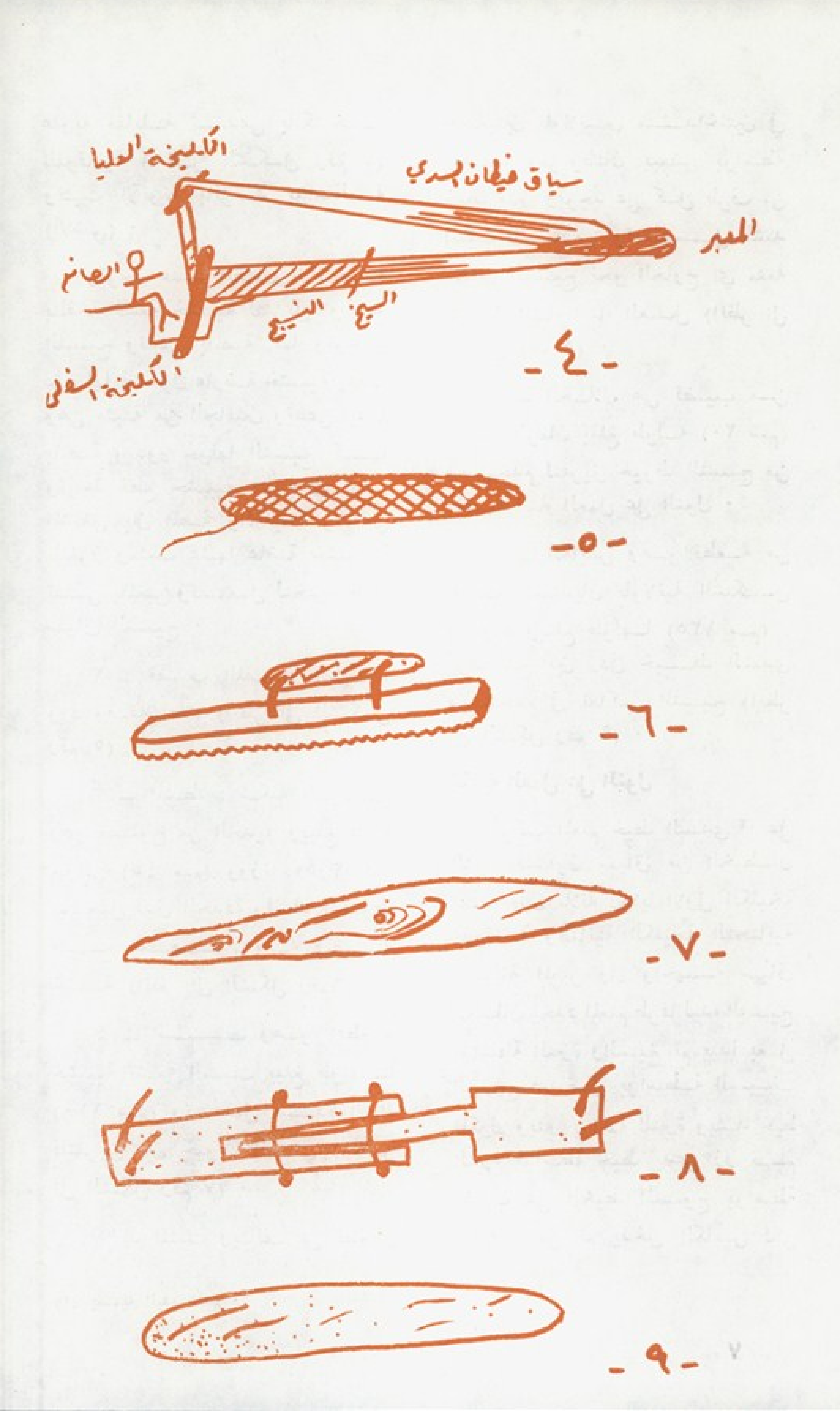
٦ ـ الخلال هي قضيب من خشب الرمان يبلغ طوله (٢٠ سم) ويستخدم لتفريق خيوط النسيج من بعضها اثناء العمل على النول .

٧ ـ الكابس وهو قطعة من خشب السنديان طولانية الشكل ومدورة ويبلغ طولها (١٢٥ سم) ، يوضع بين ردفي خيط السدي ويستخدم في تعاكس النسيج (انظر الى الشكل رقم ٩) .

كيفية العمل على النول

يركب المعلم خيط السدي[٢] على النول فيتكون سياق من الخيطان يمتد حول ثلاثة زوايا الاولى الكليخة الفوقانية والثانية الكليخة التحتانية والثالثة المعبر وفي واجهة سياق الخيطان يحدد المعلم طرفا لبدء النسيج بواسطة النيرة والسيخ ثم يبدأ بعمل النسيج فيدخل بواسطة السيف المكوك وينير بواسطة النيرة ويشد خيط النيرة بواسطة خيط يدعى زر ثم يضرب على الخيط المنسوج بواسطة المشط ومن ثم يدخل الكابس لكي

(٢) يسميه البدو المدد .


الكلبجة العليا
سياق خيطان السدي
المعبر
الصانع
السيخ
النسيج
الكلبجة السفلى
-٤-
-٥-
-٦-
-٧-
-٨-
-٩-

يفصل الخيطان المتناوبة للمدد الى ردفين ويتابع ادخال المكوك من جديد ويقرب بعدها خيطان المدد الخلفية الى الامام ويبعد الردف الامامي الى الخلف بواسطة الكابس من جديد واثناء ذلك يضرب من جديد بالمشط على سياق النسيج ومن الاعمال المرافقة لنمو سياق النسيج استخدام المتيت او الزيار (انظر الى الشكلين رقم ٨ و ١٠) ٠

وهكذا ينمو النسيج ويدور السياق حول الزوايا الثلاثة (الكليخة العليا والكليخة السفلى والمعبر) الى ان ينتهي النسيج عند السيخ من جديد وبذا يتم نسج السياق بكامله ٠

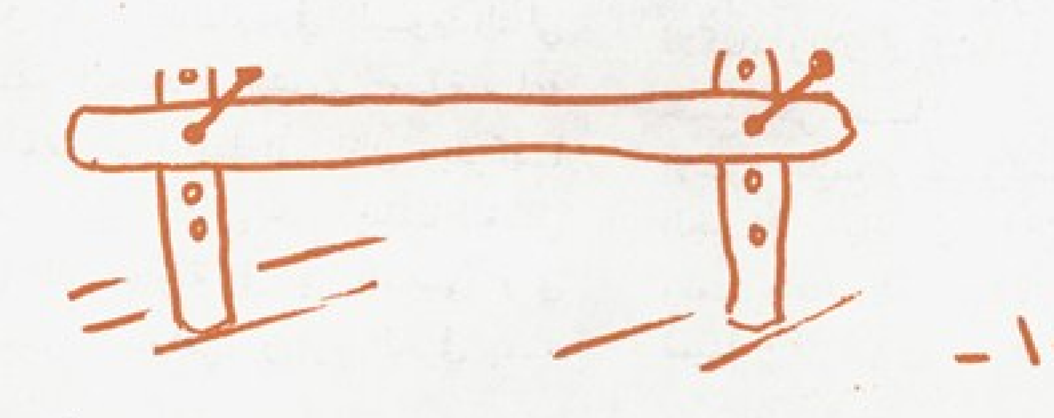
يحتاج الصانع الى حوالي ثلاثة اشهر لكي يتعلم العمل على نول صناعة الشوغة ويستهلك نسيج الشوغة اليوم عرب البادية فقط بينما كان اطار المستهلكين قديما اوسع منه اليوم فكان الذوات والباشاوات يستخدمون الشوغة كمدد لدرج البيت كذلك فقد كان يخاط نسيج الشوغة ويصنع منه العلايق للدواب والشلايف (الشليف لنقل الخضار والفاكهة) وقد استعمله ايضا بائعي الزيوت لتصفية الزيت ٠

لصناعة الفرو تقاليد موروثة وسوق خاصة بها تدعى بسوق الفرو ٠

كانت هذه الصناعة اليدوية حتى الستينات من هذا القرن احدى الصناعات التقليدية الهامة بالنسبة لمدينة حمص الا انها تراجعت ايضا كغيرها من التقاليد اليدوية الشعبية لاخرى بشكل ملحوظ ، لكن تراجعها كان يتم ببطء شديد فقد كان يمثل حرفة صناعة الفرو منذ ربع قرن اكثر من ثلاثين معلما ويمثلها اليوم فقط (٢٠) معلما يعملون في اكثر من عشرة مشاغل ٠

الادوات التي يستعملها حرفيو صناعة الفرو :

١ ـ التسكاية وتتألف من قطعة خشبية طولانية يثبت احد طرفيها في احد الجدار ويثبت الطرف الاخر بواسطة قطعة خشبية في جدار ملاصق ويثبت حبل على الخشبة



-١٠-

الطولانية من طرفيه (انظر الى الشكل رقم ١) ٠

٢ ـ الدنؤ يتألف من قضيب حديدي معقوف وله قبضة خشبية يوجد عندنهايتها ثقب تمرز منه مرسة وينتهي طرفاها بجلدة يضع الصانع رأس قدمه عليها (انظر الى الشكل رقم ٢)

٣ ـ القظأ وهو عبارة عن سكين للكشط لها نصلة حادة بشكل نصف دائرة وقبضة خشبية (انظر الى الشكل رقم ٣) ٠

٤ ـ الأجأ وهو كذلك سكين للكشط لها نصلة غير حادة وقبضة خشبية (انظر الى الشكل رقم ٤) ٠

المشط ويتألف من قطعة حديدية لها نصلة مسننة كالمنشار وقبضة خشبية (انظر الى الشكل رقم ٥) ٠

٦ ـ حجر ماء ويستعمل لمعاملة القظأ ٠

كيفية الصناعة

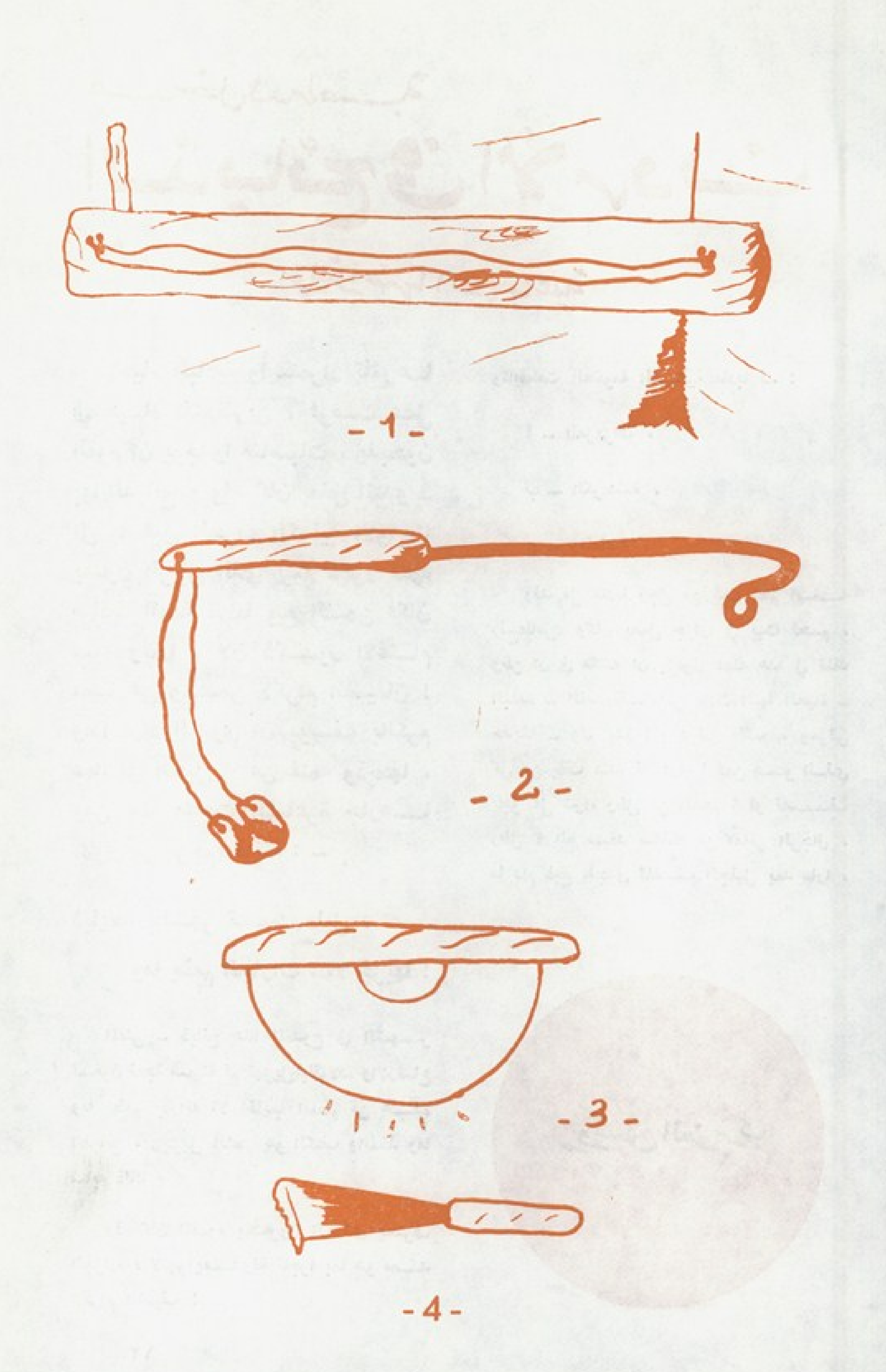
يحضر الفرواتي جلود الاغنام من مسلخ المدينة او يشتريها من المضحين في عيد الاضحى المبارك ويقوم بتمليحها فيضع لكل جلد نصف كغ من ملح الطعام وفي اليوم التالي ينشر الجلود في الشمس مدة ساعة واحدة ثم ينقلها الى الظل ويتركها حتى اليوم التالي حيث ينقلها للغسل في الماء الجارية (في نهر العاصي او في احدى السواقي) ويقوم الحرفي بعد ذلك بتمليحها للمرة الثانية فيضع لكل جلد نصف كغ من ملح الطعام المخلوط مع الشب (الشبة) ويترك الجلود بعدها مدة شهر ترش بالماء ثلاث مرات خلال ثلاثة ايام ٠

تحضر الجلود بعدها الى المشغل ويبدأ المعلم ببشرها بالأجأ ثم بالقظأ ويجعلها طرية بواسطة الدنؤ ، وتفصل الجلود بعد ذلك الى قطع للخياطة ٠

يخيط الفرواتي قطع الجلود المفصلة الى فروات تباع لعرب البادية يحتاج الصانع سنة كاملة لكي يتعلم مهنة تحضير الجلود وخياطتها الى فروات وقد تطول مدة التعليم وهذا يتعلق بذكاء الصانع ودرجة اتقانه للعمل ٠

الفروة

يلبسها البدو في فصل الشتاء وكذلك يلبسها عدد ضئيل من الفلاحين وهي عبارة عن معطف بطانته من جلد الغنم وتتألف الفروة من ثلاثة قطع من قماش الكتان الاسود تخاط بحيث تشكل احداها الظهر وتشكل القطعتين الآخرتين الصدر وتبطن كما ذكرنا اعلاه بجلد الغنم من مواصفات الفروة انها تفتقد للاكمام والازرار الامامية ويخاط على جميع اطرافها ابزيم من الحرير الاسود اللامع ويصل سعر الفروة الجيدة احيانا الى (٣٠٠ ل ٠ س) وتعتبر عند لابسيها قطعة لباس ثمينة ٠



- 1 -
- 2 -
- 3 -

مدخل لدراسة

الذبائح في الأردن

واغراضها الاجتماعية (١)

حياة البادية واستمرار تأثيرها في حياة المتحضرين ، فرضت على القوم ان يوجدوا مناسبات ، يذبحون بها الذبائح . وقد كان بعض البدو – الى ما قبل الحرب الكونية الاولى[٢] يعدون الرجل الذي يبيع ذكور غنمه ساقط الهمة ، اما بيع السمن فكان سبه وعارا ، لان ذكور الاغنام معدة هي والسمن لاكرام الضيفان ! واذا اراد البدوي ان يوصف بالكرم عمد الى الحيل[٣] من غنمه وذبحها ، ومن هنا مدحت الشاعرة جارها (روق بن ترجم) قائلة : –

ذبايحه بالشهر تسعين حايل ،

وما يطعم الجارات ، الا جزيها !

المعنى – ذبائح هذا الممدوح في الشهر تسعون نعجة سمينة لم تهزيل بالولادة والارضاع وما يطعم جاراته الا اطايب اللحم من هذه الذبائح ، وجزيل اللحم هو الكتف والفخذ وما شابه ذلك .

وقد كان القوم يحتقرون الذي يحترف الجزارة ، لانهم يعدونه تاجرا بما هو معد لاكرام الضيف !

ولما اقطعت الحكومة العثمانية مادبا لـ :

أ – العزيزات ،

ب – الكرادشة ،

ج – والمعاعية ،

وفد على مادبا رجل من بيت لحم اسمه (نسطاس) وكان يعمل جزارا في بيت لحم ، وظن ان في مكنته ان يزاول عمله هذا في تلك البلدة – القديمة – التي عادت اليها الحياة – حديثا – ولم يدر انه عرض نفسه ، وعرض كل من يقف عنده للازدراء ! فمن هو الذي يجرؤ على شراء رطل من اللحم ؟ او نصف رطل ؟ انه سيعد ساقطا من معاني الرجال ، ما دام ذبح الجدي للضيف الجليل يعد عارا ،



فقد كانوا يقولون : «سبع الردي ، ولحم الجدي ! » .

واتفق ان حل في مادبا جماعة من المحتالين الصواغين ، ادعوا انهم يستطيعون ان يحولوا الليرة الذهب ليرتين ، فاقبل عليهم الناس خفية ، لا احد يعلم الآخر ، وكان في عداد ضحاياهم هذا الجزار ، (نسطاس) الذي اعطى المحتالين حمارا له ليحولوه حمارين ، فهجاه شاعر مادبا المشهور (سالم القنصل) قائلا :

(نسطاس) بياع اللحم بالوقية
حقيقة وانه يتم بالسجن مطروح

تعطي حمارك ينسكب ياعفية
يصير حمارين ويتم به روح ؟

ومعنى البيتين : نسطاس الذي بلغ اقصى حدود الحضارة الاجتماعية ، واحترف بيع اللحم بالاوقية ، كان من ضحايا الاحتيال ، حقيقة لو كان لي ان احكم عليه لحكمة عليه بالسجن مؤبدا !

ثم يلتفت الى نسطاس هذا قائلا : «ايها التافه الحقير تعطي حمارك للمحتالين ليسكبوه لك ، يا ارزل خلق الله — تعطيهم اياه يصيروه لك ، يا ارذل خلق الله — تعطيهم اياه يصيروه حمارك روح ؟ .

فقد وازن بين غباء نسطاس وبين احترافه بيع اللحم مزعا ، وخرج بنتيجة ان نسطاس من حثالات المجتمع ، بسبب حرفته لك .

فما دام الامر كذلك ، فلا بد اذا من ابتكار طريق توفر للقوم اللحم ، وهذه الطرق ، هي المناسبات التي توجب عليهم ذبح الذبائح ، لتكون ولائم ، يدعى اليها رجال الحي ، ولا اقول النساء ، لان المجتمع البدوي كان مجتمع رجال ، ولان المراة لم يكن يسمح لها بان تؤاكل زوجها ، ومن اشنع ما يعير به الرجل قديما ، ان يقال له : « سبعة ،مواكل حرمته ! » .

اصناف الذبائح :

● ذبيحة البيت :

وهي شاة ، يذبحها الرجل الذي يريد ان ينصب له بيتا من الشعر جديد ويسمونها : ذبيحة الواسط ، وذبيحة الطنوب ، مفردها (طنب) بطاء مضمومة بعدها نون ساكنة تميل نحو الضم ، بعدها باء ساكنة .

وقد وهم المرحوم الارشمندريت (بولس سلمان) — المطران فيما بعد ، اذ جعل ذبيحة الواسطة غير ذبيحة البيت ، ذكر ذلك في كتابه (خمسة اعوام في شرق[٤] الاردن) وقد نقدنا هذا الكتاب عند صدوره — في مجلة الاخاء لصاحبها المرحوم سليم قبعين وكانت تصدر في القاهرة[٥] والمطران المرحوم معذور اذا وهم في امور تخص البادية ، لانه لم يكن يدري ان البدو اذا قالوا: «البيت» عنو بذلك بيت الشعر ، وبيت الشعر ، لا يقوم عل غير الواسطة .

● ذبيحة البيدر :

وهي شاة ، كانوا يذبحونها عند الانتهاء من دراس البيدر ومنهم من كان يذبح شاة عند البدء بالدراس ، وشاة عند الانتهاء منه .

اما اليوم فانهم اخذوا يستعيضون عن هذه الذبيحة بما يسمونه : «صالح الخليل» — الصالح عند الارادنة مذكر ، والخليل هو ابراهيم ، خليل الله — .

فالمسلمون يعطون هذه الصالح للفقراء .

والنصارى يعطونها للكنيسة ، وليس الامر مقصورا عل صالح واحدة

● ذبيحة الباطون :

هذه تسمية حديثة ، نشئت بعد ان صار القوم يبنون بيوتا ويسقفونها بالاسمنت المسلح (الخرسانة) بدلا من الخشب والقصب والبلان والطين ، وكانوا قديما يسمونها ذبيحة العقد ، لما كانت الدور مؤلفة من مجموعة قناطر ، وكانت تذبح قرى ، للذين يتبرعون بمساعدة صاحب البناء مساعدة مجانية • وهناك من كان يذبح ذبيحة عند حفر اساس الدار ، وكانت تسمى ذبيحة الساس ـ تحريفا لكلمة ـ الاساس • وذبيحة الاساس هذه اصلها ترضية للجن الذين يملكون الارض كلها كما كانوا يعتقدون وعامة الارادنة ، يسمون الجن ملايكة الله ، تفاؤلا فعندما يذبحون هذه الذبيحة كانوا يقولون : « هذي ذبيحتكم ياملايكة الله ، لا تاذونا ، ولا ناذيكم ! » •

● ذبيحة الجورعة :

ومعنى الجورعة في لهجة الارادنة ، النهب ، الذي لا يعاقب عليه ، فقد كان المزارعون يبقون في الحقل قسما من المزروعات ، لينهبه ملقطو السنابل من الفقراء زكاة وتقربا الى الله • وصار الاغنياء يذبحون للحصادين شاة عند انتهاء الحصاد ، فسموها استعارة (جورعة) •

وفي نهار الجورعة يحق لكل ملتقط سنابل ان ينهب من الزرع الذي تركه اهله برضاهم ، يحق له ان ينهب ما يستطيع الحصول عليه ويحق لرعاة الاغنام ان يدخلوا اغنامهم في الزرع الذي ترك قائما في الحقل • ولعل المقصود من الجورعة ، اخراج نفوس الفقراء من اموال الاغنياء ، فهذا الجزء متروك للنهب ، بمنزلة الزكاة يتبرع به صاحب المزروعات تبرعا ، لوجه الله •

● ذبيحة الجاهة :

ومنهم من يقول : «ذبيحة الوجاهة •» كلمة جاهة من الجاه ـ المنزلة الاجتماعية ـ والجاهة جمهور من الوجهاء يذهبون لخطبة عروس ، او لحل مشكلة كالقتل او الاعتداء على العرض ، او اهانة وجيه معروف ، وفي الحالة ، لا بد من ذبيحة تصنع منها ولـ لهذا الجمهور ، وتدعى ذبيحة الجاهة •

● ذبيحة الحلية :

واسمها الحقيقي ـ افتاحة المنجل ـ تذبح عند البدء بالحصاد • ويستعيض فقراء الفلاحين عن هذه الذبيحة بثريد من الخبز الفطير يثردونه بذوب الجميد ـ الاقط ـ ويسـ عليه السمن ، او يثردونه بذوب التمر بذوب القمر دين ، ويفيضون عليه زيت الزيتون او السمن ـ ان وجد ـ وقد وهـ سيادة المطران (بولص سلمان) في كتابه خمسة اعوام في شرق الاردن ، فلم يذكر الاسم الحقيقي الذي هو (افتاحة المنجل !) •

ويسمونها (الحلية) ، يذبحها العريس نفسه قبل ان يدخل خدر عروسه (البرزة) قائلا : «حلي حللك الله ،» ثلاث مرات • وقد اهمل النصارى هذه العبارة واكتفوا بذبح الحلية بلا كلام ! •

اذكر ان سيادة المرحوم المنسينور (يوسف مرقص) الذي بارك زوجي في معبد بطريرك اللاتين في القدس ، في ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٣ سألني قائلا : «ماذا تضمون من الاحتفالات بعد الاكليل ؟» •

«اجبت: تذبح ذبيحة الحلية !» •

قال : ـ « ما معنى هذه الذبيحة ، وما الغاية منها ؟» •

اجبت : ـ معناها ان العريس يتوسل بها

الى الله ان يجعل زواجه بها الفداء ، ولعلها اشارة الى اتقاء غضب الله الذي صبه على فرعون مصر يوم اراد ان يتزوج (سارة) • زوجة (ابراهيم) الخليل كما ذكرت التوراة ! •

قال : « وهل تعتقد ان عروسك لا تحل لك الا اذا ذبحت الحلية ؟» •

قلت : «لا اعتقد ذلك • لكنها عادة درج عليها القوم ، فهي تقدم عشاء للذين يسهرون مع العريس ! » •

فطلب مني ابطالها ، وقد حاولت ، لكن اهلي الحوا علي بشدة ، فامررت الخنجر على رقبة الشاة ،ولم اذبحها ، فتولى غيري ذلك وما زال الارادنة يذبحون هذه الذبيحة ، لا فرق بين مسلميهم والنصارى •

● ذبيحة الحنا او الفاردة :

تذبح هذه الذبيحة ، في النهار الذي يسبق الكتاب عند المسلمين ، ويسبق الاكليل عند النصارى • والفاردة هي مجموعة من النساء يحملن ثياب العروس ، ويسرن من دار العريس الى دار العروس وهن يغنين وكل ثلاث منهن مقنعات بعباءة سوداء واحدة ويسمون هذه المجموعة من النساء الفاردة او الفرادات.

وما تقوله هؤلاء النساء من الاغاني ، يدعى (غنا الفاردة) • وتحمل النساء الفرادات الحنا ، ولحم الذبيحة لكي يطبخه اهل العروس طعاما لهن ، لكي يزعج اهل العروس • وكانت الفرادات — قديما — يطبخن هذا اللحم ، يكون جاهزا للاكل ، اما اليوم ، فيحضرن لوازم الطعام كلها من لحم ، وارز وجميد وسمن ، وقهوة ، وبعد ان تستحم العروس باشرافهن ، يطبخن الغداء وهن يغنين ويخضبنها بالحنا ، ويتناولن الطعام مع العروس ، ويجلسنها في فراش عال ، فتدعى (مخدرة) فلا يحق لها ان تخرج من خدرها الا الى البرزة اذا كانت بدوية او الى بيت العريس اذا كانت من الحضر المسلمين ، واذا كانت نصرانية فلا تخرج الا الى الكنيسة راكبة جملا او فرسا وبعد الاكليل تركب الجمل او الفرس — قبل ان تصبح السيارة وسيلة النقل المعترف بها — وتزف الى بيت عريسها بين الاغاني والزغاريد وتظل عند عريسها في (البرزة)[٦] او (الخلة)[٧] وبعد مرور سبعة ايام على العرس ، تزور العروس اهلها ، وتاخذ معها ذبيحة ، يحرصون على ان تكون خروفا ، تفاؤلا بانجاب الذكور — وتاخذ لوازم الطعام من جميد وارز وسمن ، وتبيت عند اهلها ليلة او ليلتين ، حسب مع اتفقت عليه مع عريسها ، وبعد ذلك تعود الى بيت عريسها وقد حملت معها ما يسمونه الزوارة وتكون الزوارة بساطا او سجادة وشيئا من المال •

وقد ذكر سيادة المطران (بولص سلمان) انه شهد القوم يذبحون ديكا عند وجلي العروس ، تذبحه ام العريس — والغرض من هذا ، ان تظل العروس تحت سلطة حماتها ، وتحت سلطة زوجها ، غير ان هذه العادة التي ذكرت لي في بعض قرى فلسطين ، لا وجود لها في الاردن ، فاذا وجدت في بعض قرى الاردن النائية ، فهي منقولة نقلا ! •

● ذبيحة الخمسان :

هذه التسمية خاصة بالمسلمين ، ويذبحونها ايام زيارة النبي موسى ، اما النصارى فيسمونها ذبيحة العشيات ويذبحونها ليلة اول خميس من شهر نيسان — غالبا — واهل الاردن يسمون شهر نيسان شهر الخميس • ومنهم من يسمي هذه الذبيحة عشا الموتى • فيقولون

للذين لا يطعمون من هذه الذبيحة احـدا : «عشا موتانا ، راية آيانا ! »

● ذبيحة الدار ـ او ـ السكنى :

يذبحها الذي يريـد ان يسكن في دار فرغ من بنائها حديثا ، والغرض منها ارضاء ارواح اهل الارض القدماء ، لتكون ارواحهم راضية عمن تولى املاكهم بعدهم .

● ذبيحة الرضاوة :

شاة يذبحهـا الزوج عنـد استرضائـه لامرأته ، بعد ان اساء اليها ، او لنفورها من ضرتها ، وقد دعاهـا سيـادة المطـران ـ الاشمندريت بولص سلمان في الصفحة ال ٢٤١ من كتابه خمسة اعوام في شرق الاردن ـ وهما منه ـ ذبيحة الطلاق . مع ان ذبيحة الطـلاق داخلة في ذبيحة الحلية اذا اعاد الرجل زوجته المطلقة اليه ! .

● ذبيحة الروكة :

بلفظ الكاف جيما تركية بثلاث نقاط . ويعنون بالروكة الاختلاط ، والمشاركة ، وهذه الشاة يذبحها الرجل عندما يعلن انفصالـه عن عشيرته ، والتحاقه بعشيرة ثانية . والكلمة من فعل (راك بروك) ويعني خلط يخلط في اللهجة الاردنيـة ويقولون راك البيض اذا خلط .

وبعد ان يذبح الرجل هذه الشاة يدعـو رجال العشيرة التي يريد الالتحاق بهـا الى الطعام ، وبعد الاكل يشهد الحاضرين على انه انسلخ عن عشيرته ، واتخذ عشيرتهم اهـلا له ، فيضحي كاحد افراد تلك العشيرة ، له ما لابنائها ، وعليه ما عليهم . وقد وهم سيادة الارشمندريت الجليل في كتابه (خمسة اعوام في شرق الاردن) وسمى هذه الذبيحة ذبيحـة (الروف) جمع (رواف) ، ولا معنى لها هنا ، والصواب ما ذكرناه . وتسرب الوهم في اقوال سيادته رحمه الله ، ناشيء عن جهله لهجـة البدو ، ولم يعتمد على قوم خبروا حيـاة البادية وعرفوها ! .

● دانيال :

وهي خاصة بالفلاحين ، ويسمونها ذبيحة السلاك ، يذبحونها عند البدء بحراثة الارض ، وفي دعواتهم : ـ «يا دانيال ، يا مسلك العدة والفدان ! » .

● ذبيحة الزوارة :

هي الذبيحة التي تذبح للعروس ، عندما تزور اهلها ، بعد ان تقضي في بيت عريسها سبعة ايام ، ويسمون تلك الايام السبوع . وبعض العرسان ، يجعل زيارة عروسه بعد اسبوعين . تاخذ العروس معها خروفا ذكرا ، تفاؤلا بان يكون بكرها ذكرا . فيذبح اهلهـا هذا الخروف ، ويصنعون منـه طعامـا لها ، ولعريسها ولاخص اقاربائهم ، ثم تعـود الى بيت عريس تحمل هدية يسمونها الزوارة ، وتكون الزوارة شيئا منظورا : ـ سجادة ايرانية او بساطا جميلا مزخرفا ، تسمى السجـادة السجادة او القطيفة العجمية والبساط يدعى البساط المرقوم . وقد يكون مزودة ـ نوع من البسط ذات الغزل المصبوغ ، وبعض النقود ، على حسب قدرة الاهل المادية .

● ذبيحة السماط :

او سماط الخفر ـ وهذه الذبيحة تكون بكر اغنامهم ، ـ غالبا ـ اذا كان البكر ذكرا ، والا استبدل به ذكر من الغنم . وهم عـادة يجدعون اذن هذه الذبيحـة ، ويقولون : «هذي سماطك ياالخفر ، او هذي ذبيحتك يا الخفر ! » فيقولون : «ذبيحة منوبة للخفر

او نبوها[٩] للخضر ، اي معينة للخضر ، او خصوها بالخضر او معلن عنها مجهرا ، انهـا مخصصة بالخضر ، ويبقون هذه الذبيحة ـ عادة ـ الى ان يحضر ضيوف لهم منزلـة ، فيذبحونها لهم ، فيكون في ذلك وفاء للنذر ، وتكريم للضيوف ، وفي اقوالهم المشهورة : «نذر ووفوه ضيوف» .

ومعنى السماط في اللهجة الاردنية معرف في اللغة الفصحى . فهم يعتقدون ان الخضر يحفظ اغنامهم لقاء وليمة يصنعونها تكريما لذكره[٩] .

والسماط عند البدو هو زبد الرائب الذي يخض على ثلاث مرات ، فيصنع منه طعام يقدم للضيوف . ويسمى هـذا الطعام (الاقرينية) والاقرينية ـ في الاصل ـ مجروش القمح الذي يوضع في الزبد يمتص ما فيه من بقايا اللبن ويسميها اهل الدساكر : «القشدة» وهي غير القشطة .

● ذبيحة السقا ـ او ـ السعن :

ذكر المرحوم بولس سلمان هذه الذبيحة ، وقال انها تذبح بعـد الغيث شكـرا لله . والحقيقة ان ذبيحة السقا تذبح عند البدء بجمع الحليب لمخضه ، وتلك كانت معروفة عنـد الزعماء ، او شائعة بينهم ، وغرضها ان يجمع الزعماء عربانهم حولهم . اما اليوم فلا اثر لها ! .

● ذبيحة سليمان بن داهود :[١٠]

تذبح هذه الذبيحة على حمامات (زرقـاء ماعين) المعدنية . وهي حمامـات مشهورة في الديار الاردنية بفائدتها للامراض الجلد . وقد عثر عليها (جدعون بن حشبون) وهو يبحـث عن حمر فقدت لوالده . ويعتقـد البـدو ان (سليمان بن داوود) هو الذي يجعل هذه المياه حارة ابدا ، لكنه لا يسمح باستمرار حرارتها ، الا اذا كرم بالذبائح وفوق هذا ، فالحمام لا يشفي الامراض ـ على ما يعتقدون ـ ما لم يكرم صاحب الحمـام (سليمان بن داوود) ، وهم يسمون منبع الحمام (الشيخ) ويعدونه مزارا ، يحجون اليه سنويا ، ويضعون حول الشيخ الهدايا ، التي تدل على تقديسهم لهذا النبع ، وعلى خوفهم من بطش (سليمان الحكيم) ، وهذا اثر من آثار عبادة الاقدمين لمجـاري الميـاه والانهار .

ويغنون وهم يستحمون بهذه الكلمات : «حمامك بارد يا شيخ ، بارد وامبرد يـ اشيخ» ويعتقدون ان كل من اخذ شيئا من هدايـا الشيخ زنديق كافر ! .

قال لي بدوي وانا على حمام زرقاء ماعين سنة ١٩٤٦ : «تدري ، وين يروح بعر الغنم اللي تزور الحمام ؟ »

قلت : «لادري !» .

اجاب : «كله ياخـذه (النبي سليمان) ـ الله ينطينا مراضية ـ يآخذه بالليل وايوزه[١٠] بالارض ، يصخن الميه» .

وهنا تكمن الخرافة التي تجعلهم يحترمون هذه المياه ويقدسونها ! .

● ذبيحة الشراكة :

وهي التي تذبح عند عقد الشركة ، بـين اثنين او اكثر ، تبركـا ، وطردا لـلارواح الشريرة التي تفسد مشروع اذا تـدخلت وافسدت الضمائر ! ففي اقوالهم انمـا ثورة «كل شيء من نية الا الفلحة من عمل ! » اي كل شيء يصلح بالنية الحسنة ، الا الفلاحة والزراعة فلا بد لهما من اتقان العمل ! .

● **شيحان :**

(شيحان) اسم جبل شمالي الكرك ، و (شيحان) تحريف لاسم (سيحون) الذي انتصر عليه (موسى النبي) في معركة (جهاز) التي ونظن انها (ياجور)[11] الحالية – الواقعة الى الشمال الشرقي من (صويلح) و (صويلح) واقعة بين (عمان) و (السلط) تبعد عن عمان نحو ثلاثة عشر كيلو مترا .

● **ذبيحة الصفاح :**

وهي ذبيحة تذبح ليلة الخطبة او الطلبة[12] واصل تسميتها هذه التسمية – على ما نعتقد – من المصافحة التي تجري في اثناء البيع . فالخطبة – في الحقيقة والواقع – هي اتفاق على ما يشبه الصفقة التجارية لانهم – قبل ارتقاء مفهوم الزواج – كانوا يعدون المهر قيمة مادية للمراة ، فكانوا ينظرون الى المراة نظرة اجلال كلما ارتقى مهرها . وفي اثناء الخطبة او الطلبة يقررون مقدار (السياق – المهر – الصداق – وبعد ذلك كان يتصافح والد العروس او والد الخطيب ووالد الخطيبة ، دلالة على ان الاتفاق قد تم ، وان الصفقة قد بت فيها . ومن هذه المصافحة جاء اسم الصفاح ! .

● **ذبيحة الضحية :**

وهي التي يضحى بها في عيد الاضحى . وكانت في الاصل ناقة ، سليمة من كل عيب جسمي ، وقبل ان يضحى بها تكحل ، ويطاف بها في الحي ، مجهزة بكل ما يحتاج اليه المسافر ، وينادي المضحي بها ، باعلى صوته : « يا فلان ! دونك رحولتك ! » هذا ، اذا كانت الاضحية ناقة ، او جملا ، اما اذا كانت شاة فينادي قائلا : «يا فلان ! دونك ضحيتك ! » بعد ان تكون قد كحلت ، وحنيت . وعند نحر الضحية او ذبحها يقول ناحرها او ذابحها : «اللهم تقبلها منا ، مثل ما تقبلتها من ابونا ابراهيم وزر عن ابنه اسماعين ! » ومنهم من يقول بدل (اللهم) يارب ! ..

● **ذبيحة الضيف :**

وهي التي تذبح فدى للضيف ، ولا بد من وضع لحمها كله على المنسف مع الراس الذي يوضع في اعلى المنسف . والذي يبقي شيئا من ذبيحة الضيف يعد بخيلا .[13] وذبيحة الضيف لها اصل ديني ! .

● **ذبيحة الطاحونة :**

كانوا يذبحونها عندما يركبون حجارة الطاحون ، لان الرجال الذين يدحرجونها من مكانها ، كان يزيدون على خمسين رجلا . – ما عدا النساء اللواتي يحمسنهم بالاغاني والزغاريد . وهؤلاء لا بد لهم من غداء فكانت تذبح لهم شاة . وهذه الذبيحة ، ليس لها اصل ديني كذبيحة الضيف مثلا لانهم يقولون «الضيف ضيف الله ، اوصى به النبي حبيب الله ! » فذبيحة الطاحونة الغرض منها اطعام الجمهور الذي ساعد اصحاب العمل . اما التي ذكرها سيادة الارشمندريت (بولس سلمان) – المطران فيما بعد – في كتابه (خمسة اعوام في شرق الاردن الصفحة ال ٢٤٤ و ٢٤٥ فهي ذبيحة الطحنة . وقد استعيض عنها بحفنتا من الطحين ، تعطى للمتسولين الذين كان يكثر وجودهم في المطحنة ! .

● **ذبيحة الطهور :**

وهي ذبيحة الختان ، لان القوم يحتفلون بالختان احتفالا كبيرا ، ففي ذلك اليوم ،

ينصب اهل المختون ـ اذا كان الاهل من الاغنياء ـ راية مزخرفة يسمونها (المصنع) يتسابق اليها الفرسان ، والذي يحرزها ، تذهب لزيارة بيته نساء الحي في شبه فاردة ، وهن يقلن في مدحة الاغاني ، ومعهن رأس الذبيحة ، او قطعة لحم ضخمة ، كالفخذ ، او اليد . وتدى وصولهن يستقبلهن الرجل مرحبا ويولم لهن وليمة .

● **ذبيحة العتبة :** (١٤)

يذبحونها عندما يضعون اسكفة الباب العليا ، لاعتقادهم ان الجن وارواح الموتى ، مالكة للارض كلها ، ولا بد من استرضائها بالذبائح ، والا فتك الجن ، وارواح الموتى باعزاء من يسكن الدار الجديدة ، اذا فعل من غير ان يسترضيهم بالذبائح ، وقد يستعيض الفقراء عن الذبيحة بذبح ديك ، يلطخون بدمه اسكفة الباب ، ويسمون مثل هذا الاسترضاء (فجة الدم) واذا ارادوا ان يضربوا مثلا للخيبة قالوا : «فلان ما نابه ، غير فجةالدم» اي انه لم ينل من فائدة سوى رؤيته الدم المسفوح ! .

● **ذبيحة العجام :**

تقدمها بعض القبائل الاردنية لمزار يسمونه (العجام) سكانه ـ على ما يعتقدون في (جرش) ـ هيكل (زفس ZEUS) سيد آلهة اليونان ، ويسميه الرومان (جوبيتار JUPITER) ، ويقع هذا الهيكل بجوار المدرج ، من الجهة الجنوبية والباء الحالي اقيم في اواخر القرن الثاني للميلاد ، وقد كان هذا المكان يعد مقدسا من القديم وقد ذكرلي شيخ من عشيرة (الرداعين) ، سنة ١٩٢٥ ، كان راعيا لاغنامنا انه هو وعشيرته ان من واجبهم ان يقدموا قربانا سنويا لهذا الهيكل ، المعرف عندهم بـ (العجام) .

وقد وهم سيادة الارشمندريت (بولس سلمان) فسمى هذه الذبيحة ، الذبيحة السنوية ، ودعاها ذبيحة حلية والحقيقة ، ان ذبيحة الحلية يذبحها العريس ليلة عرسه ، لتسمح له الآلهة بافتضاض بكارة عروسه . وهذا هو الاصل فيها ـ ولعلها متخلفة عن عادة قديمة ، ايام كان الناس يعتقدون ان كل بكر هي مباركة للالهة ، ولا يحق لاحد ان يمسها ، مالم يكفر عن ذلك ، بذبيحة للآلهة . اذا فذبيحة العجام التي تكاد تكون مقصورة على بعض ابطون من (بني حسن) و (بني حميدة) والعشائر الملحقة بالعدوان ، لا يجوز ان تدعى ذبيحة الحلية . وليست ذبيحة العجام عامة من القبائل كما ذكرنا ! ..

● **ذبيحة العقد :**

وهي ذبيحة كانوا يذبحونها عند عقد القنطرة في الدار ، او عند بناء عقد الغرف .

● **ذبيحة العماد :**

يشدد العامة الميم ، وهي في الفصحى مخففة ، وهي خاصة بالنصارى ، يذبحونها يوم تنصير اي طفل من اطفالهم ، ويدعى اليها كفيلا الطفل في حفلة التنصير . ويدعى هذا الكفيل (اشبين)(١٥) والانثى (اشبينة) وبعضهم يسمي هذه الذبيحة ، ذبيحة الشبينة ! ..

● **ذبيحة الغنم :**

وتدعى هذه الذبيحة (القطيشة) وتسمى القطيشة ، لانهم يجدعون طرف اذنها اليمنى ، ويقولون هذي قطيشة منيوبة عن الغنم ، ولا سيما عندما تصاب الاغنام بوباء فتؤخذ

الغنم ، ويطاف بها حول احد المعابد – لافرق بين مسجد وكنيسة – يطاف بها سبع مرات ، ويختار صاحب الغنم احسن نعجة – وغالبا ما تكون المرياع – ويسمونهـا (ام الجـرس) والمرياع نعجة تربى تربية خاصة ترافق الراعي وتحلى بجرس وجلاجل صغيرة وودع ، فـاذا دعاها الراعي اسرعت اليه فتقلدها الغنم كلها والكلمة من فعل (راع) ولهذا الفعل في اللهجة الاردنية معنى (عاد) امـا في الفصحى فمعنى راع ، يروع روعا وروعانا – الصيد ، ذهب ههنا وهنا وهو في اللغـة اجوف وادي وفي لهجة الارادنة اجوف يائي ، ولعل الكلمة من الاضداد ، فحفظت اللغة معنى واحدا لهـا وحفظت اللهجة الاردنية المعنى الثاني ، ازهي في الفصحى تعني اتفرق وفي اللهجة الاردنية تعني الجمع والتجمع • وعندما يجدع صاحب الغنم هذه الذبيحة يجهر بصوته قائلا : «يا الله – او يا رب – هذي ذبيحتك خليها اسدادة شر ، وانهض غضبك ! » ومنهم من يزيد : « عن غنم فلان ابن فلانه[١٦] ! » •

فاذا زال الوباء ، ذبحـت الشاة التي يدعونها (القطيشة) ويدعى اليها الفريق لاكلها ولتهنئة صاحب الغنم ، الذي ازال الله الغربة عن غنمه ، وهناك من يذبح الشاة المجرد جدع اذنها ، تفاؤلا ، بان الله قبل نذره •

وقد روى المرحوم المطران (بولس سلمان) رواية ، – لانوافقه عليها اذ قال : «انهـم يذبحون الشاة التي تقف امام الولي • » وهذا ما لم نسمع به فلقد رأينا اهل الاغنام يطوفون بها حول كنيسة اللاتين في مادبا سنة ١٩١٨ وينذرون المرياع – لاغيرها – وسيادة المطران معذور ، لانه لم ير ما يذكره بنفسه ، ولاجمع مادة كتابه جمعا ميدانيا ، بل رواه له جماعة تخيلوا الامور تخيلا ، وظنوا انهم كلما جاءوا بغرائب الروايات ، كان ما قالـوه اوقـع في النفوس • وقد افادنا ما وقع فيه سيادته من مزالق ، فلم نقبل رواية ، لم نقف عليهـا بنفسنا ، والا نبهنا على ذلك لئـلا يكون في كلامنا شي من التضليل ![١٧] •

● ذبيحة الفرس :

هي شاة تذبح عند شراء الفرس ، لاعتقاد البدو ان الرزق مقصورا بنواحي الخيـل ، فالفرس التي لا يفتدي صاحبها بذبيحة ، – في اعتقادهم – يكون راكبها ذبيحة لها في اول معركة يخوضها !واهتمام البدو بالخيل يرتكز على الحديث النبوي الشريف : «الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة» •

والارادنة يقولون : «الدنيا ، اعتاب ، واكعاب ، ونواصي ! » أي ان الحظوظ الحسنة والرديئة يكون سببها :

١ – المساكن الجديدة •

٢ – الزوجات الجديدات ، وقد وهـم المطران سلمان بقوله الكعاب تعني الرماح ! •

٣ – الخيل •

ومنهم من يقول : «الدنيا » •

١ – القصص ،

٢ – وانصص •

٣ – واعقص •

أي الخطوط الحسنة والرديئة تجلبها :

أ – العرايس التي يكنون عنهن بقولهم (القصص) جمع قصة بضم القاف والبدو يكسرون القاف ، لانهم يكرهون الضم ، لانه عندهـم يدل على ضيق والبخل • والقصة ما يقص من الشعر المنسدل على الجبهة • وقال آخرون ان قولهم القصص كناية عن الخيل ، لانهم يسمون الناصية قصة •

ب ـ والنصص ـ كناية عن البيوت والحصص المنصوص عليها نصا ٠

ج ـ والعقص كناية عن الزوجات ، وفي اقوالهم : «العقصة ما بتقلط عل الشارب ٠» اي ان المراة لا تتقدم عل الرجل ، ولا في حال من الاحوال ٠

● **ذبيحة الفاردة :**

وقد تقدم ذكرها في ذبيحة الحنا ٠

● **ذبيحة القبر :**

ويسميها بعضهم (الونيسة) وهي تسربت من الديار الفلسطينية ، وتذبح ليلة دفن الميت عند النصارى وعند المسلمين ـ فتذبح عند القبر حالا ، في عادات بعض العشائر كما يفعل الحمايدة والغنمات ، وكانت في الاصل تطعم للفقراء ٠

وبعد الدفن بثلاثة ايام يذبحون ذبيحة يسمونها (فكة الكفن) بلفظ الكاف جيما تركية ذات ثلاث نقط ! هذا عند الاغنياء اما الفقراء فيستعيضون عن الذبيحة بثريد يدعى (الفطيرة) او (لمعلجة) وعند اليوم السابع يذبحون ذبيحة يسمونها ذبيحة السابع او السبوع ! ٠

ويذبح النصارى في مد الصوم الاربعيني ـ الذي يسبق عيد الفصح ـ ذبيحة ، ذكرى لموتاهم ، يسمونها العشيات ٠ وتكون ـ اغلب الاحيان ـ في شهر نيسان ٠ يقابلها عند المسلمين ، ذبيحة الخمسان ! ويسميها بعض اهالي (مادبا) ـ ذبيحة الولايا ـ جمع (ولية) والولية هي المراة القريبة لك نسبا والمحرم عليك ان تتزوجها ٠ وانت ترى ان معنى هذه اللفظة في اللغة ، هو القريبة ٠ واعتقد انها سميت ولية ، لانها لا تجسر أن تهدي لاهلها طعاما ، خوفا من حماتها فهي تخفيه(١٨) ٠

● **ذبيحة القرى :**

وتشمل ما يذبحه اهل العريس بعد العرس ، وما يذبح للضيوف الكثيرين ، وما يذبح للطهور فيقال ، اقرى عرس ، اقرى طهور اقرى ضيوف ، وفي اقوالهم : «لوايا الظروف ما تقري الضيوف» للضيوف ٠ وقد استعملوا الظروف مجازا ـ للسمن ـ مع ان الظروف تسمية خاصة بوعاء الزيت ، لكن ميل الارادنة للسجع ، جعلهم يضحون بصحة اللفظ ! ٠٠

● **ذبيحة الكسب :**

بلفظ الكاف جيما تركية بثلاث نقاط ٠ وهي التي يذبحها الغزاة عند رجوعهم غانمين ، ويسمى الكسب (الغور) ، وفي اقوالهم : «دام الغور ، ودام ارداده ٠ » اي ليدم كسب المغازي فاذا تبين انه لغير الاعداء ، ليرد الى اصحابه(١٩) ٠

● **ذبيحة النذر :**

كل نذر في البادية ، يكون في الغالب ذبيحة وفي اقوالهم المشهورة ، نذر ووافقوه ضيوف ٠

● **ذبيحة التوريد :**

وهي الذبيحة التي تذبح للذي يحضر المهر الاول او الثانية من نتاج الفرس الاصيلة التي اشتراها واحضار هذه المهرة تدعى توريدا ، وهي داخلة في باب ذبيحة الضيافة لانها تكريم للمشاركة في الخيل ، ومشاركة الخيل يعتبرونها مشابهة للمصاهرة ! فيقولون : «شريك الخيل نسيب !» ويقولون «الطنب نسب !» ٠

● **ذبيحة الولد :**

ويسمونها (لقمة الخلاص) هذا اذا ذبحوا ذبيحة اما الذين لا يذبحون ذبيحة ، فلقمة الخلاص عندهم (لزاقي) ويصنع من عجين فطير رخو ، يخبزونه عل الصاج ويدعى اللزاقي لانه

يلصق بالصاج ويشرد بالزيت ويرش عليه السكر . وسمعت من يقول : «لقمة الخلاصة» بفتح الخاء والخلاصة عندهم هي المشيمة ، وتدعى (الرفيقة) . ولعل هذه العادة متخلفة عن اصل ديني وثني لان قدماء المصريين كانوا يعتقدون ان المشيمة ، روح ترافق الانسان وتدعى (الكا) . والبدو عندنا يسمونها (التابعة) ويعتقدون انهاتتحكم في خط الطفل وتوجه حياته للسعد او للنحس ولا شك في انهم قديما يعتقدون ان هذه (الكا) او (المشيمة) او (الرفيقة) او (التابعة) كانت تضحي بحياتها ، لتهب للطفل الذي ترافقه الحياة . لذا نراهم يدفنونها بحرص ، لاعتقادهم ان سلامة الطفل وهناءته تتوقفان على حفظ المشيمة سليمة . وكذلك يفعلون في مشيمة الفرس وما دام الامر كذلك ، فلا بد من استرضاء هذه الروح المضحية بنفسها ، بذبيحة ، اذا كان في مكنتهم ان يذبحوا ذبيحة والا استعاضوا عن الذبيحة بالشريد ، واعتذروا لهذه الرفيقة بقولهم : «واجبك اكبر ، حضرت وواجبك ما حضر .» بلفظ الكاف في الحالتين جيما تركية بثلاث نقاط ! وقد وهم سيادة المطران سلمان عند ذكره لهذه الذبيحة اوهاما كثيرة ، وزاد زيادات جمة ، وروي روايات غريبة عجيبة ، لاعهد للارادنة بها وقد وهم وهما شنيعا ، اذ لم يفرق بين الشرايرة والشرارات . فالشرايرة من اهالي وسكان اربد ، والشرارات عشائر تنمي الى هتيم تابعة للحجاز ، لا يعرف عن نسبها شيء ثابت ! .

هذه الملمة ببعض اصناف الذبائح التي كان المجتمع البدوي يتوسل بها للتخلص من قلة اللحم ، حيث لا بيع ولا شراء لهذه المادة الضرورية ! .

ركائز البحث :

١ - القرآن الحكيم والاحاديث النبوية .

٢ - قاموس العادات واللهجات والاوابدالاردنية - لروكس العزيزي .

٣ - احاديث البادية مخطوطة - روكس العزيزي

٤ - دراسات ميدانية بين القبائل والعشائرمخطوطة - للعزيزي .

٥ - خمسة اعوام في شرق الاردن - الأرشمندريت بولس سلمان .

٦ - تاريخ شرقي الاردن وقبائلها لفردريك بيك .

٧ - معجم القبائل ١ و٢ لعمر كحالة .

٨ - المجلة الجديدة لسلامة موسى .

٩ - مجموعة صوت الفرات للاستاذ عبد القادر عياش .

١٠ - محيط المحيط . ١و٢ .

١١ - المساعد - معجم الاب انستاس ماري الكرملي ج او ج ٢ .

١٢ - الاصنام لابن الكلبي - تحقيق احمد زكي باشا شيخ العروبة .

١٣ - اديان العرب القدماء - للجارم

١٤ - ازاهير الصحراء للعزيزي .

١٥ الرحلة اليمانية .

١٦ - عشائر الشام لوصفي زكريا .

١٧ لسان العرب لابن منظور .

١٨ - في طريق الميثولوجيا عند العرب محمود سليم الحوت .

١٩ - مشافهات للعارفين من القوم .

٢٠ - الموسوعة الحديثة للمملكة العربيةالسعودية ١ ، ٢ ، ٣ .

الهوامش :

(١) ليست الذبائح ، ومناسباتها خاصة بالاردن ، لكننا نسجل في هذا البحث ما عرفناه في هذه الديار ، وان كانت هذه الذبائح ليست مقصورة على الاردن والارادنة • والذبيحة هي ما يجزر من الحيوان اطلاقا ، الا اذا كانت من الابل ، فهي الجزور ـ للذكر وللانثى ! (العزيزي) •

(٢) وقعت هذه الحرب سنة ١٩١٤ ، وانتهت سنة ١٩١٨ •

(٣) الحيل ، جمع حايل ، وهي انثى الضان او الماعز التي لم تلد في سنتها تلك (العزيزي) •

(٤) من اوهام السائدة قولهم شرق الأردن والصواب شرقي الاردن ، لاننا اذا قلنا شرق الاردن عنينا بذلك كل ارض تقع شرقي الاردن الى اقصى المعمورة • اما اذا قيدناها بياء النسبة ، فمعنى ذلك ، البقعة المصطلح على تسميتها بهذا الاسم ، الواقعة الى الشرق من نهر الاردن ! قاله (العزيزي) •

(٥) كان نقدنا جارحا فتدخل المغفور له شاعر القطرين لوقف المقالات فتوقفت (العزيزي) •

(٦) البرزة بيت شعر صغير ينصب في مكان بارز من الحي ، ياوي اليه العروسان في سبعة ايام الاول • وقد كادت هذه البرزة تزول •

(٧) الخلة بساط مزخرف بنقوش هندسية ملونة يسدل على معطية ياوي اليه العروسان ـ قديما ـ في الدور التي لا غرف مقدرة فيها ويقيم فيها العروسان ايام العرس المقررة •

(٨) حفظت اللهجة الاردنية لفعل (نب) ومشتقاته معنى لاوجود له في الفصحى ، ففعل (نب) في لهجة الا الارادنة يعني خصص وعين • قال نمر العدوان :

دنب السلام ، سلام هايم مغرم غايب زماناً بالحلل مولع

وتعني اجهر يعونك ، ومعناها هذا هو الذي حفظته الفصحى وفي حديث الجدود ، يعمد احدهم اذا غزا الناس فينب كنبب التيس •

ونب التيس خاصة ، ينب نبا ، ونبيبا ونبابا ، صاح عند الهياج

(٩) استوفينا البحث عن هذه النقطة في مادة اسمط من قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية •

(١٠) وز النار يوزها معناها ارث النار وزاد في الحطب لكي يزيد اشتعالها ! واذا وز عليه ، عنوا بذلك وشى به واذا قالوا هذه وزة ـ عنو بذلك الوشاية فقد جمعوا بين الاثارة المادية والاثارة المعنوية ! (العزيزي) •

(١١) في ياجوز دفن الشاعر الشعبي المشهور (نمر العدوان) الذي خلدناه بمسلسل نال شهرة واسعة عرض على شاشات التلفزيون في دول الخليج كلها ، وفي السعودية ومصر وسورية واشترته المغرب والاردن ، والنية متجهة الى ترجمته الى الانجليزية •

(١٢) الخطبة في اصطلاح الارادنة طلب العروس بوساطة جاهة ورجل دين اما الطلب فلا يتدخل فيها رجل الدين .

(١٣) في المملكة العربية السعودية يوضع الكبش كاملا مع رأسه واليته ويقدم محشوا بالمكرون منضجا شواء وتقدم الوليمة على سماط يمد على الارض لئلا يشعر احد بانه مميز على الآخر . دعينا الى ذلك في دارة الاستاذ العلامة (عبد العزيز الرفاعي) المستشار في الديوان الملكي في الرياض . وفي دارة الاستاذ العلامة (عبد الله بن ادريس) رئيس المجلس الاعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب في وزارة التربية في ايار سنة ١٩٧٦ (العزيزي) .

(١٤) العتبة عند الارادنة ، هي اسكفة الباب العليا اما في قرى فلسطين فتعني عند بعضهم الاسكفة لسفلى التي يدعوها الارادنة الدواسة . في الخليج العربي يعنون بالعتبة الاسكفة السفلى ، فيقولون في التهديد : « لا تعتب ـ بشديد التاء المكسورة ـ والا ذبحتك . » اي لا تجتز دواسة الباب والا قتلتك .

(١٥) الكلمة من السريانية ، وتعني الرجل الذي يقوم بخدمة العروسين او المرأة التي تقوم بذلك . وقد نقلت الى حفلة التنصير المعروفة بـ (العماد) والمفروض من وجود اشبينين ، ان يقوما بتربية الطفل في حالة فقد والديه ، او انحرافهما عن النصرانية ، فهما بهذا الاعتبار ، ابوان روحيان للطفل وللشبن عند النصارى الشرقيين قيمة خاصة . وبعض الاقارب يقدمون للطفل المعمد هدايا ، وتدعى هذه الهدايا في عجلون (النقوط ج نقوطات) اما في غير عجلون ، فالنقوط خاص بهدايا العرس (العزيزي) .

(١٦) نلاحظ هنا آثار عصر الامومة ، يوم كان الانبياء ينسبون الى امهاتهم لا الى آبائهم ! حتى الخيل لم يكن العرب ينسبونها الى الذكر من الخيل الا بعد الاسلام !

(١٧) هنالك روايات تتعلق بالجن والارواح الشريرة ، والمفاول ، أي ظهور روح القتيل الذي لم يؤخذ بثأره ، فقد ذكرناها على مسؤولية رواتها ! (العزيزي) .

(١٨) وفي المعاجم الولية مؤنث الولي ، والقرب ، والبرذعة او ما تحتها او ما تخبأه المرأة من زاد لضيف ينزل . جمع وليات وولايا ! ومن ذلك قول العرب وهم يعللون كراهيتهم للانثى : « بئس النسل نجدتها دموع وبرها سرقة ، أو خفية ! » وفي عجلون يسمون هذه الذبيحة (الكرايز) والكلمة من الكلدانية من كرز ، أي وعظ ، لانها تذبح في ايام يكثر فيها وعظ الكهنة .

(١٩) يخلط بعض الباحثين ، بين الفود الذي هو مغانم الغزو ، وبين الفيد هو مهر المرأة وفي اقوالهم : « الله ما بارك في الدية ولا فيد الولية . » هذا ما يقوله اهل عجلون وضواحيها . اما اهالي مادبا وضواحيها ، واهالي الكرك وضواحيها فيقولون :

«الله ما بارك في الدية ، ولا في سياق الولية ! » .

مدخل لدراسة

الطب الشعبي

مقدمه :

يرجع عهد الطب الشعبي الى زمن عريق في القدم ، اذ ان الطبيعة ، بما فيها من نباتات كانت اول صيدلية عرفتها البشرية • وكان البشر والحيوانات في ترحال مستمر ، فقد كان لصيدلية الطبيعة فروع في كل انحاء الدنيا • فعندما كان يصاب احد بمرض ، أيا كان ، كان يجد الدواء اللازم في اعشاب المروج والحقول والغابات المجاورة فيصنع منها الا شربة والمراهم والعقاقير الشافية •

وقصة الطب الشعبي هي قصة البشرية التي قاومت المرض مقاومة باسله • فقد ولد الطب يوم حاول الانسان الاول ان يمسح جرحه باللعاب ، وان يوقف النزيف الدموي بكمادات طينية ، وان يجبر الكسر بلفها بالأوراق الشجرية العريضة • ويبدو انه راقب بعض الحيوانات وهي تعالج نفسها بنفسها ، وذلك عندما حاولت التمرغ بالوحل كما راقبها وهي تأكل بعض نباتات دون غيرها لعلمها ان الدواء الناجع قد يكون في مثل هذه النباتات • وهكذا يكون الطب الشعبي قد ولد قبل ان يولد التاريخ بوقت طويل • فهو واحد من فنون الانسانية الفطرية املته الحاجة الملحة والمبيتة القاسية والمتوحشة التي لم تفتأ تداعب بقواها ضعف الانسان منذ كان الانسان •

واذا كان الانسان قد عرف كيف يحمي نفسه بالحيلة والتجربة من وحوش الغابة وحيواناتها المفترسه ، فانه وقف مبهورا امام تلك الامراض التي تنشا في داخله دونما سبب ظاهر فتوجعه وتفنية ، وقد تجلب له الهلاك والموت • وفي حيرته هذه ، كان لا بد من ان يفكر في العله والسبب ، فحاول تارة ان يرد السبب الى الارواح الشريره التي تتقمص جسده وتعيث فيه فسادا ، كما حاول تارة اخرى ان يرجع الامر الى نقمة ارواح الموتى ، وطورا الى غضب الآلهه •

وقد ادرك العلماء ان الانسان الاول كانت له امراضه ، وكان يعاني اذى من حوله • وعلى الرغم من ان الطبيعة المجاورة هي صاحبه اليد الطولى في ايذائه ، الا انها لم تدخر وسعا في ان تعينه على الخلاص من هذا الاذى وتلك الآلام • وكما كره الاذى والآلام ، فقد كره فكرة الموت وعدها كارثه تختلف عن اية كارثه اخرى •

وكان عليه ان يلجا ، وهو بصدد العلاج ، الى السحر والرقي والتعاويذ والدجل والشعوذة وما ورثه من خرافات وتجارب شخصية •

وأخيرا ، نراه يلجأ الى الدين والى الطب والطبيب ، متطورا في ذلك تطور املته عليه افكاره وعقائده في الكون والحياة .

وما دام المرض قد عزي الى السحر وغيره من قوى الشر غير المنظوره ، فقد حاول الانسان الاول ان يتداوى بما يبطل هذا السحر. ولاول مره يظهر الساحر الى الوجود كطبيب للقبيله . والحق ان افراد القبيله قد نظروا الى هذا الطبيب الساحر نظرة تقدير وتوقير ورهبة . ويبدو انهم كانوا يتصورونه قادرا على ان يصب نقمته على من يريد . لذلك رأينا الافراد يكنون له الود والاحترام والتقدير . وعلى اعتبار انه كان ، في تلك العصور المظلمة ، مصدر خطر فقد راح الافراد يستميلونه بكل الوسائل الممكنة تجنبا لنقمته .

وقد وجد المنقبون لوحه منحوته في الصخر لهذا الطبيب وهو يرتدي جلد حيوان مفترس ، ويضع على رأسه القرون الطويله . اما الذراعان والساقان فقد كانت مخططه بخطوط متعدده . ويقال ان هذه اللوحة تعود الى اواخر العصر الحجري .

وعلى مدى التاريخ القديم نرى هذا الطبيب الساحر يدرج في كل بقعة من بقاع العالم تقريبا ، وهو يرتدي زيه الخاص الذي يتغير وسطه الاجتماعي بطبيعة الحال . فهو يتخذ شكل الغول احيانا ، واحيانا اخرى شكل حيوان اليف ، ويتكلم بصوت جهوري كلاما غير مفهوم ومشفوع بدقات طبول ، ، حتى يتمكن من السيطره على مرضاه نفسانيا . ولا تزال البقيه من هذه الطائفه متمثله في ، قارئات البخت ، وعاملات الزار والغيب ، وما الى ذلك .

ولم يكن طب مثل هذا الساحر مقصورا على طرد الشياطين من اجسام المرضى او هداية



الارواح الحائره ، ولكنه كان يلجأ في معظم الاحيان الى ما يمكن ان يسمى بالطب الوقائي ، من حيث العمل على ابعاد مثل هذه الارواح بالرقي والتمائم وارهابها بالصراخ تاره ، والتزلف تارة اخرى .

وقد صور للناس ان مثل هذه الارواح التي كانت دخلت جسم المريض ينتابها الذعر والهلع بفضل مواجهتها بالتميمة الفعاله . فكان على الطبيب ان يستعمل اسنان بعض انواع معينه من الجوارح ، وعظام الحيوانات الاخرى ، ومخالب القطط . ولا تزال بقايا هذه التمائم مستعمله حتى الوقت الحاضر . كما لا يزال كثير منا يضعون الاحجبه والتمائم الواقيه كاسنان الذئاب وقرون بعض الحيوانات وما اليها .

ومع ذلك فلم يكن الطب البدائي كله مبنيا على الخرافه والسحر والشعوذه . فقد استعمل بعض الاطباء البدائيين الجبائر للكسور . كما استعملوا بعض آلات جراحيه لبتر الاذرع المصابه باذى خطير . وعلاوة على استعمالهم للمخدر والاعشاب لاراحة اوصاب المريض ، فقد ادرك الاطباء ان للعقل والوهم صلة

بالشعور ، كما ادركوا ان الثقة والايمان لهما اثر اكيد في الشفاء • ومن هنا اصبح لصلوات الساحر ورقياته نفع كبير في ملء نفوس المرض بالامل في الشفاء العاجل • فعرف الانسان ما لبعض الوان العلاج من اثر ملحوظ في الشفاء ، وما لبعض العقاقير من قدرة على ازالة المرض • فتوارثها الناس جيلا عن جيل كتجارب اثبتا صلاحيتها ومعارف لا بد من الاخذ بها • فدخل هذا وذاك في اساطيرهم وخرافاتهم ومعتقداتهم وتقاليدهم • وكانت مثل هذه المعارف والتجارب من القوه والنفع بحيث كتب لها البقاء •

وطالما وصف الاطباء السحره الاعشاب للتداوى بها • ويحوي الخط الهيروغليفي صورا لنباتات لها خواص علاجيه صحيحه • وتحوي القصائد الهومرية اليونانية على عدد من الوصفات الطبية كما تشير حضارات بعض الامم القديمة الى عدد من النباتات التي استعملت بكثرة لتدمير الاعداء على شاكله النبات الذي يتخذ اسم (كوراري) الذي استعمله هنود امريكا الحمر بكثره لقتل اعدائهم عن طريق وضعه في اسنة رماحهم • فكان يشل العضلات وهو ينفث السموم في الاجساد •

ولنبات (الماندراجورا) قصة قديمه ممتعه • واول شيء لفت انتباه الانسان اليه هو تشعب جذوره • فتصوره يحوى خصائص آدميه نظرا لمشابهته لجسم الانسان •

ثم اخذت الخرافات تترى حول هذا النبات ، فهو يحدث ضجة وبلبله اذا ما اقتلعه الانسان من جذوره • كما انه يعالج العقم • وهذه (راشيل) في سفر التكوين تطلب من اختها هذا النبات بقصد علاج عقمها • وقد اعتبره المصريون هدية الشمس اليهم • كما ورد اسم النبات هذا على لسان (كيلوباترا) في مسرحية شكسبير (انطونيو وكليوباترا) ، على هذه الصيغه : اسقني شراب (الماندراجورا) لانام هذه الفتره التي يتغيبها انطونيو عني •

وبذلك يكون الطب الشعبي القديم قد فتح اكثر من نافذه على طب العصور التالية ونقصد بذلك الطب الذي نشا في بلاد ما بين النهرين ونهر النيل • وسنلاحظ كيف اخذ طب حضارات الانهار العظيمة ينمو في الاوساط الحضارية بشكل يثير التامل ويدعو الى الدهشة •

الطب الشعبي السومري :

والباحث في طب السومورين يلاحظ على الفور علو شانه ، ولو انه ظل يختلط بالشعائر الدينيه وطقوسها ، ويعترف بان المرض لا يمكن شفاؤه الا اذا انفصلت ارواح الشياطين عن اجسام المرض • اذ ان مراض تنشا عن طريق تدخلها الفعلي في هذه الاجسام •

ويشير كتاب الحضاره الى عثروا في (كيش) على لوح سومرى يرجع تاريخه الى (٤٢٠٠) ق٠م٠ وفي (لجش) • عثر على خاتم طبيب كان على شكل اسطوانه طينية صغيرة نقش عليها اسم صاحبها ، واسم الطبيب الذي عالجه ، واسم اله المرض والوباء الذي كان يدعى (ايرو) • وربما عاد تاريخ الاسطوانه الى سنة (٣٠٠٠) ق٠م٠ بيد ان متحف الشرق باستنبول يضم لوحا يرجع تاريخه الى حوالي (١٧٥٠) ق٠م٠ وهذا الوح يضم ترتيلة تتغنى بالالهه (فنسنا) ، وهي الآلهه التي وصف فيما بعد بانها الطبيبه العظمى للسومريين •

وتشير الدراسات الى ان هذه الطبيبه كانت موكلة بالنواميس الآلهية • وكانت تقدم الشعائر والفروض للشياطين التي تسببت وحدها في الامراض • وبذلك يكون علاج الآلهه (فنسنا)

مبنيا على طرد الشياطين عن طريق الرقى والتعاويذ ٠

ومن الآلهه التي عبدها السومريون ، اله يدعى (أيا) ٠ وهو الاله الذي كان يساعد في شفاء من يتوسل به من السومريين والاكديين والبابليين والاشوريين ٠ وقد تردد اسمه في نصوص السحر والادعيه والصلوات الدينية والاساطير ٠ وبنفس الدرجة نرى اسمه يتردد في الرقى والتعاويذ والحكمه ٠ فاذا ما اصيب انسان ما بمرض من جراء دخول روح خبيثة في جسمه ، كان يتوسل به لينقذه مما هو فيه ٠ وكما عبده الرجال فقد عبدته النساء ٠ وقد عثر على نقش ينص على ان امراه بكرا كانت قد حملت واصيبت بعسر في ولادتها ، وعندما توسلت به ساعدها واخرج مولودها حيا ٠

وكانت مدينة (اريدو) أيا الديني ٠ وهي المدينـة التي كانت تعرف بمدينـة الرقى والتعاويذ ٠ وكان معبده قرب نبع ماء عذب ٠ وكان الناس يطلبون منه ان يتصف بالقوة التي تطرد الارواح والامراض والاوبئة ٠ وكان يكفي الفقراء من الشعب ان يشربوا من الماء العذب ليشفوا مما هم فيه ، اما اثرياء الشعب فكانوا يدخلون معبده الذي كان يضم جميعا غفيرا من الكهنة المتخصصين بعمليات التعاويذ ، وربما اثابهم لقاء اجر ، اما ميزانية المعبد فكانت تحصل من هؤلاء الاثرياء فحسب ، وقد اشتهرت « اريدو » مركز الاله (ايا) ، بتعويذة تخصصت بها دون غيرها ، وهي التعويذة التي عرفت فيما بعد باسمها ، فكان النس يتوسلون بها في حالة تفشي بعض الاوبئة المعدية طمعا في العافية المرجوه ٠

الطب الشعبي البابلي :

ولقد آمن البابليون بالروح وبالجسد ايمانا يكاد يقترب من ايماننا اليوم ٠ وعلى الرغم من تحرر طب البابليين من سلطان الدين ، الا انه كان عاجزا عن التحرر من قيود السحرة والعرافين الذين تولوا المهمات الطبية ، فقد حرص الشعب البابلي على التشخيص القائم على الخرافات والاوهام ، وعلى العلاج بالاساليب السحرية ، ومن اجل هذا كان السحرة والعرافون احب الى الشعب من الاطباء ٠ ويبدو ان السحره والعرافين ، بفضل ما تمتعوا به من نفوذ ، قد فرضوا على الناس طرقا للعلاج ابعد ما تكون عن المنطق ٠ فقد راوا ان الشياطين هم مسببو الامراض بسبب شيوع ذنوب البشر ٠

لذلك لا منوحة من معالجة هؤلاء الشياطين الا بتلاوة العزائم والرقى والصلوات ٠ والجدير بالذكر ان هؤلاء السحره لم يستعملوا العقاقير الطبيه ٠ ومع ذلك ، فقد كانوا يستعملونها لارهاب الشياطين واخراجها من الجسم فحسب ٠

اما علاج الساحر او العراف فكان يتكون عادة من خليط من عناصر تعافها النفس٠ولهذا مغزاه ، فقد افترض مثل هؤلاء الاطباء ان معدة الانسان اقوى من معدة الشيطان الذي يتقمصه وعلى هذا الاساس فان الاطباء لم يمانعوا البتة في ان يعطوا مرضاهم — اللحم النيء ولحم الثعابين ومسحوق العظام ونشارة الخشب المزوجه بالخل والزيت او العظام الفاسدة او الشحم المزوج ببول الحيوانات او الانسان وما الى ذلك ٠

بيد ان مثل هذه العناصر لم تكن كل طبهم ٠ فقد استعملوا اللبن والعسل والاعشاب والمياه الساخنة والباردة وما الى ذلك ، محاولين ان يسترضوا بها الشياطين ٠ فاذا لم يفلح هذان اللونان من العلاج حمل المريض الى السوق على من يمر به يكون قد شاهد مثل حالته فيصف له الدواء ٠

وقد وصلتنا وصفات بابليه كثيره كان يستعملها الكهنه في بابل • وتحوى الوصفات على رقى كثيره ، بعضها وصف بانه نافع • اما البعض الآخر فقد وصف بانه يحوى على مواد في غايه السخف • ومع ذلك ، فالباحث في وصفاتهم من الناحيه الطبيه السليمة ، يجد فيها ما يبررها • فالتهاب (العين الملتهبه) عالجه الطبيب الساحر بشق بصله ومزجها بالنبيذ ، وذلك حتى تتمكن العين من در الدموع ادرارا كافيا ، ثم دهنها بالزيت • ولكن كهنة بابل لم يقفوا عند هذا الحد ، عندما قالوا ان هذا العلاج لا يكفي لمقاومة ضرر الجان • فاضافوا الى الكلام السليم كلاما فيه قدر كبير من الشعوذه ، واشاروا على المريض ان يستخرج احشاء ضفدعه صفراء وان يضرب مرارتها حتى تصبح سائلا سميكا ، عندئذ يمكن وضعها على العين الملتهبه •

ويبدو ان البابلين قد ورثوا طب السومريين الذي كان مبنيا على العرافه • ونحن نعرف ان العرافه كانت تستولي على اذهان سكان ما بين النهرين • وقد تنوعت طرق العرافة ، فلكل ظاهرة او حادثة تفسير كهنوتي • فالآلهة هي خالقة للخير وللشر ، والامراض لها دلالات وهي نتيجة حتميه لسخط الآلهه • اما العلاج المكون من العناصر المسالمه فهو محاولة لترضية الارواح الطيبه •

وهكذا تكون فئة الكهنه قد تخصصت في شفاء الناس من الامراض • اما المرض نفسه فقد اختلط بالرجس والاثم • ومع ان الآلهه هي التي كانت تجلب المرض للناس ، فقد ساد اعتقاد بان المرض قد يكون بسبب العين الشريرة ، او المغناطيسيه الحيوانية التي اتصف بها بعض بعض الناس • ومع ذلك ، فقد كان الايمان بقوى الشياطين ، او النسوة الساحرات ، او العيون الشريره ، غير مناف للمعتقدات الدينيه القائمه على الاوهام والخرافات ، والتي كان يقوم عليها الكهنة الاطباء الذين عرفوا باسم (اشيبوا) •

وقد تطورت صناعة الطب في عهد الملك العظيم (حمورابي ١٩٤٨ - ١٩٠٥ ق•م) ، فاحرزت طائفه الاطباء التي كانت تدعى (آسو) ، وهي الطائفه التي كانت تقوم على الجراحه ومداواة القروح واللدغات وتجبير الكسور ، احرزت هذه الطائفه تقديرا كبيرا • فبينما كان الكهنه مسؤولين امام الآلهه ، كانت طائفه (الآسو) مسؤولة امام الحكومة ، وتسير وفق قانون كان وضعه (حمورابي) لينظم فيه الطب • ولاول مره في تاريخ البشريه تنشا مهنة منتظمة للاطباء ذات اجور وعقوبات يحددها القانون • وكان المرضى يدفعون الاجور بحسب مراكزهم الاجتماعية • اما اذا اخطا الطبيب او اساء الصنيع فقد كان عليه ان يدفع للمريض تعويضا قد يصل في بعض الاحيان الى قطع يده حتى لا يمارس صناعة الطب بعد ذلك • ويتضح من هذا ان الانسان البابلي كان لزاما عليه ، لكي يصبح طبيبا ، ان يكون على حظ وافر من الشجاعة • ومع ذلك فقد كان الاطباء البابليون من الشهره وذيوع الصيت بحيث كانوا يستدعون الى مصر للتشاور مع زملائهم هناك •

الطب الشعبي الآشوري :

وتنتهي حضارة بابل ، ويؤول الحكم الى الآشوريين • ونرى الملك العالم (اشور بانيبال) يحتفظ في دار كتبه باكثر من ثلاثين الف لوحة طينيه • كان منها ثمانمائه لوحة نقشت عليها نصوص طبيه • ويعود الفضل في قراءه هذه

اللوحات الى الدكتور (كامبل طومسون) ، الذي كشف النقاب عن الكثير من المعلومات الطبيه التي كانت سائدة ايام الآشوريين . ويبدو ان القوم قد ورثوا معتقدات وشعائر اجدادهم ، فالامراض من اعمال الارواح الخبيثه والشياطين والعيون الحاسده .

وكان التشخيص الآشوري لا يتطلب اكثر من مناظرة ومناقشة المريض . اما العلاج فكان يحدد بالتخمين والتنجيم . وفي بعض الاحيان كان الكاهن يتلو بعض الرقى على بعض دم المريض او لعابه او بوله . وتشير بعض اللوحات الطبيه الاشورية الى ان الفلك وعلومه قد استعمل كطب فلكي .

بيد ان الطب الرسمي الآشوري لم يعترف بتجارب الطب الشعبي . فقد اشار بعض كتاب الحضاره الى ان التشريح الآشوري للكبد كان ابعد ما يكون عن الشعوذه والتخمين ، كما ان ـ تشخيصهم لبعض الامراض كان يعتمد على اساس من العلم ، فقد كان الطبيب ، على سبيل المثال ، يقدم للمريض كبد شاه ليتنفس فيه ومن ثم ينقل اليه اعراض مرضه . ثم يفحص الكبد بعد ذلك ويستنتج منه المعلومات عن سير المرض ، وهكذا .

الطب الشعبي المصري :

اما طب مصر القديمة فقد عرف عنه الباحثون اكثر مما عرفوا عن مراكز الهلال الخصيب الثقافية الاخرى ، لكثرة ما ترك القوم من آثار لا تزال شاخصه ، لعل اهمها ـ الاهرامات وما فيها والموميات ، واوراق البردى التي تروى القصة الكامله لهذا القطر صاحب الحضاره العريقة .

ولم يحدثنا المؤرخون حديثا مطولا عن طب مصر الشعبي ، ومع ذلك فيمكن للباحث ان يفترض وجود الطبيب الساحر الذي كان يستدعي ليمارس مهنته . ويحدثنا كتاب (الطب المصري القديم) عن قصة استدعاء السيدة (خاييت) ، احدى الاميرات المصريات ، لطبيب روحاني بقصد علاج زوجها ، وبعد ان استعرضت قائمه الاطباء ، لم تجد احذق ولا امهر من (بنامون) في علاج امراض الراس . فحضر قبل المساء ومعه تابعان يحمل احدهما كتابا اسود بينما يحمل الآخر سله مليئة بالعقاقير اللازمة للرقيه ، مع كمية من الطين لعمل التماثيل الصغيره ، وبعض النباتات الجافه والرطبه ، وبعض الاقمشه ، والمداد الاحمر والاسود .

نظر الطبيب الى المريض نظرة واحده فتعرف على المرض . ثم قال ان روحا خبيثه قد تقمصته ولا تزوره الا ليلا . فتناول بعض الطين ومزجه ببعض الحشائش ، وصنع كرة وتلى عليها رقيه . ثم وضع المريض تحت حماية الآلهة مدة من الوقت . ولما لم يتقدم المريض نحو الشفاء ، فقد اعاد القراءه في الكتاب الاسود . وبعد لاي خرج الى النتيجه القائلة بضرورة وضع كل عضو من اعضاء المريض تحت رعاية اله من القوى الآلهة ، وصرح بانه يعالج الآن بكل العلوم المعروفة في مدينة (عين شمس) .

ولما لم يفلح هذا ، لجأ الطبيب الى رقية اخرى تلاها اربع مرات . وفي كل تلاوة كان يمرر الكره تحت راس المريض . ثم اسر في اذن الزوجه قائلا بانه اذا ما اقبل الليل فسوف تعجز الأرواح الخبيثة عن الحاق الضرر بجسم المريض ، لأن الروح الشريرة ستفقد قوتها ما دامت الكرة باقية في مكانها .. الى آخر القصة التي تشير الى ان الداء كان باطنيا ، الامر الذي غاب عن الطبيب الساحر اكتشافه مما ادى الى موت المريض .

ولقد كان الطب المصري حوالي (٢٠٠٠) ق.م. يتاثر بتعاليم الآلهه الذين كانت لهم

رؤوس الطير والحيوانات • فكان (تحوت) اله الحكمة له راس طائر ، و (سخمت) المعني بشؤون الحمل والميلاد ، له راس سبع ، و (هورس)اله الصحة ، له راس حمار ، وهكذا •

بيد ان اله الطب المصري (امحوتب) كان له اصل في الواقع • فقد كان ، على العكس من الآله الذين سبق ذكرهم ، اول طبيب يصل الينا اسمه عبر التاريخ • وظلت تعاليمه الطبيه تهيمن على مهنة الطب طوال العهد الفرعوني ، اما في عهد الاغريق فقد كانت معابد هذه الشخصيه مدارس للطب يتلقى فيها الطلبه تعاليم هذه المهنه • ومما لا شك فيه ان هذه الشخصية قد اخذت ترتفع في نظر المصرين حتى بلغت مرتبة التقديس ثم مرتبه الآلهه •

ويبدو ان المصرين قد تناسوا اباه وامه • فقالوا انه ابن المعبود (بتاح) • اما امه فهي المعبوده (نوت) •

وحقا فقد كان (امحوتب كاهنا عظيما • وكان عمل الكهانه يحتم على القائمين معرفة التحنيط واصول الطب وطريقة تحضير العقاقير• ومع ذلك ، فلم يكن (امحوتب) طبيا فحسب ، بل كان فوق ذلك سياسيا ومهندسا معماريا عزي اليه تصميم هرم سقاره ، اقدم بناء قائم على وجه الارض •

ولم يعرف بالضبط كم سنة عمر (امحوتب) • لكن يستدل من الاعمال المعمارية التي تمت في حياته ، ومن صيته الذائع بان كان من المعمرين ، وقد بدا تقديسه بعد وفاته ، فاقيمت له المعابد في كل انحاء مصر والعالم القديم آنذاك • وكان المعبد الذي دفن فيه في (منيف) يستقبل المصابين بعاهات وسقام • وبعد ذلك شيدت له عدة معابد اقيمت فيها الصلوات وقدمت فيها القرابين طلبا للشفاء من امراض ستعصيه وغير قابله للشفاء • وقد عبد في مصر كلها كما عبد في بلاد النوبه • وكانت النسوه تضع احجيات صغيره على كل تماثيل امحوتب اثناء الحمل ليخفف عليهن آلام الوضع• وبذلك يكون (امحوتب) اعظم شخصية طبية واضحة في ظلام التاريخ القديم •

وقد تطورت العقائد الدينيه في عصور الاسرات ، حتى اصبحت قلوب الشعب المصري عامرة بايمان قوي ، كان مصدره وجود قوة خارقة في الطبيعة يهيمن عليها اله واحد هو مصدر كل القوى • وقد عاش المصري حياته الدنيويه بكل ابعادها • ومع ذلك ، فقد كان يعتقد ان مسكنه في الدنيا منزل ضيافة ، نسبه الى تلك الحياه القصيره التي يقضيها على الارض • وهذا يعني ان المنازل الحقيقية هي المنازل الابدية • لذلك راح المصريون يهتمون بمقابرهم اهتماما بالغا ، متجاوبين مع الفكره القائله بالخلود النهائي وبقاء الشخصية •

وما من شك في ان فكرة التحنيط التي ولدتها بالضرورة فكرة الخلود النهائي ، فكرة شعائرية قررتها عقيده شعبيه سببها ، فيما يبدو ، الزوجان الشقيقان (ايزيس واوزوريس) • ومن فكرة خلود الروح نشأت فكرة التحنيط • وهي محاولة لحفظ شخصية الميت • اذ ان الاعتقاد السائد بين المصرين ان هذه الارواح المنطلقة جميعا خالده في عرش (ازوريس) •

لذلك فقد اطلق على الشخص بعد الموت اسم (ازوريس) • وكان اهله يعتنون بجسده كما اعتنت (ايزيس) بجسد اخيها وزوجها •

والباحث في مواد التحنيط يلاحظ انها مواد نبتت او صنعت في مصر • وهذا يعطيها الصفه

المحلية • كما يلاحظ ان ثمة نوعين من المحنطين : الجراح الكيماوي ، والمحنط المتخصص في الكتفين واللف • واذا اتخـذ الاول صفة الطبيب المتخصص ، وقد كان يولي هاربا بعد القيام بعمله فيتعقبه الحاضرون سبا ورجما ، فقد كان الثاني معنيا بتطهير الجثه ملء داخلها بالعطور والعقاقير ، ثم نقعها بمحلول (النطرون) • وبعد انقضاء مدة سبعين يوما ، تستخرج الجثه من السائل المذكور لتجفف ثم تلف في شرائح من نسيج الكتان المشبع بالصمغ ، والذي كان يستعمل على نطاق واسع بدلا من الغراء • وعلى الرغم من تعقيد عمل المحنط هذا ، الا ان الباحث لا يستطيع ان يفرق بينه وبين (المكفن) الذي يتولى الان مهمة غسل الميت وتكفية ثم مواراته في القبر •

وهكذا نلاحظ كيف نشات فكرة التحنيط نشاة دينية عقائدية ، كما لا حظنا كيف تكفل بعض افراد من الشعب المصري بمهمة اجراء الطقوس الخاصة بهذه العقيده • كما كانت العزائم والرقى والا حاجي تقرا على الاحياء ، فقد كانت تقرا على الاموات اثناء عمليات التحنيط • فقد قراوا العزائم لترد البصر للعينين ، والكلام للسان ، والسمع للاذنين ، والحركة لليدين ، والمضغ للفم • كما استعانوا بالاحـاجي لاحياء القلب وبالبخور لاستـرجـاع الدفء ، وبسكب السوائل لاعادة الرطوبة • ثم اقاموا الولائم ليشاطروا فقيدهم فرحه وسروره وهو ينتقل الى المنزل الابدي ، واثثوا المقابر لتطيب الاقامة له وليتنعم بها •

الطب الشعبي الفارسي :

ونعود ثانية الى بلاد ما بين النهرين فنراها وقد اصبحت تحت حكم الفرس الذين ادخلوا للبلاد حضارة مغايره لتلك الحضارة التي كانت سائده • ولقد كان الفرس اصحاب منهج خاص في طبهم الشعبي •

الا انهم لم يضيفوا كثيرا الى طب القدماء • وكل ما نعرف عن طبهم انه كان مستقى من كتابهم الديني (زاندافستا) ، الذي ذكرت فيه عدة امراض • وكان علاجهم ، الذي مارسه الكهنة على الاكثر ، مقصورا على طرد الشياطين من جسم المريض وتطيره بالرقى والصلوات وبخور الاعشاب ، وما الى ذلك •

ويستمد الطب الفارسي اهميته من موقع فارس بين الشرق والغرب • وقد افاد طبهم من ثقافة الاغريق ، كما افاد من طب الصين والهند • وعندما افل نجم الحضارة الرومانية ، صان الفرس تراث الاغريق الطبي ، واسلموه الى العرب الذين صانوه وضافوا عليه اضافات افادت منها الانسانية جمعاء •

الطب الشعبي الاغريقي :

وعلى الجانب الآخر من البحر المتوسط ، ازدهرت في جزيرة (كريت) حضارة قيل انها ضارعت في العراقه المصريين ، وكان اهلها هم (المنيسيين) ، الذين رمزوا للشفاء بالحيه ، كما كان الحال عند خلفائهم الاغريق •

وما من شك في ان بعض المرافق الصحية التي عرفت فيما بعد انما اخذت عن هؤلاء القوم بل ان بعض كتب الطب المصري القديم قد اشارت الى وصفات المنسيين الطبيه •

وحوالي (١٢٠٠) ق•م• تدمـر القبـائـل الاغريقية التي تدفقت من الشمال حصن طرواده آمر معاقل المنسيين ، فدالت دولة ، وقامت اخرى تمهد لعصر من ابهى عصور المعرفة في التاريخ •

ولقد تاثر الاغريق في حياتهم اليوميه بما كانوا يحسونه من قرب آلهتهم منهم ، عندما

تصوروهم يعيشون على جبل الالب • وقد زعمت اساطيرهم وخرافاتهم بان الآلهه كانوا يهبطون الى الارض بين الفينة والفينة ، مشاركين الناس افراحهم واتراحهم وما يعتادهم من قضايا وشؤون خاصة وعامة •

ومن هنا امكن القول بان طبهم كان مزيجا من حقائق وخرافات • ومن يقرأ الارتجالية الثالثة للشاعر الاغريقي (بندار) يحس ان (اسكولابيوس) شخصية خرافية لا اساس لها في عالم الواقع • بينما اعتبر عند (هوميروس) الذي تنسب اليه الالياذه والأوديسة بشكل من الاشكال ، شخصية واقعية من لحم ودم • ويحدثنا (هوميروس) بان (اسكولابيوس) قد تزوج وانجب فكان له ابنتان وثلاثة اولاد • فابنه الثالث ، على سبيل المثال كان جراحا وكان طبيب (منلاوس) الخاص اثناء حصار طرواده •

والباحث في الالياذه يلاحظ ان ثمه وصفا لاكثر من مرض • ويحدثنا (هوميروس) عن الوان من الطب العلمي ، وعن التداوى بالاعشاب ، وعن رعاية خاصه للجروح • وتؤكد الالياذه ان نسبة الوفيات بسبب الجروح كانت عاليه ، وان امراضا معينه قد حصدت بعض الارواح كما كان يحدث دائما في الحروب الى عهد قريب • والشيء الواضح من الالياذه ان مهنة الطب كانت محترمه ، وان دور العلاج ومنازل الاسعاف ، التي كانت تسمى (اسكليبيا) ، قد انتشرت في شتى انحاء اليونان •

ويبدو ان المعابد الاغريقية ، او معابد (اسكولابيوس) قد كانت دورا للعلاج • وقد اقيمت هذه المعابد على جبال كانت تكسوها الاشجار ، وكان المكان يختار بعناية • وكان يفضل المياه المعدنية المكان القريب من وعلى المريض اثناء دخوله ان يتلو بعض عبارات دينية ويقدم القرابين • وفي اليوم الثاني ، يخبره الكاهن الطبيب بان الثعابين المقدسة قد لعقت الجزء المريض من جسمه أثناء الليل • اما اذا لم ينم المريض ، فان ذلك يعتبر دليلا على عدم ايمانه بالشعائر الدينية ، وان عدم شفائه لا يمكن ان يكون نتيجه خطأ العلاج •

ومهما يكن من شيء فقد جاء علاج الايحاء بنتائج مرجوه • وفي مثل هذا الجو ، وتحت رعاية الكهنه الوقورين الاجلاء ، كان لا بد للمريض من ان يشعر بالخلاص من نصف علله على الاقل • فكل شيء يوحي بان (اسكولابيوس) يتجلى للمريض في هالة من نور ليفحصه وليصف له الدواء الناجع • والجدير بالذكر ان الاسكندر الاكبر ، مع بعض اتباعه ، قد نام ليلة واحدة في اعقاب غزوه بلاد الفرس في هيكل (اسكولابيوس) بغية طلب الشفاء •

وقد ادرك الاغريق ان هذا الطب الكهنوتي محفوف بكثير من الوان الشعوذه والدجل • فلجاوا الى اقامة حمامات ومسارح للرياضة واخرى للتمثيل علها تساعد في عملية الشفاء • ويحدثنا المسرحي الفكاهي (ارستوفانيس) في مسرحية (بلاتون) عن اله ضرير نام في الهيكل ملتمسا ان يرد اليه بصره • ويشاهد (اسكولابيوس) وهو يمسح عيني (بلاتون) بقماش معقم ، ثم تعقبه ابنته (باناسيا) فتعصبهما بعصابه حمراء ، ثم يصفر (اسكولابيوس) فتاتي حيتان عظيمتان وتحرشان راسيهما تحت عصابه الاله الضرير ، وتلعقان اجفانه ••• وينتهي العلاج •

وقد اخذ العقل الاغريقي يتسع لحق الفرد في حرية الفكر وحرية التعبير • ولاول مرة في تاريخ البشرية يتحرر الرجل العادي من سيطره

الرهبان ، وسيطره التقاليد ، وبطش القوانين ، وتعسف الغزاه • كذلك بدات طوائف متعلمه تنتقد حياة الاغريق وتمهد الطريق لفلسفات جديدة وعلوم وفنون وآداب •

ويبدو ان الفلاسفة قد ولدوا في العهد الواقع بين اسكولابيوس وابقراط ، أو بين هومر وبركليز القائد والخطيب المفوه • ولاول مره يصطدم الطب الكهنوتي بالفسفة المبنية على الحقائق • فكانت مدرسة (فيثاغورس) الرياضية ، ومدرسة (انكاجوراس) التي تتلمذ عليها سقراط ، وغير ذلك من المدارس الاغريقية •

ولقد اعتبر (ابقراط) عند الغربيين مؤسس الطب ، لانه اضفى لاول مره روحا علميه • فابدل الخرافات بالتشخيص الواقعي والعلاج الفني • وكما نبذ هو وحواريوه كل ايمان بعلاقه الشياطين والشعوذة والسحر بالامراض ، فقد اضفى على الطب ، لاول مرة ، صفته الاخلاقية • واشتهر (بقراط) بتعبيراته التي جرت مجرى الامثال على شاكله : التجربة مجازفة ، ازمة عابرة ، انتهاء الغيبوبة بنوم دلالة سارة ، وما الى ذلك من التعبيرات الطبية التي نجد فيها دعامة قوية للطب السليم •

الطب الشعبي الروماني :

وعلى الرغم من وراثه الرومان لحضارة الاغريق ، وتدريب الاطباء على آيدي الاطباء الاغريق الا ان الطب الكهنوتي قد دخل العقلية الرومانية من جديد • ففي سنة (٢٩٣) ق•م ، اصيبت روما بالطاعون ، ولما فشلت كل الوسائل في وقف الوباء ، ارسلت المدينه وفدا الى كهنة (اسكولابيوس) يطلب العون • وبينما كان اعضاء الوفد في المعبد ، جاءت الى الميناء حية مقدسه ، قيل ان (اسكولابيوس) بعث بها ، فدخلت السفينة الرومانية وألقت رحلها في حجرة عضوين من اعضاء الوفد • وبينما كانت الفلك تمخر العباب عائدة الى روما ، انسابت منها الحية سابحة الى جزيرة المرض • وينتهي للتو وباء الطاعون ، ويطلق على الجزيره اسم (اسكولابيوس) ، ويقام بها هيكل لتمجيدة • وتنقش صورته على صخرة في صدر الجزيرة ، هو والحية ملتفه على العصاه التي كان يحملها • ويصبح الهيكل مستشفى للمرضى من الرقيق والفقراء •

ومع ذلك ، فقد تابع الرومان الخطوات الطبلة الاغريقية ، وخصوصا ما كان يتعلق منها بالصحة العامة•فقد عنى (الاتروسكانيون) بتجفيف البرق والمستنقعات التي كانت تحيط بالمدينة وتنشر الملاريا • وقد سنت روما قوانين لبناء المساكن ونظافة الطرق ومراقبة الاسواق ونظافتها ، كما فرضت نظاما للتخلص من جثث الموتى •

وقد لمع اسم (جالينوس) ، الذي درس الطب في الاسكندرية وعاد بعد تخرجه الى (برجاموس) ، ليعين بعد ذلك جراحا للمصارعين • ولقد دامت ثقة العصور التالية بـ (جالينوس) أمدا طويلا بسبب من انه كان آخر عملاق من عمالقة الطب في التاريخ القديم وانه فوق ذلك كان يؤمن بوحدانية الله ، وان لم يكن مسيحيا •

الطب الشعبي العربي :

شعر الانسان العربي الذي عاش الجاهليتين ـ الاولى والثانية ، كغيره من البشر ، بنعيم العافية وشقاء المرض • فكافح في سبيل العافية والمحافظة على صبته على اساس اجتناب مسببات المرض • ونراه يعزي الامراض التي تنتابه الى قدرة خارقة غير مرئيه ، وارواح

شريره ، وعين مؤذية • ويقاوم كل ذلك بما اوحى اليه عقله من وسائل الكهانه والعرافة والزجر والتنجيم والسحر والطلاسم والرقى والتعاويذ •

وبشكل عام ، فقد كان لعرب الجاهليه حظ موفور من معرفة الطب المبني في غالب الاحيان على التجارب الشخصية والمتوارثه ، وعلى الوصفات التي لم تخضع لقانون معين • ومع ذلك ، فقد كان عماد معالجتهم الكي بالنار الذي يكاد يكون الدواء الوحيد للامراض المعضله •

وكان الجاهليون يعتقدون ان سبب الامراض ارواح شريره لا يوقي منها ولا يشفي الا السحر والتمائم على يد الكهان والعرافين وزاجري الطير والعيافين والسحره والمشعوذين • ويبدو ان اطباءهم كانوا ثلاث فئات : تعالج او تتقي الامرض بالنصح ولارشاد ، وفئة تدوي بالادوية وتصنع المراهم والاشربة وغيرهما وفئة ثالثة تعتمد في الوقاية والشفاء على سبل خارقه للعاده منها : التبرك والتوسل بالاصنام التي قيل نها وسائط تدفع الاذى والشر وتجلب النعيم والخير •

بيد ان ثمة طبا اختص به العرب دون غيرهم • فالكهانه ، وان شاعت عند اكثر الامم فقد كانت عند العرب تتسم بسمات لا نجدها عند غيرهم • فالكهان العرب لهم تابعون من الجن يلقون اليهم الاخبار • وكان الكهان هؤلاء يروجون اقاويلهم بطريقه خطابية تمثيلية ويتخذون من الاسجاع وسيله لاستمالة السامعين والتاثير عليهم بالايحاء •

وقد سمى عرب الجاهلية العراف طبيبا ، وان كانوا يتوسلون بالعراف ليدلهم على ما مضى من امور • فاحدهم يقول :

فقلت لعراف اليمامة داوني
فانــك ان داويتني لطبيب

وكان العرافون يدعون بانهم يستدلون على الامور الماضيه أو الحاضره أو المقبله باسباب ومقدمات • وقد سمي محترف العرافة بالعراف • وكان في العرب عدد كبير من العرافين لعـل اشهرهم – رباح بن عجله والابلق الاسدي وغيرهما •

وكما عرفت عنهم الكهانة والعرافة ، فقد عرف عنهم الزجر • والزجر هو الاستدلال باصوات الحيوانات وحركاتها وسائر احوالها على حاضر الانسان العربي ومستقبله • وكان الزاجرون يوحـون الى الناس بقرب حـدوث الامراض والاوبئه بواسطة تيامن او تياسر لطيور •

اما فيما يختص بعلوم التنجيم والطلاسم والحروف ، فقد لوحظ انها علوم تستطيع النفوس البشرية بها ان تؤثر على العناصر المحيطه بها • مثال ذلك ، زعمهم ، فيما يتعلق بالتنجيم بان بين طلوع النجوم وغروبها امراضا واوبئة وعاهات تنفثها النجوم في الناس والابل • وكانوا ينسبون الى النجوم هذه التاثيرات من خير وشر •

اما السحر فقد زعموا انه يؤثر في الابدان والقلوب والعقول ، فيقتل لعدد ، او يفرق بين المرء واقرب الناس اليه • ومن هنا امكن التفريق بين السحر والطلاسم •

فبينما نلاحظ ان السحر انما يقوم على فعل الشر في الغالب ، نرى ان غاية الطلاسم هي اجتذاب المؤثرات لحميدة وتوفير الالفة بين المتحابين واجتماعهما من جديد •

واما اسرار الحروف ، فيزعم محترفو هذا العلم ان للحروف جسما وعقلا وروحا ونفسا وقوة كلية • وقد كان بعض الافراد الذين برعوا في الشعوذه ، يمزجون قوى الحروف والكلمات

بقوى الكواكب ، فيرشدهم هذا المزج الغريب الى الامراض والادوية وهو علم ، كما هو واضح ، ماخوذ من البابليين الذين برعوا فيه .

ولقد تعلم الجاهليون ممن سبقهم من الامم ، ان هناك من الوسائل ما يدفع الشر ويجلب الخير ، فاليشب ، وهو حجر كريم يماني الاصل ، يقي من العين . والعقيق ييسر شفاء عضة الكلب المسعور ولـدغة الافعى ، والزمرد يحول دون اذى العائن ، وكانت الخرزات عندهم على انواع منها ـ التميمه ، والسلوانه والعقره ، والكحله ، وغير ذلك .

ومن هذه الوسائل ما قيل من ان العرب كانت تعلق على جسم الصبي سن ثعلب ، او سن هره ، خوفا عليه من الحسد . ومن مذاهبهم ان الانسان اذا خدرت رجله او خدرت ، ذكر من يحب او دعاه فيذهب الخدر . وفي ذلك يقول كثير عزه :

اذا مذلت رجلي ذكرتك اشتفي
بدعواك مـن مذل بهـا فيهون

واذا اختلجت عين الانسان اليمنى ، فعليه ان يستبشر خيرا : قال احدهم :

اذا اختلجت العين اقـول لعلها
فتاه بني عمرو بها العين تلمع

اما اذا اختلجت العين اليسرى ، فقال نحس :

خلجت قبل نلتقي عيني اليسرى
وربع الفؤاد روعـة طائـــر

وما الى ذلك من الاوهام التي لا تزال سائده في الافهام الشعبيه وغير الشعبية في معظم انحاء الوطن العربي .

ولقد شهر عند العرب اطباء طبقت شهرتهم الآفاق ، من مثل ـ لقمان الحكيم الذي اشاع حكما امثالا لها صلة بالطب والنفس والعلاج على شاكله :

ـ كل داء حسم بالكي اخر الامر .

ـ ان طول الجلوس يورث الباسور .

ـ ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب عيش .

اما زهير بن جناب الحميري ، فقد كان كاهن قومه وطبيبهم . واما ابن حذيم ، فقد كانت له قدم راسخه في عالم الطب ، حتى قيل انه كان اطب من الحارث بن كلده . وكما شهرت اسماء لطبيبات من مثل ـ بنت عامر بن الظرب العدواني ، وزينب الاودية التي كانت عارفه بالاعمال الطبيه والعلاج بعامه ، ومداوية لآلام العين بخاصة .

وبذلك يكون الطب الشعبي العربي قد انحصر في العرافين والسحره والكهان ، وقام على التعاويذ والتمائم والطلاسم ولفديات حول لكعبه والاصنام وغير ذلك . وكان قليل من الادوية يعطى لداخل الجسم ، قوامها الاعشاب والمراهم . وكانت الحجامه ولكي اكثر الوسائل استعمالا وتداولا .

ولكن اين يقع طب الانبياء والرسل من طب الامم القديمة ؟ .. مما لا شك فيه ان الانبياء والرسل كانوا فئة تميزت عن غيرها بنقاء السريره وطهارة الضمير والدعوة الى الحق والمساواة بين الناس . ومما لا شك فيه انهم جاءوا بشرائع يكمل بعضها بعضا لهدى الناس الى الايمان وارشادهم لما فيه صلاحهم . ويبدو ان الانبياء والرسل قد عملوا على اصلاح الفرد جسما وروحا ! ذان اصلاح الفرد كان عندهم اول مرحلة من مراحل الصناعة الطبية .

ولقد قيل ان (ادريس) كان اول من نظر في الطب النبوي ، وتكلم فيه ، وخط قضاياه

بالقلم · اما (ايوب) فقد اتصف بالصبر بعد ان تحمل زوال المال والولد ، ووقع تحت وطاة المرض · وقد بشر بالشفاء وشفي بماء اذهب الله بلاءه فيه ·

واما (عيسى) فقد كان اكثر الرسل الذين مارسوا مهنة الطب · ونحن نعرف ان شفاء البكم والعميان والمقعدين كان على يديه · وكان يجتمع عليه المرضى في الساعة الواحدة (خمسون الفا) · فمن استطاع ان يبلغه ويشفيه بلغه · ومن لم يستطع توسل الى السماء بالدعاء بشرط الايمان ·

وفي العهد القديم وصايا صحية تحث على الطهاره والوقاية من الامرض · وكما ذكر العهد القديم وصايا تتعلق بالصفات الخلقيه ، فقد اورد وصايا مستفيضة تحث الناس على ضرورة اجتناب بعض الامراض المعدية ، وعزل المرضى منهم ووضعهم تحت المراقبة ، وغير ذلك مما له صله بالوقاية والمعالجة والتشخيص والشفاء ·

اما القرآن الكريم ، فقد اوحى للرسول (محمد) بآيات تتضمن صلاح الناس من جميع الاقطار - الاجسام والعقول والنفوس · وانعكس وقع ذلك على احاديثه الشريفة ، وما قام به من اعمال تتصل بالصحه وفضل العافيه · ومن احاديثة المنسوبة اليه - (المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء) ·

ولقد اذاع الرسول في الناس تعاليم جديدة وحببهم بالعلوم وفيها الطب ، وشجع على دراسة الطب وعلم الابدان · وقد وصف استاذ الطب في السوربون سنة ١٩٣٦ (سان جورجو دار بلانوفي الرسول بانه من انبل اطباء البشر ، واكد بانه في غزواته يعني بنفسه بالجرحى ، كما كان يستصحب المرضات ويخصهن باعظم رعاية ·

وقد اعترف (الشمردل) ، طبيب نجران الذائع الصيت ، بان الرسول كان اعلم منه بالطب ·

وذكر اصحاب الرسول انه كـان يديـم التطبيب ، وكان يامر بالحمية ، وينهى عمـا يؤذي الصحة كما كان يصف الادوية ، ويحث في حفظ الصحة · ولا غرابة في ذلك ، اذ ان تعاليم الاسلام كانت صحية ودينية في آن واحد ، وان المعالجة والصحة كانا من الموضوعات الدينية التي عالجها الرسول ·

خاتمه :

وهكذا يبدو لنا الطب الشعبي القديم ، منذ اقدم العصور حتى مجيء الاسلام ، مرتبطا بالشعائر والاعتقادات الدينية · كما يبدو ان الدين والطب قد سارا جنبا الى جنب عندما اخذ الانسان ، لاول مرة ، يحاول الخروج من حالته المرضيه الى حالة افضل يشعر معها بنعيم العافية من جديد · ولقد آمن بوجود آلهة استعان بها ضد العناصر المؤذيه بدافع حب البقاء له ولذويه ، الامر الذي قاده الى ايجاد (الصيدلية الاولى) ، و (الطبيب الاول) · ومع ذلك فقد تخيل قيام آلهه للخير وآلهه للشر تتحكم في الحياه والموت · فكان عليه ان يسترضيها · ومن هذه العقيده البدائية ، نشات لدية فكرة الاحاجي والرقى السحرية والتمائم ، فكانت عدته الرئيسيه في مكافحة الامراض الى الكاهن والعراف والطبيب · وعلى لرغم من مجيء الاديان لسماوية بتعاليم حدت من تغلغل الطب الشعبي في المجتمعات الشعبية وغير الشعبية ، الا ان الطب الشعبي استطاع ان ينفذ من حصار الاديان له ، وان ينشر ظلاله على كل المجتمعات بما في ذلك المجتمعات التي قامت تجاربهـا على العلم واحتفلت بمجيء الاديان ·

د· هاني العمد

مراجع الدراسة :

١ ـ احمد شوكت الشطي ـ الطب عند العرب ـ القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة (ب٠ت) ٠

احمد شوكت الشطي ـ تاريخ الطب ، ج ، ١ ، ج ٢ ـ دمشق ، الجامعة السورية ، ١٩٥٨ ٠

٢ ـ امين اسعد جبر الله ـ الطب العربي ، ترجمة مصطفى ابو عز الدين ـ بيروت ، المطبعه الاميركانية ، ١٩٤٦ ٠

٣ ـ امين رويحه ـ التداوى بالايحاء الروحي ـ بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٩ ٠

٤ ـ بروان ، ادوارد جي ـ الطب العربي ، ترجمة داود سليمان علي ـ بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ ٠

٥ ـ جارفيس ، د٠س ـ الطب الشعبي ، ترجمة امين رويحه ـ بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٩ ٠

٦ ـ جارلند ، جوزيف ـ قصة الطب ، ترجمة سعيد عبده ـ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ ٠

٧ ـ حسن كمال ـ الطب المصري القديم ٤ ج/ط ٢ ـ القاهرة ، المؤسسة المصرية ، ١٩٦٤ ٠

٨ ـ عبد الحميد العلوجي ـ تاريخ الطب العراقي ـ بغداد ، مطبعة اسعد ، ١٩٦٧ ٠

٩ ـ عمر فروخ ـ تاريخ العلوم عند العرب ـ بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ ٥

١٠ـ قدري حافظ طوقان ـ العلوم عند العرب ـ القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٠ ٠

١١ـ مريد يني ـ المرض والشفاء ـ من الفراعنه الى الآن ـ القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٨ ٠

المراجع الانجليزية :

١٢ ـ Bey, G.P. Sobhy (Lectures in tht history of medicine) Ciro, Fouad I University Press, 1949.

١٣ ـ Lasagna, Louis (The Doctor Dilemmas) New York, Colliet Books, 1962.

١٤ ـ Sylvester, D.W. (The Story of medicine) London, Edward Arnold (Publishers) LTD. 1962.

قاعدة لتوطيد القصص الشعبي

تأليف : د. ديتر جلادة

ترجمة : د. محمد عوض

اذا رويت الحكايات الالمانية الخيالية ، واليونانية او الروسية ذات الانطباع الديني ، التي لا تزال تروى من قبل راويها في الاسواق الشرقية ، ومن الغريب بتلك القصص انها تنقل من فم الى فم ، ومن بلد الى بلد خلال مئات السنين دون تغيير في جوهرها .

ان بقاء هذه القصص ، التي يمكن اثباتها القصص الشعبية ، كان لها استفسارات مختلفة ،

لقد نبه من قبل الى قوة ذاكرة هؤلاء الاشخاص الذين يتكلمون هذه القصص ومثلا على ذلك المرأة ماريا ديمتروف التي كانت تتكلم حوالي (٣٠٠٠) سطر من ذاكرتها[١] .

او ذات الشخصية في هذا المجال اكبرت كيرتس[٢] .

وكما اظهر اكس اولريك شكل وتنظيم القصص الشعبية .[٣]

ان الشخص الذي يروي تلك القصص يملك شعورا قويا الى بقاء قصصه والتي تنقل الى شعوب اخرى كما هي وبنفس الوقت تملأ فراغا كبيرا . اذا لم يوجد مثلا بجانب الشخص الرئيسي الشخص الشرير او يأخذ بطل القصة بدلا من ثلاث تجارب اثنتين يستطيع بذلك ان يصل الى حق المساواة لهذا النوع وبالرغم من ان نوعية هذه القصص ليست هي بموضوع جامد بحيث ان الراوي حسب العادة يقوم بالقاء القصة ولكن الاشياء البسيطة حسب كورت رنكه هي عبارة عن قوة الانسان الروحية والعقلية التي تظهر باطارها الحقيقي .

وبهذا يكون قانون الاطار والاسلوب مأخوذ به وبذلك يستطيع الانسان ان يقول ان اسلوب حقوق القصص الخرافية من فم الشعب الراوي والذي يطابق نظرية فلتر اندرسون الوارد بها فن نفس حقوق هذه القصص وتكوينها .[٤]

ان قضاء وقدر هذه القصص من كريم وموسيوز من الشعب تظهر مدى اهمية معنى القصة الخيالية

كمجموعة تقال من الآخرين ان الانشدة التابعة من الشعب لا تفهم بل تغير بمعنى افضل ٠ وبهذا تصبح القصص الخيالية من القائلين انفسهم اما مسجونة كالعبيد او مصيرها الموت ولكن معظم الاحيان تتقرب هذه الاناشيد الى بعضها البعض من طبيعتها ومن اسلوبها الخاص ولكن عنصر القصص الذي يبعد عن الخيال فمصيره الفناء او التغيير وليس هذا او بالاحرى ليس من الاسباب تكنولوجية بل حسب مدى الحاجة الداخلية الى القائل والمستمع(٥) .

البرت فيسليسكي بالعكس يناصر بان القصص الشعبية في معظم الاحيان مجرد مرجع ادبي الذي هو من الشعب نفسه بادر ان يصلح أو يتحسن وبذلك كان رأيه الخاص ان معظم الاستلام الشفوي وايضا الوجود من القصص الشعبية في الادب متعلقة تماما بالكتابة والتي من فم الشعب بارزة الطبع(٦) ٠

هذه التفسيرات شرحت من فلتر اندرسون موضع الخطأ / وان توطيد القصص لا يصبح من خلال تأثير ادبي مبرهن او نظرية مجده ، لان الطبعة الشفهية تكون دائما ضد الكتابة ٠

ان قوة وفكر الناس الذين يفقهون الكتابة والقراءة ليسوا هم السبب وان قوة ذاكرة الانسانية يجب ان لا يستهان بها واذا كان هذا التفسير لا يطابق مطلقا الحقيقة القائلة ان طبعة القصة في شكلها القديم وشكلها الطبيعي في معظم الاحيان تشابه جدا ولكن لا يمكن ان تكون نفس الشيء تماما ٠

ان كل طبعة تظهر فراغها او جملها او انحرافها الخاص ولكن بالتجول من فم الى فم بتعادل الانحراف وتملأ الفراغ ويرى الشيء الاضافي من هذه لقصص ٠

ولكن اندريسون رفض النظرية القائلة بان القصص الشعبية تعتبر وحدة من الواقعية والاصطناعية والتي تحقق البقاء بنفس الوقت ٠ ان قائل الرواية الصحيح يستطيع من الطبعة المتغيرة ان يفني الاشياء الاضافية بها ولكن لا يستطيع ان يملء فراغها وان يعيد اليها كونها الاصلي وخاصة اطارها الفاسد ٠ ولهذا وضع البروفسور اندريسون في فوتوغرافيته القصصية عن قيصر وابت نظريته الخاصة عن توطيد القصص الشعبية وان قانونه وهو مساواة النفس يقول :

ان البقاء الغير الطبيعي للقصص الشعبية يفسر من خلال النقاط الآتية :

١ ــ ان كل راوي لهذه القصص لم يسمعها من سابقه مرة بل عدة مرات ٠

٢ ــ انه في الحقيقة لم يسمعها

من شخص واحد بل من اشخـاص كثيرين بانواع مختلفة ٠

ان النقطة الاولى تعني الاخطـاء والراغات لتي تنتج عن ضعف ذاكرة المستمعين وكذلك الانحراف الـذي يسمح الراوي باستخدامه ٠

اما النقطة الثانية فتبقى الإخطاء والانحراف التي هي تعتبر من منبـع المستمعين ٠

هذا القانون الشعبي وجـد الى حد بعيد موافقة وخاصة عند اصحاب طرق الجغرافيا والتاريخ في المدرسـة الفنلندية اما باحثي القصص وخاصة البرت فيسيلكي فانهم يرفضونـه رفضا باتا ٠

في اواخر السنوات العشر ءال كثير من صاحبي القصص الشعبيـة الى التفسير الذي مرجعه تأثير عوامل مختلفة في صمـود القصص التـي عمادها البرهان الكامل ٠ ولهذا كان فريـد ريش لين وكورت شير مـن الاشخاص الذين وجدوا بجانـب قانون مساواة النفس او قوة الذاكرة تفسيرا الى بقاء القصص الخيالية[٧] ٠

حتى سنة ١٩٦٥ لم يوجـد اي اثبـات بشـكل قانوني ضـد نظرية انديرسون ٠ بروفسور انديرسون قام في القرن العشرين وفي سـنـة ١٩٤٧ بتجارب في هذا الموضوع الذي اثبت قانونه[٨] ٠ وبهذا وافق السيد ليفين سنة ١٩٦٣ ان تجارب السيد انديرسون اثبتت قـانون المساواة بحد ذاته ٠

ان التجارب الشعبية الذي قـام بها انديريسون سنة ١٩٤٧ ، قـد انتقدت مرتين حتـى يسنح فرصـة في ايجاد قانون شعبي جديد ٠

ان السيـد كورت شيرردد في رسالة الـدكتوراه[٩] سـنة ١٩٥٥ انتقاده في تجربة كيلر مع تغيير الاحوال ولكنه لم يستطع بانتقـاده او تجاربه العملية ان تغير أي شيء من تجارب انديريسون ٠

في سنة ١٩٦٦ بحث كاتب هده المقالـة بتجـارب انـدريسون ومشاكلها[١٠] ٠ وهنا اتضـح ان اندرسون بتجاربه العملية لم يحصل على الشروط حسب قانون القصص الشعبية ولانه اختار بـدلا من رواة شعبية بتجـارب يمثلهـا طـلاب واشخاص ليس لهم صلة بذلـك وتبعا الى منبع هذه الغلطة تستطيع نظرية انديرسون ان تعتبر كتفسير في الصمود ٠

والآن يمكن ان تظهر بـدلا من قانون المساواه قاعدة جديدة التـي تعتبر عوامل مختلفة للبقاء والصمود هذا الاثبات الجديد يشمل معلومات شعبية كثيرة ومثيرا على ذلك مراقبات فلتر انديرسون ٠ وثلاث عوامـل مبرهنة من ديتر جلاده واحدة عـلى استناد من جوت فريد هنزن واثنتين عوامـل مكتشفـة من ليوبولـد كريستنياخر ثلاث من شيرولين بارزة

وكذلك قوانين اولريك وايضحـــات فسيكيس عن تأثير الادب ·

وفي سنة ١٩٦٦ يقـــول قانون جلاد ستية لصمود القصص الشعبية وان عوامل توطيط القصص الشعبية كالآتي :

١ ــ سماع القصص الخياليـة عدة مرات ·

٢ ــ رواية هذه القصص عـدة مرات ·

٣ ــ تأثير الطبعة ·

٤ ــ تأثير القصص التي تشابه وكلن غير متعلقة ببعضها البعض ·

٥ ــ تأثـير شكــل واسباب قصص اخرى تأثير الكتابة ·

٧ ــ قوة الذاكرة ·

٨ ــ التأثير النظري ·

٩ ــ واجب نقل هذه القصص ·

١٠ــ شكل واسلوب القانون ·

١١ــ خلق الشيء الحـــديث بهذه القصة ·

١٢ــ ميل المستمعين الموجود ·

منذ السنين التي نشرت بهـــا هذه القوانين الجديدة لم يحدث اي مجادلة بهذا الموضوع وبالرغم مـــن هذا يمكن وجود عوامل تأثير اخرى على صمود وبقاء القصص وان ابحاثي المبرهنة مفتوحة امام من يود ان ــ يكملها ·

الشرح :

(١) ان هذه المقالة التي هي عبارة عن بقاء القصة الشعبية نتجت عن رغبة من السيد نمر مرحان ـ دائرة الثقافة والفنون ـ عمان ·

ترجمت هذه المقالة مع الشكر العميق من السيد الدكتور محمود محمد عوض ـ سلطة المصادر الطبيعية ـ عمان ·

(٢) Otto Boeckel, Psychologie der Volksdichtung. Leipzig 1913, Seite 98

(٣) Gottfried Henssen ueberlieferung and Tersonlichkeit Die Erzaehlungen und Lieder des Egbert Gerrits, Munster 1951.

(٤) KurtRanke, "Einfache Formen", FABULA, Reihe B, Nr. 2, Berlin 1961, S. 6. f; ders., "Betrachtungen zum Wesen und zur Funktion des Maerchens", Studium Generale, 11. Jahrgang 1958. S. 647ff.

(٥) Max Luethi, Das europaeische Volksmaerchen, Form and Wesen, Bern 1960 S. 102.

(٦) Albert Wesselski Der Knabenkoenig und das kluge Maedchen, Prag 1929.

(٧) Friedrich v. d. Leyen Das Maerchen 4. Auflage, Heidelberg 1958, S. 110f.

(٨) I. Levin, "Walter Anderson". Dt. Jb f. Vk, 9. Bd. 1963 S. 293ff.

(٩) Kurt Schier, Praktische Untersuchungen zur muendlichen Weitergable von Volkserzaehlungen, Diss. Muenchen, 1955.

(١٠) Verf., Zum Andersonschen Gesetz der Selbstberichtigung, FABULA Bd 8, Heft 3, 1966.

DAS GESETZ DER STABILITAET VON VOLKSERZAEHLUNGEN von Dieter Glade, Al Fonoon al Sha'abbeyyeh, Heft 11, 1976.

Deutsche Zusammenfassung :

Unter den verschiedenen Erklärungen won Volkskundlern für die erstaunliche Beständigkeit von Volkserzählungen bei ihren Wanderungen von Mund zu Mund und von Land zu Land nahm das 1923 von Walter Anderson formulierte GESETZ DER SELBSTBERICHTIGUNG eine besonderse Stellung ein, da es das mehrfache Hören einer Erzählung von meist mehreren Personen als einzige Ursache der Stabilität zu einem Dogma erhob, das keine offizielle Gegenmeinung zulieB, solange es durch volkskundliche Experimente untermauert war. Um den Weg zu einem umfassenderen volksundichen Gesetz freizumachen, zog Kurt Schier 1955 in seiner Dissertation die Richtigkeit der Anderson'sche Beweise in Zweifel, konnte aber mit seiner Kritik und eigenen praktischen Untersuchungen keinen wesentlichen Baustein aus den Experimenten von Anderson lösen. Eine Untersuchung der Methode Schiers und diedagegengesetzte Kritik Andersons führten den Verfasser 1966 (FABULA Bd. 8, Heft 3, 224-236) zum Nachweis einer Fehlerquelle, die Anderson eingebaut hatte, so daB- "eine Kette ist nie störker als ihr schwächstes Glied" - anstelle des Gesetzes der Selbstberichtigung neue Feststellungen treten konnten.

Das ELADE' SCHE GESETZ DER STABILITAET VON VOLKSERZAEHFUNGEN, das Beobachtungen von vor allem Walter Anderson, Dieter Glade, Gottfried Henssen, Leopold Kretzenbacher, Friedrich von der Leyen, Axel Olrik, Kurt Schier und Albert Wesslski zusammenfaBt, sagt:

Faktoren der Stabilität von Volkserzählungen sind:

1. Mehrmaliges Hören des betreffenden Märchens (des Schwanks, der Legende usw).
2. Mehrmaliges Erzählen.
3. EinfluB von Varianten.
4. EinfluB gleicher, polygenetisch entstandener Erzählungen.
5. EinfluB des Formel- und Motivschatzes anderer Erählungen.
6. EinfluB schriftlicher Fassungen.
7. Optische Einflüsse.
8. Tradierungsverpflichtungen.
9. Form- und Stilgesetze.
10. Modernisierungen.
11. Die beharrende Tendenz des Hörerkreises.

Der Einflub der jeweils auftretenden Faktoren ist verschieden.

Die Ergänzung des volkskundlichen Gesetzes durch den Nachweis anderer EinfluBfaktoren schlieBt der Verfasser nicht aus and bittet ggf. um Nachrichten, Belege, Kritik. Adress: Dr. D. Glade, c/o GOETHE-INSTITUT, 8 München 2, Lenbachplatz 3, BRD.

Der vorliegende Artikel entstand auf der Grundlage des BABULA-Aufsatzes auf Wunsch von Herrn Nimr Serhan, Leiter der Volkskunde-Abteiiung im Dept. of Culture & Arts, H. K. Jordanien. Die übersetzung besorgte Dr. Mahmoud Awad, NRA.

من التراث الشعبي في جزيرة ارواد



للتراث الشعبي في جزيرة ارواد نكهة خاصة ، فالجزيرة اشبه بعالم قائم بذاته ، ذي بيئة خاصة ذات نمط معاشي متميز يمارسه الارواديون باساليب فريدة لانراها في البيئات الاخرى في القطر العربي السوري ، فالتراث الشعبي لهذه الجزيرة لايمكن فصله عن البيئة الساحلية التي تميزت باعتماد الاروادي على البحر كمصدر وحيد للرزق وكسب اللقمة الحلال ، فالبحر رفيق الانسان في رحلة الحياة منذ نعومة اظفاره ، فيتعايش مع مياه وانوائه .. ركب البحر صيادا على شواطئه وجوالا على متن سفنه ، بين الموانيء القريبة والبعيدة ، مجالدا مصابرا حتى لكانه جزء منه .. وهذا ترك في حياة القوم بصمات واضحة ، تبدو في علاقاتهم مع بعضهم واساليب حياتهم وسلوكهم وطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وفيما يتفننون به من قول وحركة وتشكيل مادة ، باسلوب مطبوع بطابع الاحساس الفطري البسيط ، والتعبير الساذج للجمال ، ذلك الجمال العفوي الذي عمل فيه الارواديون بوسائله المحدودة ، تشذيبا وصقلا وتطويرا ، بغية ملاءمته مع معطيات الحياة ، واصطفاء مع ما يتلاءم مع احوالهم ... لكن زحمة الحياة المعاصرة وتعقيدها فرط عقد القوم فتخلى كثير منهم عن بيئته

وطفق يبحث عن سبل اخرى للعيش نتيجة لفقر الجزيرة وجدبها وعدم امكان الاعتماد عليها بوضعها الحالي .. مما جعل معظم التراث ينزوي في زوايا النسيان .. ومن هنا كانت الصعوبة في لم مزقة ، والبحث عن اصوله ورواسبه .. وما نعرضه في هذه الدراسة ، انما هو حصيلة الاتصال بعدد كبير من ابناء الجزيرة ممن آثر البقاء فيها ومن تركها الى غير رجعة .

والصيد سمة خاصة من سمات التراث الشعبي لهذه الجزيرة ، وهو يعتمد على اساليب متوارثة ، لم يطرا عليها كثير من التطوير . فالصياد لا يزال يعتمد على وسائل بسيطة يستعملها باساليب تقليدية . وقد ادى تنوع الاسماك في المياه السورية الى اطلاق اسماء محلية على انواع الاسماك لامكان تمييزها عن بعضها ، صنف منها الاستاذ احمد منصور ما يزيد على سبعين نوعا ، منها ما يتوافق مع التسميات العالمية المعروفة ، ومنها ما هو مشتق من مظهرها الخارجي وهذا جعل لكل تسمية مدلولا شعبيا متميزا ، ونذكر منها على سبيل المثال :

العريس : وهي سمكة جميلة كالعروس ومتعددة الالوان ..

الديك : سميت كذلك لتتوج راسها بعرف لحمي .

النطاطة : لكثرة قفزها في مسيرها .

الزقزوق : لاصدارها اصواتا تشبه سقسقة (زقزقة) العصافير .

البلميد : وسميت كذلك نسبة الى جزر تصطادها بكثرة في اليونان ، وهي سمك الطون ، وطعمه غير مستساغ لدى الارواديين . وقد اطلقوا عليه مثلا شعبيا : «البلميدا كول مرة ولا تعيدا» لذلك فهم كثيرا ما يستعملونه طعما لصيد الانواع الاخرى .

السمنيس : واسمه مشتق من كلمة سم نس (نجس) لوجود مادة سامة في زعانفه تستعملها السمك للدفاع عن نفسها .

الجربيدي : سميت كذلك لامكان صيدها قرب الغبار (العكر) المتصاعد من قاع البحر من جراء جر البيدة وهي قطعة كالمرساة تلقى في قاع البحر لارساء المركب .

الشترب : سميت كذلك لشبهها بقطعة الحبل الخشنة ، التي يربط بها المجداف بالمركب .

المنفاخ لوجود حوصلة منتفخة من الناحية البطنية للسمكة .

السرغور : بسبب اقامته السرية في الكهوف والشقوق البحرية .

الحرطبيز : لتلونه الابيض والاسود على غرار احد الطيور ..

والارواديون يحرصون حرصا بالغا على مراكبهم ويعتنون بها عناية كبيرة ... فترى المرء دائم العناية بمركبه ، يعمل دائما على اصلاحه وطلائه بالالوان الزاهية ... ولا ينسى ان يطلق عليه اسما خاصا به يثير في نفسه الامل والخير والبركة . واذا كان اصلاح المركب يتطلب تعاون القوم ، فانهم لا يبخلون على بعضهم في ذلك .. ويبدو هذا التعاون في عمليتي التحصيل وهي سحب المركب من البث للاصلاح . والكمح وهي انزاله الى البحر غب الانتهاء من اصلاحه او صنعه . فعندما يراد تحصيل المركب ينادي المشوبش القوم :

ياهي .. يا خواتي .. ياهل (يا اهل) الجيرة .. يا هل المروة ..

فيتسارع القوم من كل حدب وصوب وراءه تاركين اعمالهم ، مكونين (فزعة) جماعيــة ، فيمسكون بالحبال المربوطة بالمركب من طرف ومن طرف آخر باوتاد ضربت في البر ، ويسحبون الحبال على بكرات (ليخففوا من وزن المركب) ، وهم يرددون مع المشوبش اهازيج جماعيــة تنظم حركتهم وتثير الحماسة والهمــة في نفوسهم :

يا ستار •• يا ستار ••

يا ستار •• استرها يا رب ••

يا مستعمر روح شفلك (ابحث عن) دار ••

خلص الايجار ••

ودبر حالك بغير هالدار ••

يا بو عباسي ••

كن معانا وساعدنا ••

حسناتك يابو العباسي ••

نحنا (نحن) ولادك يا بو العباسي ••

هيا ليصه (كلمة يونانية لاثارة الحماس) يالله

هي •• هي••

اما في عملية الكسح ، فيفرشون الارض بعوارض خشبية كبيرة يطلونهـا بالشحـم (لتسهل انزلاق المركب الى البحر) ثم يرفعون المركب بروافع خاصة بحيث يمكنهم تثبيـت الازء (وهو عبارة عن جسمين خشبيين يبـرك عليهما المركب) في اسفل بطن المركب ، بحيث يكون ابريمها (وهو ادنى قسم من المركـب ، ويسهل بواسطته شق المركب لمياه البحر) في الوسط • وبعد ذلك يربطون الازء والمركـب بحبال متينة ويرفعونها بحيث يمكنهم ادخال الدعائم المذكورة آنفا تحت المركب ، ثم يدفعون المركب على تلك الدعائم ، فينزلق معهـم الى البحر • فتفك الحبال وينتـزع الازء عـن المركب • وخلال ذلك يرددون اهازيجهم وراء المشوبش :

هي كيريا (كلمة يونانية لاثارة الحماس) هي ••

يا رب العناية يا رب ••

يا الله هاي •• يا الله هاي ••

يا رب اسالك الحمى يا باري يا رب ••

يا الله هاي •• يا الله هاي ••

يارب اسالك العناية يا حامي يا رب ••

يا الله هاي •• يا الله هاي ••

شدوا معنا يالله هاي ••

هيا ليصة يالله هاي ••

شدوا معنا يالله هاي ••

من شان (كرامة الله) الله يالله هاي ••

هيامولا •• هيامولا ••

هيا كيريا •• هيا كيريا يالله •• يالله هاي ••

والله هاي ••

اما وسائل الصيد فهي بسيطة وينحصـر استعمالها على الشواطيء ذات الاعماق الضحلة ، التي تتراوح اعماقهـا بين (١٠ ـ ٥٠) مترا في القيعان الرملية ، علما ان لكل صياد طريقتـه الخاصة ، وهو في كل يوم : يكيفها مع طبيعة انواء البحر ، ومن ذلك :

١ ـ الصيد بالخيط والسنارة :

واساليبة متعددة ، وتعتمد على ربط عدد من السنانير بخيط طويل من النايلون ، يوضـع بكل سنارة طعم من الريش أو من سمك يدعى ابو حبر ، ويثقل كل منها بكتلة صغيرة مـن الرصاص ، ومن ثم يلقى باحد طرفي الخيط ، في مياه البحر فتغرق وتاتي الاسماك لتاكل الطعم ، فتعلق بالسنانير ، مما يسبب اهتزاز طـرف الخيط الآخر الذي في المركب ، فيسحب ، وتنزع الاسماك وتكرر العملية ••

٢ ـ الصيد بالشباك :

والشباك انواع منها ما تكون فتحاتها ضيقة رفيعة ، او كبيرة ثخينة • من الشباك ما هو مخصص للمناطق ذات القاع الصخري او الرملي • وذلك حسب نوع السمك المراد اصطياده وتوفر وجوده • ويكون اسفل الشباك مثقل بكتل مناسبة من الرصاص ، واعلاها مطوف بكتل مناسبة من الفلين ، بحيث تكون مفرودة في المياه •• والارواديون يلقون بشباكهم في البحر قبيل غروب الشمس بنحو الساعة ونصف ، ويرفعونها بعد الغروب بساعة على اقل تقدير • ذلك لان الاسماك تلحق بغروب الشمس فتقع في الشباك المنصوبة لها باتجاه شمالي جنوبي • وتكرر العملية قبيل الفجر حيث توضع الشباك وترفع بعد شروق الشمس •• اما ما تبقى من الوقت فيقضيه الصيادون في اصلاح شباكهم من ترقيع ورتق ••• وتتكون الشبكة من مئة قطعة ، طول كل منها ثلاث عشرة قامة (القامة هي طول الشخص العادي) اما العرض فحوالي المتر •

وقد يشترك مركبان في عملية الصيد بالشباك ، تفرد الشبكة بينهما وبعد الوقت المحدد يتجه كل منهما باتجاه الساحل وهما يجران الشبكة ثم يتقاربان من بعضهما حتى اذا ما اقتربا من الساحل تعاون الطرفان لسحب الشبكة من الماء من الطرفين ، وتسمى هذه الطريقة : بالجاروفة لانها تجرف كل ما تصادفه في طريقها من اسماك ••

ولا بد للصيد بطريقة الشباك من العمل الجماعي والتناوب بين العمل والراحة •• ذلك ان الشباك تجمع بالقوة العضلية ، مما يتطلب جهدا ومشقة كبيرين •• ويرافق ذلك اهازيج تعتمد على عنصر الجماعة التي تردد مع المشوبش اقوالا تثير الحماس والحنين للاهل ومرابع الصبا ، وتنظم العمل الجماعي • وهي اهازيج لا تزال متاثرة باسلوب العمل يوم كانت المراكب تمخر البحر بقوة الشراع والمجداف ، بطاقة الانسان العضلية • فهم يتوسلون الى الموج العاتي بعدم الاقتراب من مركبهم ، وهم يسحبون شباكهم لوقوفهم على اطراف المركب ، خوف وقوعهم في البحر ، وغرقهم وتضيع حياتهم بلا ثمن :

لا تلزي لا تلزي •• (لاتقتربي من المركب) ••
واتف عشفار •• (طرف المركب) ••
وان لزيتي بتعتر (يقع في البحر) ••
خفت (انشق) رق دربنكة ••
والنا (قلنا) العوض بالفخار ••

ويبعث بهم المشوبش الحنين الى جزيرتهم مرابع طفولتهم ومجالس انسهم ، فيذكرهم بالذي جرى عند السور الغربي للجزيرة ، يوم خف الاهل والخلان لاستقبالهم فيجعلهم يرددون وراءه :

يا بنت اللي على السور ••
سكينة تمزع خدادك (الخد) ••
كتلت (قتلت) الكدع الاسمر ••
بغمز عينيك ••
طلت من الربع
ومن الربع طلت ••
معها زبيبي (الزبيب) ••
يا واد بعلبي (الوعاء)
كلتلها (قلت لها) يا ست اطعميني ••
قالت والله ما نطعمك ولا ربع حبة ••
يا من كشفت عن السكبة (السر) •

ويبث من خلال ذلك حنينه لفتاة احلامه ، تلك المصبية المغناج المتلئة انوثة وخفة وحركة حتى لكانها طائر الجنة الهزاز البديع اللون

الذي يختال بجماله على ما حوله (يطلق عليه الاروادیون لقب طواز لكثرة هزة بذيله المتعدد الالوان) :

ام تواز هدى ديلك (الذيل) ..

علمينا تطويزك (غناجك)

تطويزك وراء الالعة (وراء قلعة ارواد) ..

وراكي (خلفك) ستة .. سبعة ..

ابن الباشا ادامك (قدامك) ..

حامل بقجة حمامك ..

يا عمانه (ياعم انا) ظلموني ..

غر (اغرورق) الدمع بعيوني ..

والطير غنى عغصوني (على غصونه) ..

يا طير ما حل ..

تكبر وترخي دلالك ..

فاذا انتهت رحلة الصيد وحان وقت الاياب ، ينهض الجميع لشد القلوع (الاشرعة) وهم يرددون :

يالله يا سيد .. ياسيد ..

يا سيد الرسل .. والرسل يا احمد ..

يا من لطافك .. والله خفية ..

يا الله ياسيد .. كون معنا .. وساعدنا ..

يالله هي .. يالله هي ..

وعلى الشاطيء يتجمع الاهل والصحب والخلان .. وهم يهزجون ويغنون ، وقد استبد بهم الشوق يتطلعون الى الافق البعيد .. :

قعد له عالبحر (الشاطيء) شاقة ومشتاقة ..

مهواة البحر .. لاشباك ولا طاقة (كوة) ..

يا كاسح الغيز (مركب شراعي) اكسح (اسرع) بعياة (مهارة) .

بلكي يحنوا عالا ولاد ويشتاقوا ..

حتى اذا ما لاحت السواري في الافق ، وبدت المراكب تشرق عليهم تنطلق الزغاريد والاهازيج من ذلك :

آعد (قاعد) على دفتو (الدفة) والزهر ينساني ..

قاعد على دفتو بالبحر سلطاني ..

قاعد على دفتو بيلم كشميره (يجمع ثيابة في وسطه) ..

وان غابت نجوم السما امه بتدعي له ..

قاعد على دفتو بيشم الوردة ..

قاعد على دفتوا بيعقد الاعدي (يعقد ما بين الحاجبين) ..

قاعد على دفتو والشال بوسطه (يشد وسطه) ..

يا مقدمو (قدومه) ينعدل ، واسعد لكفو ..

ما بريد منه لاخلعه ولا يناري ..

الا السلامة توصله لباب داري ..

الاعياد :

اما الاعياد فلها في جزيرة ارواد طابعها الخاص وتقاليدها المتميزة ، فالبيئة المحافظة وضيق مجتمع الجزيرة وانغلاقه ، اجبرت المراة على الانكماش في قوقعة العزلة والانطواء ، تكبت حس وجودها وتلقي به في جب الاحلام ، فينمو ويكبر طوال العام . حتى اذا كان العيد ترتدي الجزيرة حلة بهيجة مشرقة ، والجدران والاسواق والمراكب والدور والمقاهي كلها مزدانة ، بشتى ضروب الزينات .. والعيد في جزيرة ارواد يكاد يكون للمراة ، وللرجل فيه فقط تبادل التهاني والتبريك ، خلال ساعات النهار الاولى ، فبعد صلاة العيد ، وزيارة قبور الموتى يعايد الاقارب بعضهم بعضا في منازلهم ، ويعايد الاصدقاء بعضهم في الطريق ، ويتوجه من يريد الى معايدة وجوه الجزيرة .. ثم يتفرقون الى بيوتهم .. وللشباب ان يرتع ويلعب ما شاء له اللعب ، ولكن ضمن ساعات معينة من النهار .. فقط قبل الظهر ،

وما تبقى من النهار فللجنس الآخر ٠٠ ففي اكبر ساحة من الجزيرة (منطقة البئر ومركز الكهرباء الآ) تتدفق تلك الاحلام المكبوتة عن رؤى مجنحة طافحة بالحيوية والصبا ، فاذا المرأة حرة اكثر من الحرية منطلقة من اسرها وانطوائها وعزلتها الى الشمس والهواء الحر ٠٠ انه العيد ٠٠ وهناك تنصب الزنزوقات (الاراجيح) والقلابات والدواخات ، وتكشف بائعات الفول (النابت) والمخلل والمهلبية عن بضائعهن مناديات مدللات مرغبات ، في حين تضرم صاحبات المقاهي الشعبية النار تحت دلات القهوة ، وسماورات (اباريق) الشاي كما تحضرن النارجيلات وتنباكها ٠ وترش الفتيات الصغيرات الارض بالماء وتكنس امام المحال ٠٠

وتتواعد الجارات والصبايا على الالتقاء بالعيد ، فيخرجون زرافات ووحدانا في صخب ماوج ، والفرحة تملأ عليهن نفوسهن والاشراق ياخذ بالبابهن ٠٠ فينبعن من كل زقاق معبر حتى لكانه الحشر ٠٠ ثم يكون الجمع الكبير في ساحة العيد فتتسابق المعيدات الى الاراجيح والقلابات والدواخات وقد علا الضجيج وامتزجت الضحكات بصيحات الفرح ، يشاركهن الاطفال الصغار ويردد الجميع اهازيج المفضلة :

ياولاد محارب	ياي ياي
شدو المارب	ياي ياي
مآرب سيني	ياي ياي
شغل الفليني	ياي ياي
فليني بنقطة	ياي ياي
نقطة بشراكي	ياي ياي
حل العراكي	ياي ياي
العراكي لمين	ياي ياي
لابو شاهين	ياي ياي
شاهين ما مات	ياي ياي
خلف بنات ؟؟	ياي ياي
خلف الوزة	ياي ياي
تنثر (تنقي) الرزة	ياي ياي
والرز غالي	ياي ياي
باربع مصاري (عملة تركية)	ياي ياي
يا عمة خالي	ياي ياي

ومما يرددن وهن يتارجحن جيئة وايابا مع الزنزوقات :

يا بنت ريس المينا ٠ ٠
تحميكي وتحمينا ٠٠
تحمي زنزوقة (ام فلان)
احسن ما تضيع (تنقطع) فينا ٠٠

في حين تتحلق اخريات حول دكك الفول (النابت) والمهلبية والتلاج (الكلاج) يزدردن بشرة ناهم ما يقدم لهن ٠٠ بينما تتصدر كبيرات السن على كراسي من القش وراء نرجيلاتهن وقد شرعنها ، يتاملن ذلك الحشد المتلاطم الزاخر بشتى ضروب الحياة والحيوية، وباروع الصور الشعبية الحية فيجترون الذكريات ايام كن صغيرات فيشعرن بمتعة الصبا يوم كانت تتفجر في عروقهن في العيد ٠

اما الرجال والشبان الصغار ، فمحظور عليهم ارتياد ساحة العيد ، والويل ثم الويل لمن تسول له نفسه ارتياد المكان ، ولو كان الحاكم بامرة ٠٠ وحدثت ان حاكم الجزيرة ابان الاستعمار الفرنسي ، تحدى هذه التقاليد فسمح للجند باختراق الحرم المفروض ، فما كان من القوم الا ان هبو في وجوههم وطردوهم شر طردة ولم تهدأ الحال في الجزيرة حتى نقل ٠

ليلة المحيا :

ومن الاحتفالات الشعبية الدينية المتميزة في جزيرة ارواد : الاحتفال بليلة النصف من

شعبان . ويطلقون عليها ليلة المحيا .. ويشارك فيها ابناء الجزيرة كبيرهم وصغيرهم فتزدان الجزيرة وتنار المساجد حيث تردد فيها الاناشيد والمدائح النبوية .. وبعد صلاة العشاء يقرؤون في المساجد دعاء ليلة النصف من شعبان .. وفي المنازل قصة المولد النبوي .. ويوزعون الحلوى والمكسرات . ويوزع الاغنياء الزكاة على المعوزين .. ويستعد الصبية الصغار لهذه اللية قبل عدة ايام . فيطوفون بالبيوت والمحال يجمون الكاز والمازوت والنقود لشراء ما يلزمهم للاحتفال .. كما يحرص كل منهم على صنع سيف من الخشب استعدادا لهذه الليلة فاذا ما انتهى احتفال المسجد يتجمعون في ساحات الجزيرة ويوقدون النيران وهم يهزجون ويلحون بسيوفهم الخشبية :

ليلة المحيا منحييها

منقطش (نقطع) اذن ومنرميها

لابو عروس .. خلية يبيعها

.. بـاربع قروش

يـلي بـدو يعادينا

يلحقنا عالقبلية (اسم منطقة) ..

الحارة القبلية قوية

الحارة (...) جعارية (غجرية)

نـخ يـا جملنا

هدا (هذا) اللي كتلنا (الذي قتلنا)

قتلنا بسيفه

بسيفه هـالمحني ..

وتتبارى (الحارات) في تلك النيران . كما قد يشارك الكبار الصغار في ذلك باحراق الفلايك (المراكب) القديمة العديمة النفع .. وكانوا الى عهد قريب ، يشعلون المشاعل على البرج والقلعة والرصيف الشمالي للجزيرة فتبدو الجزيرة كالشعلة في الليل ..

الاعراس :

للاعراس في جزيرة ارواد ، عاداتها وتقاليدها ، قلما نجد مثيلا لها في القطر ، ومرد ذلك الى البيئة التي يعيش فيها الاروادیون ، ففترة الخطبة قصيرة على الاغلب .. اذ يطلب اهل الخاطب (العروس) يد الخطيبة من والديها ، حتى اذا اتفقوا على الطلب يقدم لهم الخاطب هدية من الذهب غالبا ما تكون حلية تتناسب مع امكاناته ، ومن الجدير بالذكر ان نشير الى عدم ضرورة السؤال عن وضعه واحواله واخلاقه بسبب ضيق مجتمع الجزيرة ، ومعرفة كل منهم بخفايا اوضاع الجميع ... ولا يكاد يمر شهر حتى يعقد القران ، ضمن المراسيم المالوفة حسب الشريعة الاسلامية ، ويحضر العقد الاقرباء والاصدقاء المقربون ، وتدار عليهم المرطبات والحلويات بينما تقوم النسوة بواجبهن نحو المهنئات فيما اذا كان (العريس) ميسور الحال . وفي حال ضيق ذات يده يكتفي باجراء العقد في دائرة القاضي الشرعي او في المسجد ، ويختلف المهر باختلاف وضع الخاطب المادي عن البكر ، اما المؤجل المتفق عليه ، . الثيب عن البكر ، اما المؤجل المتفق عليه ، .

وغالبا ما تكون الفتاة المخطوبة صغيرة السن ، لذا تبقى في منزل والديها - على الرغم من عقد قرانها - ريثما تتكامل انوثتها ، وحتى يجني الزوج ما قد ينقصه من مال واثاث ، لاعداد منزل الزوجية ، وللانفاق خلال فترة العرس ، وقد يستغرق ذلك اكثر من سنتين يزور خلالها الزوج بيت حمية دون ان يتمكن من الاختلاء بعروسه . وعندما تصبح اوضاعه ملائمة يقررالطرفان نقل الزوجة الى منزل زوجها ، ويصحب ذلك سلسلة من الاحتفالات .

اولها نقل الجهاز الذي يضم حاجات البيت الجديد مهما تدنت الحال • فيسير شباب الجزيرة يرافقهم اهل الزوج على قرع الطبول والنقر على الدربكة ، واللعب بالسيف والغناء والهتاف بحياة وجوه الجزيرة واهل العروسين بينما يهزج المشوبش بالاهازيج ويردد وراء الجمهور بجذل وسرور •

يا رمال شوف لي بختي
بختي مليح يا رمال
هليت يا قمر هليت
ويا شمعة نورت البيت

•• ويسير وراءهم حملة الجهاز على نسق متتالين عارضين الجهاز على المتفرجين الذين تجمعوا على الاسطحة وفي مداخل الحوانيت لرؤيته •

وفي مساء ذلك اليوم تجري حفلة استحمام العرس (العروس)وتقتصر على الاهل والجارات ويصحب ذلك بعض الاغاني الشائعة في مثل هذه المناسبة ، مع بعض التبديل في بعض الكلمات :

قومي تخطري يا زينة
يا وردة جوا الجنينة
عرق الارنفل ياعروسة
والورد خيم علينا
وتفضلي بعرء (عرق) الهوى
والالب (القلب) من جوا اكتوى
جرح العتيء (العتيق) ياوعدي منو (منه)
الا الجديد ما له دوا ••
تفضلي امشي على مهلك
انت عزيزة على اهلك
ايش (أي شيء) ما لبستي يصلح لك
يا عايشة يا شلبية

اما حفلة العرس فتتم مساء اليوم التالي • وفي النهار يلتم شمل الاصدقاء في دار الزوج للقيام بتحميمة • واثناء ذلك يعقد الصحب حلقات الرقص والاهازيج • بينما يذهب بعضهم الى دار العرس (العروس) لياتوا بثياب الزوج في بقج (صرر) يحملونها على رؤوسهم وهم يرقصون ويغقون باستعراض شعبي ، كما يحيون كل من يمرون به من علية القوم وشيوخهم • وفي الساحات العادية يعقدون الدبكات ويهزجون الاهازيج في حين يرشقهم الاصحاب بالعطور وماء الزهر ، فيحيونهم ويعقدون لهم الرايات :

المشوبش : حمراء من الخيل مقبلة حق الله يا شيخ ••
الجميع : هيه ••
المشوبش : خليها (فلان) يا شيخ ••
الجميع : هيه ••

وهنا تصاحبهم الطبول والصنوج وتلعب السيوف •• وتستمر هذه الحال حتى دار الزوج وبعد صلاة العصر يكتمل اجتماع الاهل والاصحاب ، فيجلسون الزوج على دكة قليلة الارتفاع ، وسط حلقات الرقص والدبكة ، في حين يقص له الحلاق شعر رأسه ويزينه • وخلال ذلك تدار القهوة والمرطبات ثم يعاود القوم الرقص في حلقات الدبكة وهم يهزجون :

يا بنت الدمياطية (نسبة الى دمياط)
حلوة وراخية الدلال
يلي زوجك بالمينا
جر اللبان (الحبال) لمين
جر اللبان لحبيبي
بو خصر النحيل

وعند غروب الشمس يكون الطعام قد اعد من شتى الالوان المحلية كالبحيتيرة والكدابات (كذابات) والوان السمك فيقدم للجميع في حفلة شعبية كما تقدم الحلويات •• وبعد الطعام ينزلون بالعريس الى المقهى ، ويمسك به

اصدقاؤه من الطرفين كما يرفعون فوق راسه سيفين ويسير في المقدمة حملة المشاعل والاضواء مع الطبول ، مما يشكل زفة كبرى يهزج فيها المشتركون ويحيون من يمرون به من عليه القوم :

المشوبش : برمتها (طاف العالم) حق الله يا شيخ ..

الجميع : هيه ..

الجميع : هيه ..

الجميع : هيه ..

الجميع : هيه ..

المشوبش : ما لقيت الا (فلان) يا شيخ ..

المشوبش : صاحب النخوة والشرف والمروة يا شيخ ..

- حمرا من الخيل مقبلة حق الله يا شيخ ..

- هيه ..

- هيه ..

- هيه ..

- خيالها من قطيفة يا شيخ ..

- خيالها (عريسنا) الزيناتي خليفة ...

خيالها ما يهاب ، ما خيالها الا عريسنا يا شيخ ..

- هيه .. هيه .. هيه ..

يا ريس الشختورة

ملكك ولا ضمان

ملكي وملك ابويا

خلفها لي من زمان

يلبقلك الغندارة

يا حامل المشعال

يلبقلك الغندارة

اشكال والوان

وفي وقت العشاء يذهبون بالزوج الى المسجد فيصلون العشاء ، وعلى نية التوفيق ويسبقه الى خارج المسجد حاملوا المشاعل ، ومن ثم يعاود الموكب سيره ، وقد ازداد حماس القوم حتى مدخل دار العرس .

في هذه الاثناء تكون اقرب قريبات الزوج قد ذهبت مع صاحباتها الى دار العرس لاحضارها الى دار زوجها ، وما يصلن حتى تنطلق الزغاريد :

آها :

قوم انقل يا قمر قوم انتقل وامشي

من دار لدار حتى لا يصيبيك شي ..

آها :

والوجه دورة قمر خالي من النمش

وبنت الاصايل ما بيلبق لها تمشي ..

فيرد عليهم اهل العرس (اذا كانت سمراء) :

آها :

عنقود من الدالية يا من ينقره

يا آخذ السمر الله يسهله

يا من يروح للسلطان ويقول له

واحدة من السمر تساوي عسكرك كله ..

وفي حال كونها بيضاء :

آها :

يا آخذ البيض خشخش بالذهب خشخش

واصبر على البيض حتى يفتح النرجس

واصبر على البيض ليحمر خدهم

وتبان (تبدو) هلة رجب من بين عينيهم

وما ان تصل الى دار زوجها حتى تستقبلها امة فتقبلها وتقبل العرس يدها وتسقيها (ام العريس) قليلا من ماء الزهر وتدورها ثلاث دورات ، ثم تاخذ بيدها وتجلسها في وسط حلقة النساء على دكة عالية (تشبه الاسكي

لدى الماشقة) وقد ارتدت ثياب الفرح وضمخت بالطيب والعطور ، وزين رأسها وصدرها ومعصماها بهدايا الزوج وهدايا اهلها .. وتجلس المدعوات كل منهن حسب مقامها ويتركن فسحة في الوسط للرقص ، وتبدأ الحفلة بالزغاريد التي تعدد شمائل الزوج ومحاسن العرس :

آها :

ليتو مبارك يا عريس جديد
ليتو مبارك وليت عمرك يزيد
ليتو مبارك يا سند اهلك
يا زين الشباب في كل هلة وعيد

آها :

ليتو مبارك وتتهنا بعروستنا
والناس من اشغالها اجت (اتت) هنتنا
وتمت افراحنا وعقبال جارتنا
ومعودين عالفرح عقبال فرحتنا

آها :

ليتو مبارك يا عروس ما عملنالك
بدار بيك ضوينا الشمع قدامك
ليتو دايم يابو (الاب) عل راسه
ويزيد بعمرك يلي زدت بمالي

آها :

عريس عريس تتجوز وتتهنا
وبنت عملك عما تستنا
ما بعدك يا عريسنا يا ضاحك السنا
تاخد عروستك وتتجوز وتتهنا .

وفي هذه الاثناء يصل الزوج بموكب حافل وعند الباب يدار ثلاث دورات ، ثم يدخل ويجلس الى جانب عروسه ، فتنهض وتقبل يده ويكشف عن وجهها لاول مرة ، ويقبل راسها ، ويلبسها قطعة من الحلي .. فتصدح الزغاريد وما ان يجلسا قليلا حتى تبدأ حفلة من الاغاني والطرب تسمى الجلوة ، لا يلبث الزوج ان ينتهكها بجذب عروسة الى غرفة الدخلة (هيكل الزهرة) فتنتظر الداعي عند الباب لثبوت البكورة فياخذن الاثبات الى والدة العروس فتطلع عليها ام الزوج .

ومما يقولونه في الجلوة قبيل وبعد دخول الزوج :

ستي انا وسيدي انا
يحيا الزمان اللي جمعنا ولمنا
قايمة من النوم تنده يا خليل
يا نجوم الصبح للعاشق دليل
بعدكم عالوعد ولا مخالفين
وان كان بطلوا نحنا لبعضنا
ستي انا وسيدي انا
يحيا الزمان اللي جمعنا ولمنا
قايمه من النوم تنده خالتي
خالية من الحب شوفي فرشتي
قوموا بنص الليل خشوا غرفتي
خالية من الحب ضاعت فرحتي
ستي انا وسيدي انا
يحيا الزمان اللي جمعنا ولمنا
هب النسيم عل عصاي فكو
ياما العوازل عالحبايب بربكوا
ريتو العوازل يهلكوا
ويقضوا ايامهم كل يوم بسنة

ومن الاغاني التي يغنونها :

عاليانا اليانا اليانا من غرامة عاليانا
ياعيون حبيبي من السهر دبلانا
ركب حصانه عالجنينة وماشي
والعيون سوداء والخدود رواشي
خش الجنينة والشجر عناله
امي وابوي قتلوني عل شانه
اختي وخيي وصفوا لي جماله
من زود حسنه رحت انا غميانه

انماط الحكاية الشعبية

حكاية الواقع الاجتماعي

عمر الساريسي

مقدمة :

تعرفنا في عدد سابق من هذه المجلة على نمط متميز من انماط الحكاية الشعبية المعروفة في فلسطين وفي الأردن ، وقد صنف تحت عنوان الحكاية المرحة وذلك لما في طبيعتها من عنصر السخرية والامتاع الموجهين لبعض امور المتمع الذي تنبت فيه ٠

وان الباحث ليرى لاصطلاح الحكاية الشعبية ، اصلا ، معنيين : اولهما عام واسع يشمل كل ما يحكى ويروي شفويا بين الناس في اسمارهم وخلواتهم مما له طبيعتة قصصية ، وهو يرادف اصطلاح القصص الشعبي ، وثانيهما خاص ضيق يعني بما يروي على الشفاه من احاديث ذات طابع قصصي تتصل بالواقع الاجتماعي الذي يعيشه او يمكن ان يعيشه الناس العاديون في حيواتهم اليومية واحداثهم التاريخية التي قد تخلو من الخوارق والاعمال الخارجة على مألوف عاداتهم وقدراتهم ٠ وهذا هو المعنى الذي سنتحدث عنه في عدد اليوم من هذه المجلة ٠ اما ما يتسع له المعنى الواسع للقص الشعبي من اسطورة وملحمة وسيرة شعبية فهذه تحتاج كل واحد منها الى مقالة مستقلة ٠ وق لا تكفيها بحوث وبحوث ٠

في «لسان العرب» تحت فصل « الحاء حرف الواو والياء » في مادة «حكى» نقرأ «حكيت فلانا وحاكية اي فعلت مثل فعله او قلت مثل قوله» ومنه «المحاكاة المشابهة ـ نقول : يحكي فلان الشمس حسنا ويحاكيها» ٠

ومن هنا يرى بعض الباحثين ان الحكاية مشتقة من المحاكاة ـ محاكاة الواقع واسترجاعه ـ وربما كان هذا الواقع نفسيا يقتنع اصحابه بحدوثه وفيها تصوير لحدث ، يربط انواع

من السرد يبعد عن الصدق التاريخي حينما يقوم بوظيفة التسلية حينا آخر[1].

وهذا وصف للحكاية مشتق من شكلها المعروف والمتداول ، ولكنها لا تكفي بمحاكاة الواقع ، اذ قد تطمح الى نقده وتغييره ، وقد تم ربطها بالمحاكاة والمشابهة على هذا الشكل لان جميع معاجم اللغة لم تذكر ان الحكاية يمكن ان تشتق من «حكى» بمعنى «حدث» او «روى» ، ورغم ذلك فهذا المعنى للحكاية لا نستطيع اغفاله لانه يتردد كثيرا في دراسة الحكاية وشرحها ، ويؤيد ذلك ما يقوله عنها باحث متخصص في دراسة المأثورات الشعبية عامة والحكاية خاصة من انها «متصلة باحداث وافكار في الازمنة القديمة وموضوعها تجارب واحداث شخصيات انسانية مجهولة[2] ٠

وهذا تعريف لا بأس به للحكاية ومن اجل توضيح صورتها في الذهن اكثر نبحث عن مزيد من التعريف لها ، فالمعاجم الانجليزية تذكر انها «حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة ، وهي تتطور مع العصور وتتناول شفاها ، كما انها قد تكتفي بالحوادث التاريخية الصرفة او الابطال الذين يصنعون التاريخ[3] ، بينما تعرفها المعاجم الالمانية بانها «الخبر الذي يتصل بحدث ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر ، اوهي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية[4] ٠

ومعجم فانك وواجنال للفنون الشعبية يعرفها بانها «حكايات او قصص او حدث في العصور القديمة وتوارثتها الاجيال الشعبية شفويا من الاجناس والأمم[5]» ، ويضرب عليها من الاوديسا عند اليونان والباتشنتنرا عند الهنود والف ليلة وليلة عند العرب ٠ مع ان الاوديسا تعد في الملاحم ٠

ويفطن باحث فولكلوري غربي في تعريفه للحكاية الى العناصر المكونة لها والتي تظل تلازمها ، واعني بها الجزئيات القصصية التي تتردد كثيرا في مواضع كثيرة من الحكايات وهي التي تسمى «بالموتيفات» فيقول «هي لون من القصص النثري ، الذي انتقل شفويا من عصور ما قبل التاريخ ، في هيئة اعداد محدودة من الانماط التي يتكون كل منها من تشكيلة ثابتة من الموتيفات[6] ٠

ولدى النظر الى هذه التعريفات للحكاية نستنتج فيها عناصر : الاقدمية ، الدوران حول احداث او اشخاص ، صانعها خيال الشعب ،

والرواية الشفوية سبيل البقاء ، بجزئيات تظل تتداول ، وتصدق على انها حقائق رغم خروجها على الحقيقة العلمية احيانا ، وهذا تقريبا ما لاحظه الدكتور عبد الحميد يونس في خصائصها من : العراقة ، والمرونة ، وحرية الرواية الشفوية بالزيادة والحذف عبر العصور والبيئات(٧) .

ونستطيع ان نضرب مثالا على ذلك كل الحكايات التي صنفت وتصنف تحت عنوان الحكاية الشعبية - حكاية الواقع الاجتماعي(٨) - ولكننا نختار منها اية حكاية ونلخصها لنحللها هنا ونقف على تطبيق واضح لتعريفها وتمييزها عن غيرها من انماط الحكاية الشعبية الأخرى التي مرت بنا وتمر في الاعداد القادمة من هذه المجلة ، ولتكن حكاية البطيخ في غير اوانه :

«يجد احد الفلاحين (بيت) بطيخ وعليه بطيخة كبيرة في حقله في فصل الشتاء ، وهو امر غير عادي ، لان البطيخ نبات صيفي ، وفي المساء ، في الساحة (المضافة) يتحدث للرجال المجتمعين في الساحة عما رأى ، فلم يكد يصدقه الكثيرون ، فقال : اتراهنون ؟ فانبرى له احدهم وقال : اراهن ، تم الرهان على يد الشهود الحاضرين ، على ثلاثة قبضات تقع فيها يد المراهن من بيت صاحب البطيخ ، أي يحق له ان يستولي عليها جميعا ان تغلب في رهانه .

انسل الرجل المراهن من الساحة وذهب الى بيت خصمه سرا ، واتصل بزوجته وانهى اليها ما تم بينهما من رهان ، وطلب اليها ان تعرف من زوجها مكان بيت البطيخ في الحقل .

وحينما عرفت من زوجها انهت الى خصمه بما أراد ، فذهب ليلا وقلع بيت البطيخ بما عليه والقى به بعيدا وجاء موعد ذهابهما مع بعض الرجال الى الحقل ، ليروا ما تصيراليه نتيجة الرهان ، فظهر صاحب الحقل كالكذاب فحق لخصمه ما تراهنا عليه ، فطلب من الناس ان يمهلوه ثلاثة اسابيع ليتدبر أمره .

في طريقه التقى ببدوي جائع اخذ منه ثلاثة ارغفة مقابل ثلاثة نصائح - وهي وجوب التعرف على اسم من يلقاه وبلده ، عدم افشاء سره لزوجته ، عدم اشهار سلاحه بين الرجال . فاستشار هذا البدوي في امر رهانه فقال له : عندما يأتي خصمك ليقتضيما تراهنتما عليه من بيتك فلتجلس زوجتك على سطح البيت وليكن السلم الخشبي الذي يوصل اليها متخلخل الدرجات الثلاثة الخشبية العليا ، بحيث تخرج في يده حينما يقبض عليها وهو يصعد درجات السلم الأخيرة ، وحيئذ تقول

له حينما ترى في يده ثلاث قطع خشبية ، «هذه هي القبضات الثلاثة التي طلعت في يدك » ، ثم تسرح زوجتك وتتخلص منها بالمعروف ٠

هذه الحكاية غير معروف مبتدعها لانها تدوولت بين الناس ، سامع عن سامع ، عن طريق الرواية الشفوية ، ولا بد ان يكون احد ابناء الشعب الاقدمين قد عمل فيها خياله وكون من خيوطها التي أتى بعضها من الواقع - الحقل والعلاقات بين الرجال والنساءوغيرها - ويأتي بعضها من غير الواقع - بطيخ في الشتاء - وهاهي تدور حول أحداث محددة - خيانة المرأة لزوجها ، والرد على هذه الخيانة ،واشخاص هم الزوج وزوجته والخصم والبدوي ٠

هذه الحكاية عرضة للزيادة والنقصان لانها غير مدونة ، ودليل ذلك انني استمعت لاكثر من رواية لهذه الحكاية فوجدت ان كل رواية تختلف في بعض الجزئيات عن الأخرى ٠

والعنصر الذي يستغرب في الحكاية ويصدق على انه حقيقة وجود بيت البطيخ في شتاء فلسطين ٠ ان هذا العنصر ليس مطابقا للحقيقة العلمية الجغرافية ولكنه سبيل للوصول الى هدف الحكاية وغايتها - الدعوة الى احترام العلاقة الزوجية ولتعقل في الحياة ٠

انها كما تبين ، تدور حول الموضوع وعن الحدث دون تركيز شديد على الاشخاص ، أي ان الحكاية تدعو لغايتها كل الناس ، ولايهمها شخص بعينه ٠ والتجربة هي التي تنال التركيز في اهتمام الحكاية ، واستطالة الحدث هي التي تطيل حجم الحكاية ٠

وفيما يتصل ببطل الحكاية الشعبية فانه قد يدخل تجارب خاصة ويكون فيها مدفوعا برغبة اكتشاف مجهول ، حتى اذا ما انتهت التجربة عاد لواقع الحياة والناس الذين يعيش بينهم ٠ وابطال الحكاية الشعبية ذوو مواهب متميزة ، ولا يتلقون مساعدات من قوى خفية او غيرها ٠

وتتوسل الحكاية بالمنهاج الحي في رسم صور الاشخاص والابطال حتى ليخيل اليك انك تشارك هؤلاء الابطال في احداثهم واقوالهم ٠

ولا تنعزل الحكاية عن المكان والزمان ، فالحكاية السابقة تذكر الحقول والبيت ومجالس الرجال وسطح البيت والسلم الخشبي ، وتذكر فصل الشتاء ٠ وهكذا فان الحكاية الشعبية تظل تجري في جو واقعي ان لم يكن حدث فعلا فقد يمكن ان يحدث ٠

والتعبير في الحكاية موضوعي

مفهوم الاسباب والنتائج ، ليس فيه افعال غامضة لا تفهم الا في آخر الحكاية ٠

وينتج عن الواقعية والموضوعية في تعبير الحكاية الشعبية انها جادة في طابعها في رسم الصور الواقعية للناس والاشياء ، والجانب الهزلي فيها لا ينكره أحد ، ولكنه لا يغلب على الجدية فيها ، وقد ترسم لنا الحكاية نماذج بشرية لأناس يعيشون تحت اعين كل الناس ، كالرجل البليد والزوجة المغفلة او جماعات الظرفاء ٠

ولأن الحكاية تنجم من واقع الناس وحياتهم ، لذلك كان لها طابع المحلية والاقليمية ، فالحكاية السابقة تحدثت من مواقع بيئتها الزراعية الريفية ٠عن حقول زراعة البطيخ وعن السفر بين القرى والاماكن على الدواب او على الأرجل ، وعن صحبة الريفي والبدوي ، لان مجتمعيهما متقاربان ، وكذلك تتحدث الحكايات الاخرى عن مجتمع المدينة التجاري ، او عن مجتمع البادية ٠

اما بنية الحكاية فبسيطة ليس فيها تعقيد ، واسلوبها تتسلسل فيه الاحداث بخط مستقيم غالبا ٠

وتقابل الحكاية الشعبية في الأدب الرسمي او ادب الافراد القصة التي تأخذ موضوعاتها من المجتمع وتجعل غايتها خدمة المجتمع أيضا ٠

اما الدافع الروحي في ضمير الشعب لانتاج هذه الحكايات فهو التعبير عما في هذا الضمير الشعبي من آرآء ومواقف في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية(٩) ٠

الشرح :

(١) د٠ عبد الحميد يونس ، الحكاية الشعبية ، سلسلة المكتبة الثقافية رقم ٢٠٠ ص ١٠-١٢

(٢) سير ج ٠ ل ٠ جوم في مقال بعنوان الاساطير والحكايات الشعبية ترجمة احمد موسى مجلة الفنون الشعبية القاهرة ، العدد العاشر ، ا لصفحة ٥١ ٠

(٣) د٠ نبيلة ابراهيم ، اشكال التعبير في الادب الشعبي ، الصفحة ٩١ ٠

(٤) المصدر السابق ٠

(٥) Funk & Wagnal Dictionary Vol. 14 p. 5045.

(٦) Brynjulk Alver, Falula, Bond 9, p. 63.

(٧) د٠ عبد الحميد يونس ، الحكاية الشعبية ، الصفحة ١٢ ٠

(٨) لقد صنع كاتب هذه السطور ملحقا من نصوص الحكاية الشعبية بانماطها المختلفة ، بعد البحث النظري الذي تقدم به الى احدى الجامعات المصرية لنيل درجة الماجستير ٠ والملحق يحوي اكثر من مئة وستين نصا ٠

(٩) د٠ نبيلة ابراهيم ، اشكال التعبير في الادب الشعبي ، الصفحة ٩٧ - ٩٨ ٠

الأكل الشعبي

في جنوب فلسطين

يعتمد طعام الشعب في أية بيئة على العطاء الذي تقدمه تلك البيئة من من نباتات وخضروات وأعشاب وطيور وحيوانات ويشكل هذا العطاء الجزء الاكبر من الطعام أما الجزء المتبقي فيكون من مصادر بيئية اخرى يتم الحصول عليه أما بالمقايضة كما كان ذلك سائدا في العصور القديمة وأما بالاستيراد كما هو حاصل في هذه الأيام •

وعطاء الطبيعة يتلخص في مصدرين اساسيين هما ، ما تخرج الأرض من بقل وثمار كالحبوب بانواعها والخضار بانواعها والنباتات بانواعها والثمار المختلفة ، وما يكثر في البيئة من طيور مختلفة وحيوانات داجنة او متوحشة وربما بعض الحشرات والزواحف •

ويتحكم في الاستفادة من عطاء الطبيعة عدة عوامل تبيح هذا اللون من الطعام وتمنع ذلك النوع الآخر ، ومن هذه العوامل العادة المتاصلة والتي ترد في اصولها القديمة الى الدين او الاعتقاد او الجهل باللون المذكور ومزاياه الغذائية في حالة المنع وترد ايضا الى انه الشعب وجد اسلافه يقبلون على هذا اللون او ذاك لاسباب او اخرى فاخذوا يحيكون حول ذلك التقبل الاخبار والحكايات وربما فسروا هذا الأقبال تفسيرات يردونها الى الدين او العقيدة فاكل الضفادع في بعض البيئات مقبول ومستطاب بينما هو في بيئات اخرى وبيئتنا العربية بدينها ـ مستقبح وممجوج واذا حاولنا ان نجد تفسيرا لهذا ذهبنا الى مسبب من البيئة نفسها ، حيث يستطاب اكل الصنف من الزواحف في البلدان الرطبة التي تتكاثر فيها الضفادع بينما هو يستقبح في البلاد الجافة كبلادنا لقلة الضفادع أو ندرتها مما حدا بالناس انهم لم يتعودوها •

واذا استخدمنا المقياس ذاته راينا بعض القرى في جنوب فلسطين مما يبتعد عن البحر لا يستطيع اكل السمك وينفر منه ويقرنه باصناف مستبشعة من الزواحف كالحراذين والضب ••

ومقياس آخر نلحظه في موضوع غذاء الشعب وهو ان فقر البيئة في مجال النبات مثلا يغري السكان بالتفتيش عن غذائهم في مجالات الحيوان والزواحف ، فعرب الجاهلية كانوا ياكلون الضب وهو لون من الزواحف



البشعة المنظر وياكلون الجراد وهو من فصيلة الحشرات بسبب من شح البيئة وفقرها في مجال العطاء النباتي والخضري ..

وعكس القياس صحيح فالبيئة الغنية بالعطاء النباتي تجعل من الناس يقبلون على اصنافه المتعددة ويقللون من الاقبال على العطاء الحيواني .. وتدعهم يضيفون هذا العطاء الى مستلذ مقبول ومسترذل ممجوج يعافه الذوق السليم ..

قياس ثالث في هذا المجال يرد الى تطور الذوق بعامل الأختلاط والتطور التاريخي فنحن نجد العرب قديما يقبلون على اكل لحم الخيل والبغال والحمير .. ولكنهم مع الزمن اخذوا يناون عن هذا الصنف من الطعام حتى اصبح بمثابة المحرم او الذي تعافه الأنفس يلحظ هذا في هذه الأيام عندما اخذ الناس يهجرون تناول لحوم الجمال .. فنشا جيل جديد لم يتذوق هذ ا الصنف من اللحم الذي لو قدم اليه وعرف به لنفر منه وعافه طبعة .

واذا حاولنا ان ننظر الى طعام الناس في جنوب فلسطين على ضوء تلك الأعتبارات المتقدمة لراينا ان الناس هناك يتكون غالبية طعامهم من العطاء النباتي والخضري للطبيعة مع شح في العطاء الحيواني تسرب الى امثلتهم الشعبية وحكاياهم عن «اكلة اللحم» التي يترقبها الناس من عيد الى عيد .. وعن «وليمة العمر» التي تقام في الأعراس والموالد .. وعن «عشى الضيف» الذي يقدم لكرام الناس من الضيوف والزائرين .

ونظرا لان المنطقة تعتمد على الأمطار التي تحملها الرياح العكسية كل شتاء فان الجفاف غالبا ما يحيق بالمنطقة في بعض السنين وقد اقتضى الناس في تلك المنطقة الى حفظ بعض الحبوب وانواع الغذاء الأخرى اما لموسم الجفاف الطويل واما لسنوات الجدب المتوقعة .. وخزن الطعام يتبع تقاليد وعادات مختلفة فهو مثلا في بعض القرى القريبة من البحر حيث التربة رخوة تتكون من الطمي تحفظ الحبوب (مطامير) واحدها (مطمورة) وهي آبار محفورة ومعالجة بالقصارة لتكون مستودعات للحبوب اما القرى التي تكون فيها التربة صلبة فان الحبوب تحفظ في (خوابي) واحدتها (خابية) وهي مستودعات مصنوعة من الطين على هيئة خزانات تقام في جزء من البيت لتوضع فيها الحبوب المختلفة .

اما العسل والدبس ومربى العنب فقد كان يوضع في جرار من الفخار تغطى افواهها بالطين ولا تفتح الاعند الحاجة . ويحفظ السمن ايضا بنفس الطريقة .

ومن الوان الغذاء التي تحفظ العدس ومجفف البندورة وهو عبارة عن حبوب البندورة التي تسطح بالسكين وترش بالملح وتعرض للشمس فترة حتى تجف ثم تحفظ ويحفظ

ايضا مربى البندورة وهو عصير جامد يوضع في آنية صغيرة من الفخار كما يحفظون .يضا البصل الجاف والثوم ‥ وهم لا يعرفون ـ في الماضي ـ شراء اللحوم المنتظم من عنـــد الجزار ويعتمدون في حصولهم على اللحم على المناسبات فاذا فاض بعض اللحم عن حاجتهم قاموا بطهيه مع الدهن طهيا سريعا عن غير ماء مع اضافة الكثير من الملح ليحفظ ذلك في اوان من الفخار ويسمى (القريم) حيث تاخذ منه ربة الأسرة عند الحاجة ‥

وهم يحفظون الى جـــانب ذلك لونا مـن الغذاء يسمى «الكشك» وهو عبارة عن لبن خلط بالقمح المجروش وجفف في الشمس وحول الى اقراص ٠ كما ويحفظون نوعا من النبات تدعى اللوف نبات ذو طعـم حريف يخفـف ليستخدم طعاما للمراة عندما تضع لاعتقادهم ان في هذا الطعام فائدة غذائية عظيمة ٠

ويقـل الزيتون في هـذه المناطق مـن فلسطين ويكاد الزيت لا يشكل في حياتهـم الغذائية اهمية كبيرة كتلك الاهميـة التي يشكلها هذا النوع من الغذاء في شمال فلسطين واذا توفر الزيت عن طريق المقايضة حيـث كان يفد الى المنطقة باعة الزيت من شمـــال فلسطين يبدلون الزيت باالحبوب فانه يحفظ في اوان من التنك تسمى (اباريق الزيت) وسبق تلك الاباريق التنكية اباريق من الفخار تربط بحبل لتعلق في صدر البيت ـ كدلالة افتخار بان اصحاب هذا البيت يتعاطـون الزيت في طعامهم ٠

وهم يحفظون الفلفل (الشطة) على شكل ثمار يابسة او مطحونة او على شكل ثمـار مفرومة ومصاف اليها الملح والزيت وهـم يهتمون بهذا النوع من الغذاء ويعتبرونـــه المقبل الوحيد والاساسي على موائدهم ‥

واواني الطعام الشائعة في تلك المنطقة تعتمد في الدرجة الأولى على الفخار الأسود الذي كان له صناعة مزدهرة في مدينة غزة وبلـدة الفالوجة حيث يتوافر الصلصال اللازم لهذه الصناعة ويسمى الاناء الصغير الذي يوضـع فيه الطعام لفرد واحد او فردين «زبدية» وهي وعاء مسطح من الفخار اما الوعاء الذي يليها في كبر الحجم فيسمى «صحن ابو عشرة» والذي يليه يسمى «صحن العجين» ويستخدم صحن العجين لغرض العجين او لتقديم الطعام الذي يعتمد على الخبز المفتوت ٠

ولم يكونوا يشربون الماء من كـاسات زجاجية بل يتعاطون الشرب من ابريق صغير ذي فم مستطيل يسمى (بعبوز) يغطيه عليـه القوم بشيء من الليف ليحولوا دون سقوط الغبار او الذباب عليه ‥ وكثيرا ما يضعون الماء في ابريق اكبر يسمى (الكراز) اما مـاء الشرب فيحفظ في «جرة» او «عسلية» وهـي اصغر من الجرة اما الوعاء الاكبر لحفظ المـاء فيعرف (بالهشة) وهذه تشيـع في القـرى الشرقية من جنوب فلسطين اي في قرى جبال الخليل ، وحفظ الماء في قرب من الجلد يشيع في تلك القرى ولدى القبائل البدوية بينما قرى وسط المنطقة وغربيها لايعرفونها ‥ او هم على الاقل لا يستخدمونها لشيوع الفخـــار وتواجده بكثرة ‥

ويحصلون على الماء من ابار ارتوازيـــة تسمى ابار او بيارات وحيث لا يتوفر المـاء الارتوازي يحفرون آبـارا لمياه الشتـاء تسمى (هرابات) واحدها (هرابة) ٠

وهم يطهون طعامهم في اوان من الفخار تسمى (طباخات) واحدها (طباخة) او في قدور من النحاس تسمى طناجر وقد شاع قبيل هجرتهم لبلادهم اوعية التوتياء ويستخدمون لطبخ الطعام نيران الحطب من الشجر اليابس في قرى جبل الخليل أو نيران الحطب من قشر نباتات الذرة في مناطق السهل وشاطيء البحر وفي البادية ٠

ويصنع الخبز في جبل الخليل والقرى السهلية المجاورة له في (طابون) اما في قرى الساحل ومدينة غزة في «افران شعبية» توجد في كل بيت وهي مصنوعة من الطين ٠ أما في البادية فيصنعونه على لوح من الحديد المقوس يدعى «الصاج» وهذه الاداة تشيع لاعداد الخبز بسرعة ليس في البادية فقط بل وفي كافة القرى وغالبا ما يستخدم الخبز المصنوع على الصاج لاغراض الولائم التي يكون اللحم فيها هو الطعام الرئيسي

اما الاواني التي تقدم فيها الولائم فتصنع من الفخار للضيوف العادين فاذا كان للضيوف مكانة قدم لهم الطعام في (بواط) واحدها (باطية) من الخشب او في (اناجر) واحدها (انجر) من النحاس او في (صدور) كبيرة من النحاس ومثل هذه الصد ور لا تتوفر الا عند علية القوم من الناس لغلاء ثمنها وسعتها ٠

وياكل الناس طعامهم بطريقة وضع قطعة من الخبز في الاوان المعروض وتسمى هذه العادة «الغموس» او (الغماس) ويأكلون (الفت) او الارز بالايدي وتسمى الطريقة (التكميس) ونادرا ما يستخدمون الملاعق فان وجدت فهي من خشب وتسمى (خاشوقة) وجمعها (خواشيق) ويتندر الناس هناك على الذي يستخدم الخاشوقة ويعتبرونه متنعما رقيقا فيقول شاعر البدو في معرض السخرية بشاكلي الخواشيق ٠

خي قالت حلوقه   خبز الحنطة ما تذوقه
خبز الحنطة للفلاح   ياكل الرز بخاشوكة

ويستخدمون في صناعة الخبز الحبوب المزروعة محليا فيشيع عند الفلاحين منهم خبز الذرة في الدرجة الأولى أو خليط الذرة مع القمح بنسبة الثلثين الى الثلث اما الموسر من الفلاحين فياكل خبز القمح الصرف ويشيع في البادية خبز الشعيراما المدينة فتاكل خبز القمح واخيرا الخبز الابيض من الدقيق المسمى (فينو) وفي سنوات الجدب يستخدمون خبز الذرة الصفراء التي يسمونها (ذرة مصرية) وهي مستوردة من الخارج لأنها لا تزرع في تلك المنطقة الا على اساس أنها فاكهة تباع مسلوقة او مشوية في موسم نضجها ٠

ومشروب الرجال المفضل في المنطقة هو القهوة السادة تقدم في المجالس الرئيسية وتعد بالطريقة الشائعة في الوطن العربي ولم يكن الشاي يستخدم على نطاق واسع بل يقتصر استخدامه في تكريم الضيوف الأعزاء او تقديمه لمريض ويشربون نقيع النباتات المضاف اليه السكر (كالبابونج) و (الميرمية) وكانوا يستخدمون في قرى منطقة غزة واواسط الجنوب كئوسا مصنوعة محليا من الفخار لتناول شرب الشاي ٠ وكان الشاي يقدم في الأعراس حيث يعد في اناء كبير للطبخ ويضاف اليه السكر المصنوع على هيئة رؤوس كبيرة او مكعبات ٠٠

ويانف الكبار من شرب الشاي ويعتبرونه مما يلائم النسوة والاطفال ويفخرون بتناول القهوة المرة والتي تلائم السادة والأجلة من القوم ٠٠

وفي مناسبات الفقد والموت يصنع اهل الميت في الاسبوع الأول الذي يلي الموت طعاما

من اللحم المسلوق بالماء وجريش القمح الذي يسمى (جريشة) ويوزعونه في صحاف من الفخار على الجيران اما الجيران فيتكفلون اهل الميت في الايام الأولى للفقد بما يسمى (اطباق الطعام) وهي عبارة عن صحاف من الفخار بعضها فيه مربى العنب (العنبية) أو الدبس أو البيض المقلي بالسمن أو الزيت أو الزبدة أو اللبن الرايب .

وفي مناسبات الختان يصنع الاهل طعاما وهو من اللحم والجريشة أو من اللحم والمفتول أو من اللحم والفت وفي الاونة الأخيرة اخذوا يصنعونه من اللحم والارز .

اما في مناسبات الزواج فيصنعون اللحم والارز ويسمونه في قرى جبل الخليل (القرى) ويقدم لكل من يقدم بيت العريس من اجل دفع (النقوط) ويسمى في قرى غزة (الوليمة)

ويقدم لكل من يقدم البيت مباركا بالزواج ، ويقوم الجيران بتقديم طعاما للعريس يسمى (وليمة العشاء) وتحمل هذه الوليمة في اناء مكشوف على راس سيدة من اهل المولمين الى حيث بيت العرس ويعيد اهل العرس الاناء مملوءا بالحلوى وغالبا ما تكون الحلوى (الراحة الشامية) أو التمر أو التين المجفف (القطين) .

وفي مناسبات تشييد البيوت يصنع اهل البيت طعاما يسمى المريسة وهو عبارة عن فت الخبز الفطير باللبن الجميد واضافة الزيت والثوم اليه ويقدم البصل الجاف كمقبلات وبعض الأثرياء يقدمون اللحم والفت أو اللحم والارز في هذه المناسبة .

ويهرع الفلاحون في موسم الحصاد لمساعدة فلاح تاخر في جني محصوله فيقدم هذا لمساعديه خروفا يطهى بالماء ويقدم اللحم على ثريد الخبز ، واذا ما تم صلح في القرية بين متخاصمين فانهم يتوجون هذا الصلح بطعام يشترط ان يدخل فيه اللحم ..

وفي حالة الضيافة يتنازع الرجال على شرف تقديم الطعام للضيف والعلوفة لركوبته . واذا كان الضيف من عليه القوم قدم له في الوجبات الثلاثة اللحم واذا كان الضيف عاديا اكتفي بما يسمى (الخروج) وهو اطباق من الطعام اليومي للناس .

وفي القديم كان اللحم يقدم للضيوف قطعا ملفوفة في ارغفة من الخبز الشراك (خبز الصاج) فيخص الضيف بقطعة الفخد لانها الاساسية في نظرهم كما ويوزع بقية اللحم على الحاضرين (المحلية) أو (المعازيب) .

وبعض القرى تضع الطعام كله امام الضيف وبعض وجوه الحاضرين فاذا فرغوا من الطعام وضع امام البقية من الناس ليتناولوا ما بقي منه . ويلاحظ ان العادة الأولى شائعة في قرى الجبل حيث الروح الفردية قوية والاعتداد بالنفس ملحوظا بينما تشيع العادة الثانية في القرى الساحلية حيث الاستبداد من قبل الشيخ بالفرد ملحوظا .

ويقوم صانع الطعام باكرام الضيف وذلك بتقطيع اللحم امامه ليساعده على الابتلاع دون جهد .

ومن المناسبات الاحتفالية في القرى الموالد وهي طعام يصنع لكل من يقدم البيت ويكون نذرا قد نذره صاحب البيت ويصنع من اللحم والجريش أو من اللحم المثرود .. وكمية اللحم التي تقدم في هذه المناسبة لا تكاد

تكفي الناس لكثرة من يؤمون البيت فيقطعون اللحم عند ذاك الى قطع صغيرة جدا . ويقيمون احتفالا بعد تناول الطعام وتشيع هذه الموالد في ليالي الصيف من كل عام وتشيع ايضا في شهر رمضان .

ويقدم اللحم ايضا للحجاج العائدين من زيارة البيت الحرام وتتوالى الولائم حسب اهمية الحاج ومكانته في القرية ..

اما الطعام اليومي للشعب فيعتمد في اساسه على عطاء البيئة النباتي ثم العطاء الحيواني على قلة .. وسنحاول ان نشير الى الطعام الحيواني في جنوب فلسطين وفي معظمه يشبه الطعام السائد في الأنحاء الأخرى من فلسطين والشرق العربي أما بقية فهم يصطادون نوعا من بنات آوى يسمى (الحصيني) ياكلون لحمه ويلقون بحسائه .. وياكلون اجزاء من الضبع كالجنب اليمين منه كما ياكلون الغزلان وهي على قلة في تلك الأماكن . ويصطادون الحمام البري فيداهمون اعشاشه ويعدونه كما يعدون الحمام الداجن اي يحشوه بالارز وطهيه بالماء والسمن والبهار غير ان الغذاء الرئيسي كما اثرنا هو عطاء النبات والخضرة ويعتبر الطبق الشعبي السائد في معظم ايام السنة العدس ، والعدس نبات بقولي يزرع بكثرة في تلك المنطقة وهو انواع من العدس الأحمر والابيض ولم يكن الفلاح يصدر هذا اللون من المحصول بل يحتفظ به او يبيع جزء منه في السوق المحلية .. وكان الفلاحون يميزون العدس على اساس الحقل الذي يزرع فيه فبعض الحقول عندهم تنتج عدسا ينضج بسرعة في الطهي وبعض الحقول تنتج عدسا يصعب انضاجه وينقلب لونه في الطهي الى الزرقة وبذلك كان الفلاح الذي يمتلك ارضا من الصنف الأول . كانت تسمى الارض «البيض» بتشديد الياء وفتحها - يحظى بسرعة تسويق عدسه وتحكم بالسعر الذي يلائمه .. وكثيرا ما كان بعض الفلاحين يبيع انتاجه من العدس ليشتري له ائلته مؤنة العام من عدس جاره الذي يمتلك ارضا بيضاء .

ويعد العدس للطبخ بعد غربلته من الشوائب وسربه للتخلص من الحصى والبذور الأخرى العالقة به ثم يجرش بعضه لتقديم الوان منه لا تقدم الا اذا كان جريش ويبقى بعضه حيث تقديم الوان اخرى منه لا تقدم الا اذا كان العدس غير مجروش .

ويخضع اعداد اطباق العدس في ريف جنوب فلسطين للعادة المتسلسلة للشعب عبر العصور السابقة كما ويتم اعداد اطباق منه حسب طرائق جديدة وافدة او مقتبسة من الجيران . وسنحاول هنا ان نقدم ثبتا باطباق العدس المحلية والوافدة وسنضيف باختصار طريقة اعدادها وكيف تقدم ولمن تقدم .. اذ لا يجوز ان يقدم شيء من العدس للضيوف لان ذلك يعتبر حطا بمقام الضيف سيجني فاعله السمعة السيئة والاحتقار الشنيع .

ومن الألوان المحلية من العدس ..

أ - شوربة العدس .. وتعد من مجروش ذلك البقل .. مخلوطة بالماء ومضافا اليها قطع البصل المفروم وبعض الادام الذي غالبا ما يكون من السمن البلدي او الزيت البلدي .. ولا تقدم شوربة العدس الا بعد ان يقطع الخبز فيها ويقدم باسم «الفت» وهو نوعان «فت الفطير» وهو الخبز الذي لم يختمر ويقدم في الصباح وهو في نظرهم اجود طعما وفت الخمير ويقدم في الغذاء او العشاء .. وهو اقل جودة .. ويؤكل مع شوربة العدس

البصل النيء او الفلفل الأخضر او الأحمر المطحون والمخلوط بالماء والملح ..

ولا يعتبر هذا الطبق لونا محليا يقتصر على سكان تلك المناطق فهو يشيع في معظم ارجاء الوطن العربي ويصعب على الباحث تحديد المكان الذي انطلق منه هذا الصنف ويتميز هذا الطبق بزهادة كلفته وهو لذلك يتكرر معظم ايام الأسبوع .

ب ـ «العدس المغموس» ويعد ايضا من مجروش العدس مخلوطا بقليل من الماء وبعض الآدام من الزيت او السيرج او السمن البلدي او انواع الزيوت الأخرى لم تكن معروفة آنذاك[1] ويحتاج هذا الطبق الى كمية من مجروش العدس اكثر مما يحتاج الطبق الأول ويؤكل معه ايضا الفلفل او البصل الأخضر او اليابس . ويصنع من العدس الغموس الوان أخرى تتأثر بالقدرة الابداعية على الخلق عند ربة الدار او تتأثر باختلاط ربة الدار بغيرها من الناس الذين تجولوا في المدن والقرى المجاورة .. فهناك (العدس الغدوس) المضاف اليه قليل من عصير البندورة وهو في نظري ابداع محلي نشأ بعد ان اخذ الناس يزرعون البندورة بكثرة في حقولهم .. وهناك ايضا (العدس الغموس) المضافة اليه أوراق الملوخية الجافة المطحونة او الباميا الجافة ويعني ان هذين اللونين من الوان العدس مأخوذان من طعام المصريين وهم اقرب الناس تأثيرا في جنوب فلسطين . ويطبخ العدس ايضا في فصل الشتاء بالوان السلق البري الذي ينبت في الحقول وقد لاحظت ان هذا الطبق كان يشيع في بيوتات قروية تزوج اصحابها من فتيات مدنيات ينتسبن الى مدن فلسطين جنوبية كغزة والمجدل ويافا ..

ويطبخ العدس المجروش ايضا مع الأرز ويضيف بعض الفلاحين اليه لبن «المخيض» وقد شاع هذا اللون من الطعام بعد ان كثر استخدام الرز في الطعام اليومي للناس هناك وقد كان الرز في القرن التاسع عشر يقتصر استخدامه على بيوت المدينة نظرا لأن الريف الفلسطيني لا ينتج هذا النوع من الغلال وحياة اللاستقرار كانت تنفي وجود هذا اللون من الغلال في القرية التي كان اهلها عرضة بين حين والحين الى السلب والنهب من قبل الأعراب فلا يجرؤ احد على انشاء دكان مسقر يعرض فيه لونا من البضائع الثقيلة التي لا يعرف كيف يخفيها اذا ما جاء اللصوص ذات يوم وهاجموا متجره .

والعدس المطهي بالرز طبق مصري انتقل الى جنوب فلسطين اولا عن طريق الوافدين من المصريين الذين هربوا من جور ابراهيم باشا ووالده محمد علي ولم يشع استخدامه الا في العشرينات من هذا القرن وما تلها .

ومن الوان العدس الحب اي غير المجروش ما يلي .

أ ـ العدس مع الرز على شكل مفلفل وهو ما يسمى (بالمجدرة) وهو لون وافد شاع بكثرة لدى السكان واعجبوا به وكان تقديمه في البيت دلالة على التقدم الحضاري لاهله .

ب ـ العدس مع الرقاق المقطع او ما يسمى (بالرشته) عند سكان تلك المنطقة وطريقة اعداد هذا الطبق هو سلق العدس الحب حتى ينضج ثم اعداد رقاقة من عجين القمح تقطع بسكين على شكل مستطيلات رفيعة تقترب من المعكرونة الغليظة ثم تضاف تلك الرقائق الى العدس ويطهوان على النار حتى ينضجان ويضاف اليهما الثوم المقلي بالادام

[1] حديثنا عن اطباق الطعام يصف ذلك قبل عام ١٩٤٨ .

وهذا اللون من الطعام وفد الى الجنوب من جهة الشرق او الشمال واكثر ما يشيع في منطقة جبل الخليل وتتفنن بعض السيدات في هذا الطبق فيقدمنه حينا باضافة عصير البندورة اليه او باضافة اللبن المخيض واحيانا اخرى يضاف اليه الحليب الطازج وقليل من السكر ليقدم كحلوى .. ولا يشيع هذا اللون من الطعام الرشتة في قرى الجنوب كثير وانما يقتصر استخدامه على القرى الواقعة في جبال الخليل ومنحدراتها ..

اما الطبق الشائع في الشتاء بعد اطباق العدس المذكورة هو (الخبيزة) وهي نبات بري تجمع اوراقه لتقدم في ثلاثة الوان رئيسية هي (الخبيزمع المفتلة) وتقدم مائعة والمفتلة هي كرات صغيرة من العجين ، (والخبيزة المعصرة) وهي اوراق النبته وسوقها مفرومة وتقدم يابسة ، (والشختورة) وهي طبقة من الخبز واخرى من الجريش او الرز .

ويقدمون ايضا (المبصلة) او (المية وبصلة) وهي مزيج من الماء والسمن ومبروش البصل وعندما ينضج يضاف اليه البيض ويسكب هذا المرق على الخبز المقطع ، .

وهم ايضا يطبخون الكشك بالرز والزيت النيء يقدم كطعام بارز في الفطور ويقدمون (المريسة) وهي محلول اللبن الجاف مسكابا على الخبز المقطع ويضاف اليه الزيت النيء والبصل الاخضر .

ويقدمون اوراق نبات يدعى (اللوف) وهو جافة ويضيفون اليها البيض . وهذا الطعام تتناوله النساء الواضعات لاعتقادهم ان هذا الطعام يهب العافية ويكسب الجسم مزيدا من الدم .

وهم يطبخون في بيوتهم البامياء الجافة والخضراء مع البندورة او العدس ويبدو لي ان عنايتهم بالخضار مستحدثة وخاصة بعد الاستقرار الذي ساد المنطقة بعد جلاء الاتراك عنها وقيام زراعة مستقرة كزراعة الخضروات وقد شاعت طبخة (الملوخية) الخضراء حديثا وقد وصلت من مصر الى غزة ومنها انتشرت في قرى وبلدان الجنوب وهم يطبخونها على قطع من اللحم ويتباهون بطبخها وكانها علامة تقدم ورقي .

وفي المنطقة الوان من الطعام خاصة بالنساء لايقبل عليها الرجال منها (المقلى) وهو خبز وبصل مقلي بالزيت ويضيف الموسرون اليه بيضا ويعتبر هذا الطعام خاصا بالنساء يهبهن قوة بعد الوضع ولا يقبل عليه الرجال الا في النادر ، اما الرجال فكانوا يانفون من امعاء الخروف (الكرشة) ويكتفون باكل الجمجمة التي لا تقترب المراة منها او الأولاد ..

ومن عاداتهم عندما يقبلون على طعام فيه لحم الا يبدأ به الا بعد ان يتناولوا قدرا كافيا من ثريد الخبز دلالة القناعة ولا يبدأ الصغار او النساء الا بعد ان يتناول الأب في المقدمة .

تاثرت بعض اطباق الطعام في هذه المنطقة بما كان يطرأ عليها من موظفين وسياح فمن الوان الطعام الوافد على المنطقة (الكوسا المحشوة) والباذنجان وورق العنب والقرنبيط والملوخية الخضراء واول مصدر في التاثر على طعام الشعب في جنوب فلسطين كان المصدر المصري وهو نوعان ، مصدر ريفي يبدو في الاكلات الشعبية البسيطة كالوان العدس المذكور ،ومصدر حضري ويبدو خاصة في الخضار المطبوخة والمحشوة التي اشرنا اليها .

ويتضاءل الأثر الشامي او اللبناني في هذه المنطقة ولا يتجلى الا في طبق ورق العنب الذي كان يعد بطريقة بدائية فلا يضاف اليه اللحم او التوابل .

الموال و العتابا

ان دراسة القوالب اللحنية للاغنية الشعبية جزء هام من دراسة البناء الفني لهذه الأغنية وتحديد الشكل الذي يكون مع المضمون العنصرين الأساسيين في دراسة ذلك الشكل الأدبي الشعبي .

وعلى الرغم من وجود بعض الفروقات بين الموال والعتابا فانهما ـ واذا ما نظر اليهما من زاوية اللحن ـ متقاربان من حيث أسلوب الأداء .

ويسمع الموال في جهات كثيرة من البلاد العربية وقد اشتهر منه نوعان الموال البغدادي والمصري ، أما النموذج الشامي للموال فهو رباعي ويحمل اسم العتابا .

ومن حيث التسمية فان معنى الموال والعتابا متقاربان ، فالموال يعني الندب والنداء يا موالياه وبه ناحت جواري البرامكة على أسيادهن الذين نكبهم الرشيد فيما سمي في التاريخ العربي بنكبة البرامكة . وتعني كلمة العتابا عتاب الأصدقاء والزمن . وبصورة مبدئية يمكن القول أن الموال والأتعاب يستعملان من جانب الفنان الشعبي لبث الشكوى والألم من أحزان الأيام وتقلبات الدهر والغدار .

ويمكن القول بأن الموال البغدادي كان أقل شيوعا بدرجة كبيرة من العتابا (التي قد تحمل اسم الموال) . وما تمكنت من جمعه من نصوص الموال يعود للمراجع وقليل منه كان من أفواه الرواة . وقد عثرت على نصوص قليلة منه في مجموعة ساريزالو[١] ودالمان[٢] وفي ما كتبه احسان النمر[٣] . أما الراوية الوحيد الذي نقلت عنه بعض النصوص فهو عبد العزيز كتكت (الفالوجة ـ غزة) .

ويبدو من استقراء نصوص هذا



الموال أنه كثيرا ما يتضمن شكوى الزمان وهجر الخلان وسيطرة الأنذال وتكبيل الشجعان وتخلف ابناء الأصل · ويمكن تفسير ذلك على اعتبار أنه وليد المواليا التي ناحت بها جواري البرامكة على أسيادهن الذين نكبهم هارون الرشيد ·

وهناك أسطورة تشرح لنا سبب تسمية الموال بهذا الاسم ·

تقول الاسطورة ، ان شابين تعاهدا على العمل معا ، احدهما يدعى شهاب واما الاخر فيدعى ليل وقد عملا في الصيد في مركب واحد ، يقومان بالعمل من خلاله بالتناوب ·

وحدث ذات ليلة بينما كانت نوبة شهاب للعمل ، اذ به يرى فتاة تشق الماء وتقفز على مركبه وهي في اكمل صورة من الجمال ، وتأخذ بمغازلة الشاب شهاب وتمنيه باشهى ما يصبو اليه شاب من مجد وثراء في قصر ابيها ملك الجان · وبهت شهاب مما رأى وسمع ولكنه أبى أن يخون صاحبه ليل ، فيرحل مع تلك الجنية الحسناء بالرغم من الحاحها المتواصل فقالت له :

ـ لا قيمة عند صديقك ـ ليل ـ للعهود ، وسيفرط فيك لدى سماعه اول كلمة مني ·· أما أنا فأنا عين الحياة ابنة ملك الجان ·· ولكنه ابي ان يرحل معها · فتركته قائلة : سترى صحة كلامي ·



وفي الليلة الثانية ، حين كانت نوبة ـ ليل ـ للحراسة ، ظهرت عين الحياة ·· وقالت للشاب ما قالتـه بالامس لصديقه ـ شهاب ـ فوافقها واخذته واختفيا ·

وفي اليوم التالي ، افاق شهاب فلم يجد صديقه ليل ولا عين الحياة فعرف خيانة صديقه وشدة الالم اخذ ينادي :

يا عين ·· انت يا عين ··
يا ليل ·· انت يا ليل ··

ثم اغمي عليه وهو يردد :
يا ليل ، يا عين يا ليل ، يا عين

وبمرور الزمن ، اصبحت هـذه الكلمات للتغني ·

والموال البغدادي هـذا سباعي أي ذي سبع شطرات تكـون الأولى والثانية والثالثة والسابعـة عـلى قافية وتكـون الرابعـة والخامسة والسادسة على قافية أخرى ·

وفي الأبيات الستة الأولى يكدس المغني همومه ويلتمس التنفيس عند المد والقفلة في الشطرة السابعة ·

ومن الأمثلة على هذا الموال مـا نقله ساريزالوا من شمال فلسطين من البصة والبقيع والناقورة :

لما تبدي علي بالتهام[٤] نوح ·
وافظلت[٥] اعن[٦] على ربعي وعدت انوح[٧] ·
شربت كاس الصبر علي أبطل نوح[٨]
والذي اشتفى ما اختفى بالورى عني
يا الله يا بني ترفع صايبك[٩] عني
خلفت لي جرح أكبر من سفينة نوح

ويذكر احسان النمر في تاريـخ جبل نابلس والبلقاء ، الموال الفروسي على أنـــه هو الموال البغدادي[١٠] ، ويورد هذا الموال نقلا عن محفـــوظ السلطي زوانة عن معلمي المحاجر[١١] ومحمـــد الكوني وأمين الدلـــح من نابلس :

حنا[١٢] ندوس أرضا لهم بخيولنـا الجردا
وانقيمها من الموت بي حوافر الجردا
يا سعد من يلتجي لنا وانصير لـــه جردا
انقيم[١٣] عنه المظالم ما يصير لـــه انكاد[١٤]
واحنا اولاد الفتوة من سريع انكاد
يا سعد يوم نلتقي على ظهر الخيول انكاد
حنا اللي نحمي حمـانا بي ذرا[١٥] ارماحنا الجردا

كما يصنف داخل الموال : الموال الأحمر والموال الأخضر ·

الموال الأحمر[١٦] :

يقال للتفاخر والتحـدي بـين متنافسين أو في مـــواقف الحـرب والحصار فمن النوع الأول يقـــول أحدهم مفتخرا بفارس ·

خيال باب النصر ما يختفي خيالها
تشهد لك الخيـل ياراعي الناموس خيالها
قرنوبة الخيل ما ضنت غير خيالها
بيض المحاسن حلو شعور الخبا
والحور من أجلهن كشفوا ستار الخبا
ما لاجت[١٧] العين فالبحر لجها[١٨] والخبا

الموال الأخضر :[١٩]

هو من البغدادي الا انـه وعظي

وغرامي واليك بعض أنواعه في ذم نقض العهد :

لي خلة يا ناس في ساعة الشدات باعوني
من بعد ما كنت عندهم معزوز باعوني
جرح علي الزمان وقال مالك ثمن
أنا من قلة السعد يا ناس ما عادلي ثمن
أوصيك يا صاحبي لا تعاشر رخيص الثمن
أنا بالروح لم بعتهم[٢٠] وهم بالبلاش[٢١] باعوني

الموال المصري :

تسرب هذا الموال الى أقصى جنوب غرب فلسطين ، وأنقل هنا موالا خماسيا يرويه عبد العزيز كتكت من الفالوجة :

سلم علي خلتي[٢٢] يللي انت دا[٢٣] خلة[٢٤]
بالبعد والقرب هو خلي وانا خله
احنا ان دخلنا بقولوا الناس داخله[٢٥]
وان ما دخلنا على المحبوب متهومين
سلم علي خلي ياللي انت داخلة

ويلاحظ ان الشطرات الأولى والثانية والثالثة والخامسة تتحد بالقافية وتختلف الرابعة . وتوحي بعض مفردات الموال بأنه مصري مثل كلمة «دا - هذا » .

العتابا :

يتألف هذا القالب اللحني من أربع شطرات تتحد الثلاث الأولى في قافية بينما تنتهي الرابعة بالف وياء :

حبابي اللي يبروني وبرهم[٢٦]
وما قطب جروحي الا وابرهم[٢٧]
حمد يا خوي أعطيني خبرهم
بعيدين النزل والا أقراب[٢٨]

واذا لم تنته الشطرة الرابعة بالباء يمكن أن يضيفها المغني اعتباطا :

طلبت المي واسقتني بلفته[٢٩]
عنيها تذبح العاشق بلفته
لمن تتلفت نحوي بلفته
تهب نار الغرام جوا[٣٠] الحشاب[٣١]

وقد وجدت في مجموعة ساريزالوا[٣٢] من أغاني الدروز بيتا من العتابا ذي خمس شطرات وذلك نادر ، يقول البيت :

اسمك من أمارة نجد منسب[٣٣]
وامك مع أبوك من أشرف آل
وشخصك بالعمر ياشهم منسب
وعدوك من حسامك مات منكاد[٣٤]
ولمن شافك على الرمظا[٣٥] قلب[٣٦]

وفي مجموعة العتابا التي أوردها جوستاف دالمان نجد أن الشطر الرابع من العتابا ينتهي بالياء المدودة وغالبا ما تكون الباء مضافة اعتباطا وليست من أصل الكلمة الأخيرة .

من الشطر الاخير مثل :

لبس منديل القفطان ورخاه
ثلاث شامات ع الخدين وارخى
يا ذل من كان بيده طير وارخاه
وصار يصيح يا أهل الهوابا

وتؤدى العتابا بواسطة مطرب مليح الصوت على النحو التالي :

يصيح المطرب أوف بصوت ممدود منغم ثم ترفعه[٣٧] الجماعة مكررة لفظة أوف . وبعد ذلك يتلو المطرب الشطرات الأربع منغمة وهو يضع يده على أذنه ويهز رأسه مترنما .

وعندما ينتهي المطرب ينطلق صوت أحد الحاضرين على الفور بشطـرة واحدة مما يلي ·

أمك أصيلة وخلفت سبع الفلا

يسلم لسانك يا فصيح بلادنا

زهر البنفسج يا ربيع بلادنا

أو

ضرب المدافع ما تهابه رجالنا

وتستوعب العتابا أغراضا مثـل بث الشوق والحزن والتـأوه مـن تقلبات الأيام ، ولهذا يبدأ المغنـي البيت بقوله : أوف ، وهي من التأفف

وكذلك قول يا ليلي يا عيني أو يا ليل ··· يا عين · ويقال ان مـرد ذلك عائد الى أن أحدهم تعلق في حب فتاة ، فقالت له انت غير مخلص لي واذا كنت تدعي بأنك مخلص فاخلع عينك اليمين ، وفعل ، ثم قالت له اخلع عينك اليسرى لكي لا يتسنى لك أن ترى امرأة غيري ، وفعـل ، ولما جاءها بعد ذلك وهو أعمى قالت له ، وما حاجتي بـك الآن وأنـت أعمى ؟؟ وهكذا أخذ يبكي وينـوح ويتضجر نادبا ليله الطويل وعينه ، ويعاتب تقلبات زمانه ·

---

(١) Aopeli Sarizalo, songs of the Druzes, Helsinki, 1932

(٢) Gustav Dalman, Arbeit und Sitte in Palästina

(٣) تاريخ جبل نابلس والبلقاء ·

(٤) التهم ·

(٥) بقيت ،ظللت ·

(٦) أصدر الأنين ·

(٧) أقوم بالنواح ·

(٨) نواح ·

(٩) مصيبتك ·

(١٠) الجزء الثاني ص ٨٨ ·

(١١) قاطعوا الحجارة من المحاجر ·

(١٢) نحن ·

(١٣) نزيل ·

(١٤) جمع نكد ·

(١٥) بواسطة ·

(١٦) المرجع السابق الجزء الثاني ص ٩٠ ·

(١٧) لاقت ·

(١٨) ملجاها ·

(١٩) المرجع السابق الجزء الثاني ص ٩١ ويرويه المؤلف من محفوظ قاسم الأغبر وولده واصف من عمال البناء في نابلس ·

(٢٠) ما بعتهم ·

(٢١) بلا ثمن ·

(٢٦) من عمل البر بمعنى الخير ·

(٢٧) ابر ·

(٢٨) قريبون ·

(٢٩) نظرة ·

(٣٠) داخل ·

(٣١) النص من : Songs of the Druzes, Aapeli Saarizalo Helsinki, 1932

(٣٣) ينتسب ·

(٣٤) وقد قلتم الكبد ·

(٣٥)رماد النار ·

(٣٦) سقط من موقعه ·

(٣٧) أي تثير الحماس حوله بالهتاف والصراخ ·

الحرف الشعبية

في الأردن

لكل شعب من شعوب العالم خصائصه ومميزاته يتميز بها عن باقي شعوب العالم . وقد تتشابه شعوب المناطق المتجاورة في بعض هذه الخصائص .

ان الحرف الشعبية الفنية تشكل الى حد ما من اهم هذه الخصائص بالاضافة الى العادات والتقاليد وغالبا ما يكون عمر هذه الحرف عمر الشعب الا بعضها فقد يكون دخيلا ـ ولكن الحرفي الفنان غالبا ما يحرف هذه الحرفة لما يتناسب ومميزات حرف شعبية دونما اعمال فكر ، ذلك لان الحرفي الشعبي ابن بيئة يعمل ما يناسب منفعة ابناء شعبه . لأنه بالمراس يستطيع أن يسيطر على الخامة التي يتعامل معها وبالتالي فان الحرفي الخلاق يستطيع أن يطور انتاجه .

واذا نظرنا لمعظم الحرف الشعبية لدى جميع شعوب العالم نجد انها تكاد تكون متوارثة ياخذ الابن عن الاب عن الجد وهكذا ، او في هذه الحالة يكون عطاء الحرفي اكثر التزاما وجودة .

والفنان الشعبي او الحرفي يعتمد على نظرته في انتاجه وتحسينه ، فهو يبدا عمله دون اعمال فكر فيما سيؤول اليه عمله ، فلا يفكر بالخطوة التالية ، الا بعد أن يكمل سابقتها وهذه من اهم الاسباب التي تجعل الفن الشعبي بطيء التطور نسبيا .

ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال ان نذكر بان الفنان الشعبي الصق للعوام من الفنان المثقف . بل هو واحد منهم ، يؤمن بما يؤمنون به من الخرافات والعادات والتقاليد لا في شعبنا فحسب بل في جميع شعوب العالم بل انه يلبي رغباتهم وحاجاتهم النفعية .

وبلدنا كباقي بلدان العالم فيها من الحرف الفنية الشعبية ما يحمل طابعها الخاص . فالفنان الحرفي ياخذ الخامات والمواد الاولية المحلية البسيطة يتولاها باحساسه المرهف صانعا ومزوقا لتخرج لنا تحفا فنية ذات طابع خاص .

ولدينا في بلدنا عددا من الحرف الفنية التي نعتز بها ، بل انها تشكل بعض مظاهر حياتنا وحضارتنا ومنها :

١ ـ صناعة النسيج :

ويمكن تقسيمها الى الاقسام التالية :

أ ـ نسيج منتجات الحيوانات : وتقوم هذه الصناعة بالاستفادة من :



١ ـ وبر الجمال : وغالبا ما تكون هذه الصناعة في المجتمعات البدوية اذ يقوم الرجل بجز الوبر وتتولى النساء وكهول القبيلة بغزل بالمغزل البدائي وبواسطة النول البدائي تنسج النساء منه بيوت الشعر او السجاجيد ، والعبي ، واحيانا يلون الوبر المغزول باصباغ خاصة مسخدما ملح الطعام والشبة لتثبيت اللون ٠

٢ ـ شعر الماعز : وغالبا ما تكون هذه الصناعة في المجتمعات البدوية والقروية ـ المجتمعات الرعوية ـ ويجز الرجل شعر الماعز كذلك وتقوم النساء والكهول من الرجال بغزله على النول اليدوي البدائي ، وتقوم النساء بنسيج بيوت الشعر او المفارش ، ووالزنابيل ، او قفف عصر الزيتون ٠

٣ ـ الصوف : وتنوع هذه الصناعة بتنوع المجتمعات ٠ فبعد جز الصوف تقوم النساء في المجتمعات الرعوية بغزل الصوف ، وصبغه بالوان مختلفة لتنقل هذا التفاوت في الالوان في نسج البسط الجميلة بزخارفها ، ذات الطابع الهندسي الجميل ، او بنسج خرج الفرس ، بما هو مقود عنه من جمال الشكل وكثرة الشراشيب ، واحيانا يطعم الخرج ببعض قطع المري او الذهب خاصة اذا نسج لعلية القوم والشيوخ منهم ٠

اما في المجتمعات القروية فيستعمل الصوف زيادة عن ذلكبنسيج بعض قطع الملابس كالجرازي ، وشنط السيدات ، وغير ذلك واحيانا يصبغ الصوف المغزول ايضا ، مستخدمين نفس الاصباغ ، وطرق تثبيت اللون في تلوين الوبر وهناك من يستعمل السنارة لصنع الطواقي او شالات الاطفال والنساء، من صوف الغنم او الخيوط المصنوعة من القطن ٠

ب ـ نسيج مخلفات بعض النباتات وخاصة خنازير الزيتون او سفان القمح والشعير او البوص او الحلفا ٠

١ ـ نسج خنازير الزيتون : وهي اغصن الزيتون التي تنبت في جذع اشجار الزيتون الهرمة ٠ وتكون هذه المجتمعات القروية حيث يوجد شجر الزيتون وينسج منها سلال ، ومقاطف تستعمل في قطف الزيتون والفاكهة واستعمالات القرويين المختلفة ٠

٢ ـ نسج سيفان القمح والشعير وتوجد في المجتمعات القروية كذلك ، فانها تزدهر في موسم الحصاد ، واحيانا تخزن السيفان لتتسلى بها النساء في اوقات فراغهن في الشتاء ويصبغن هذه السيقان بالوان مختلفة يزخرفن بها الاطباق ، والصواني والجواني والقبع[1] ويستخدمون ملح الطعام والشبة في تثبيت الاصباغ ، كذلك تستخدم النساء زخارف هندسية باشكال تتباهى نساء وفتيات القرى

برفع البته وبراعة اداء الزخارف وابتداع زخارف جديدة وابتكار اشكال جديدة لاستخدامات جديدة ، منها شنط السيدات ٠

٣ ـ نسج البوص او القصب وهناك بعض المتخصصين في هذه الحرفة اذ تقسم البوصة الى عدة اقسام او مقاطع طويلة ، وتنسج منها السلال بالاحجام المختلفة واحيانا تقوى باشرطة من المعدن (الطوق) أو الاسلاك المعدنية٠

٤ ـ نسج البردى ٠٠ الحلفا : ويقوم به بعض المتخصصين ولا سيما في مناطق وجودهذا النبات ـ اذ تنسج منها الحصر ، وتصبغ ، وتثبت بنفس المواد السابقة الذكر وتزين بزخارف تلائم نسجها ٠

ج ـ نسيج المعادن : اذ هناك من ينسج من اسلاك الحديد انواع جميلة من السلال التي تستخدم لوضع البيض في القرى او اقفاص الطيور ٠

٢ ـ صناعة الفراء والجلود :

وتقوم هذه الصناعة على استغلال فراء الحيوانات وتوجد هذه الصناعة في المدن والقرى والبادية ٠ فبعد دبغ الجلد يصنع منها الفراء باشكل واحجام مختلفة واحيانا تلبس الفورة بعباءة سواء من الصوف أو القماش وتزينها بزخارف جميلة ٠

وهناك من يعمل من جلد الخاروف الجاعد ليستخدم للصلاة او للجلوس عليه ٠ وكذلك يمكن صناعة السقا من جلد الماعز بعد نتف شعره ،ليستخدم في تصنيع اللبن ، والزبدة والقربة التيتستخدم لنقل الماء ٠ وكلاهما يصفان في المجتمعات البدوية والقروية ٠ وهناك من يصنع منها الاحذية (الوطاء والمداس) ويزخرف ويزين ٠

٣ ـ صناعة الخشب :

وتقسم الى عدة اقسام منها :

أ ـ تجارة الخشب : وتزدهر هذه الصناعة في القرى والمدن لاستعمال المجتمعات الزراعية غالبا حيث يصنعها اشخاص متخصصين ويقومون بعمل :

١ ـ ابواب للبيوت ٠

٢ ـ صناديق العرايس ٠

٣ ـ عمل مباهر ٠

٤ ـ عمل نجر او مهباش القهوة ويده ٠

٥ ـ المغارف والمفارك والشوابك[٢] ٠

٦ ـ الكراسي ٠

واجمل ما في هذه الاعمال الزخارف التي يمارسها النجار عليها سواء بالحرق او الاصباغ ، أو المسامير الذهبية او يوضع لطع المرى عليها وتغلب على اشكال الزخارف فيها الاشكال الهندسية والتجريدية ٠

اما عمل النجر او المهابش ، فيحتاج لمهارة في الصناعة ، ونوع معين من الخشب ٠ وغالبا ما يزينه بزخارف هندسية ٠ ولقد ابدع الفنان المسلم في هذه الصناعة ، فخلف لنا المنابر ، والابواب ، وغيرها بما فيها من زخارف زاخرة ٠

ب ـ خشب الزيتون : ويمتاز خشب الزيتون ـ هذه الشجرة المباركة ـ بتعاريق جميلة ، تزيد من جمال القطعة المصنوعة منها ٠

١ ـ ويصنع من هذا الخشب اشكال حيوانية ، وآدمية ، وترابيع مختلفة ، كقافلة جمال يسوقها حمار او رجل او مراة ٠ ويلبس الرجل والمراة زي وطني ٠ ويقبل على شرائها السواح اقبالا شديدا ٠

٢ ـ العقود وتعمل منه حباة على شكل الخرز بزخارف مختلفة باسلاك من الفضة تزين عنق الجميلات من النساء ٠

٤ ـ صناعة الزجاج :

وتعتمد هذه الصناعة على :

أ ـ اعادة تصنيع كسر الزجاج والقوارير المستعملة ٠

ب ـ استخدام مواد الزجاج الاولية البسيطة ٠

ويعتمد الصانع في هذه الصناعة على فرن بسيط يصهر الزجاج مستخدما البترول ، او الكهرباء في رفع درجة حرارة الفرن ثم يتناول بملعقة كمية من الزجاج المصهور ، ويشكلها اما بواسطة النفخ او بواسطة قوالب ٠

ولقد ابدع صناع الزجاج الشعبيين ، في اثراء الاسواق بالقطع الجميلة الملونة ، وسد حاجة السوق منها ٠

٥ ـ صناعة الطين :

وتقسم الى قسمين :

أ ـ تشكيل الطين ويبقى على حالة طين ونصنع منه كوانين النار والخوابي[٣] وتقوم هذه الصناعة في الارياف : لسد حاجاتهم ولتستخدم نفعيا ٠ وغالبا ما تقوم النساء المسنات بهذه الاعمال ، حيث يصنعن الخوابي لخزن الحبوب والطحين ، والكوانين لتوقد النار فيها في الشتاء ويستخدم له طينات خاصا ضاربا للغرة او الزرقة ، ويقوى بالاضافة التبن له عند عجنه وتقوى الاجل براسطة سيقان نبات الذرة الصفراء او ذرة المكانس ٠ وغالبا ما تزخرف هذه الاشكال ٠

ب ـ الخزف ويمكن تقسيم هذا النوع من الصناعة الى قسمين ٠

١ ـ الخزف البدائي وتقوم صناعته في الارياف ، وتقوم النساء كذلك بهذه الصناعة وحسب الحاجة والطلب ، وتصنع بهذه الطريقة القدور ، والجرار ٠ باحجام مختلفة والمغاطيس[٤] ، حيث تستخدم للماء او تخزن الزيت وكحف الطابون[٥] ٠

والطين المستخدم هنا ذو نوعية اجود من الاولى ، مضافا اليها مسحوق كسر الفخار ٠ وتقوم صناعته باضافة قطع من الطين للجسم المبني مستخدمين اصابع يد وقطعة من تجويف مفرغة لتعطيها الشكل او التكوي اللازم ٠ ودولابها الذي يدير القطعة بواسطة قاعدة احدى القطع الفخارية او قطعة خشب تصنع

خصيصا لهذا الغرض ويسكب الماء اسفلها ليساعد على دورانها على الارض ٠

وتمارس رسوم وزخارف بسيطة عليها اما بالحرير او بالرسم عليها بعد اذابتها بمحلول تراب السمكة(٦) او المغرة ٠

اما صهر هذه الـ قطع فيكون بواسطة فرن مفتوح في الهواء الطلق مستخدمه روث الحيوانات(٧) ٠

١ ـ خزف الفواخير الشعبية ويتولى العمل فيها رجال مهرة متدربون ٠ حيث يقومون بصناعة ما يلبي حاجة السوق من ازيار واحصص لزراعة الازهار ، وحصالات الفلوس وغير ذلك ٠ مستخدمين دولابا بدائيا ٠

ج ـ الخزف : هناك فرق في طريقة شي القطع الخزفية ٠ فالخزافة البدائية تحرق قطعها بواسطة فرن مفتوح مستخدمه الحطب والجلة(٨) فوق القطع الفخارية وحولها ٠ اما الخزاف المحترف ، فانه يحرق قطعة في فرن بيته بطريقة خاصة مستخدما السولار او زيت السيارات المستخدم ٠

٦ ـ صناعة المكانس :

وتقوم هذه الصناة في المدن والقرى ٠ وهناك انواع مختلفة من المكانس حسب المادة الخام المصنوع منها فمنهم من يصنع المكانس من نبات ذرة المكانس يستخدم في تنظيف ارضية البيوت ٠ ومنهم من يصنع المكانس من نبات السنام الذي يمتاز بنعومته لتستخدم المكنسة من هذا النوع في تنظيف السجاجيد وغيرها ٠٠ ومنهم من يصنع المكانس من نبات النتش(٩) لتنظف بها الشوارع او ساحة الدار ٠

ويمكن ان نعتبر هذه الصناعة مع النسيج لولا بعض المحاذير ٠ ويقوم هذه الصناعة على استغلال الخرز الصغير الحجم بالوانه المختلفة لصناعة احزمة الساعات ، والاساور ، والخواتم او احزمة السيدات ، والرجال او شنط السيدات او المكاحل او الاحجبة ٠ ويستغل الصانع الوان الخرز في عمل زخارف جميلة تلائم طبيعة حياكة الخرز ، ولا سيما الكتابة بالخط الكوفي الذي يتلائم مع طبيعة حياكة الخرز ٠

٨ ـ الصياغة :

وهي عبارة عن تشكيل الذهب والفضة وعمل بعض الحلي التقليدية مثل صناعة الحجول ، والغويشات ، والاقراط ، والخواتم وغير ذلك ٠ ويقوم بهذه الصناعة صياغ مهرة ويعتمدون في عملهم على الالات والادوات اليدوية ٠

وهناك من يصنع التعاويذ من الذهب او الفضة ، منها ما هو لرد عين ، تعلق في شعر الاطفال الصغار ، او على كتفهم ومنها الضفادع ، والكف وآية الكرسي وغير ذلك ٠

٩ ـ صناعة الصدف :

وهذه الصناعة من اهم الصناعات الحلية

السياحية وتقوم على تصنيع اصداف وحجارة البحار الى خرز ليصنع منه العقود ، او المسابح او لتشكل منه الترابيع المختلفة لتمثل فيه الصخرة المشرفة او كنيسة القيامة ، او غير ذلك من المواقع الدينية والاثرية او لتعلق بجسم لمسجد الصخرة المشرفة ، الذي يصنع من خشب الزيتون ·

١٠ ـ صناعة المعادن :

وتكون هذه الصناعة بتشكيل بعض نفايات الحديد مثل زنبركات السيارات واطواق الصناديق لتصنع منها المناقل ، لتوقد فيها النار ، لتحل محل كانون النار المصنوع من الطين ، او ملاقط الشعر او النار ، وادوات دق الحجر مثل الازميل والمطارق والشاموط ، والمهدة ، والبينسة وغير ذلك ·

ومنهم من يقوم بتصنيع رقائق النحاس ليصنع منها صواني القهوة او القدور النحاسية ، والقدور ، ومناسف الطعام ، والمباخر وكاسات الماء وبكارج القهوة ، ومحماسة القهوة ومعلقتها · ثم تقوم بتزيينها بالزخارف المناسبة · وهناك من يصنع الخناجر والسيوف ويحليها بالزخارف الجميلة ، والكتابات اللطيفة ·

١١ ـ صناعة الحجر :

وتبدا هذه الصناعة من قطع الحجر في المحجر ، ثم تصنيفه ليكون معدا للبناء اخذا اشكالا مختلفة منها الزاوية ووسط ايدماك ، والعتبة ، وشوشية الباب ، وغير ذلك ، ومنهم من يستطيع ان ينحت بعض الاشكال للحيوانات لتزين بها مداخل البيوت ·

١٢ ـ صناعة الملابس :

ويهمنا هنا الملابس التي كانت تلبس قبل غزو الحضارة بلدنا فنجد ان هناك اختلافا في زي النساء ،حسب اختلاف المناطق ، فبعض المناطق تلجا النساء الى تطريز ثوب المراة حتى شاش الراس · وهناك من يطرزه · وفي المناطق الاخرى تتفنن في هذه التطاريز · وهناك مناطق اخرى تلبس النساء فيها المدرقة او الفستان ، ومناطق اخرى تلبس العباءة فوق الثوب ·

اما زي الرجل ، فيتكون من الكمباز او الزبون ، ومن اسفله القميص والسروال وغطاء الراس الكوفية ، والعقال او الطربوش ·

ويهمنا هنا الزي الذي كان يلبس قبل غزو الازياء الاجنبية لبلدنا وتقسم الى قسمين

ا ـ زي الرجال ·

ب ـ زي النساء ·

ا ـ زي الرجال : وهو مكون من الكمباز او الزبون او الثوب · وهو يكسو كل جسم الرجل الى اسفل الركبة ، وبعد تفنن الحضارة في هذا الزي من حيث اختيار القماش المستخدم او من حيث رسم زخارف حول الياقة ، ونهاية الاكمام ، وداير الثوب · وهناك من وشاه بخيوط القصب المذهب ·

والكوفية او الشماغ كغطاء للراس · وهناك من تفنن في عمل هدب للشماغ أو تضع الحطة (الكوفية) · ومنهم من وشى الحطة وخاصة نوع البوال بالقصب المفضفض ·

اما العقال ، فهناك كذلك عدة انواع منه ، حسب نوع الصوف المصنوع منه ومنهم من صبغه مقصبا • وغالبا ما يكون العقال المقصب لعلية القوم • وهناك من يصنع الطربوش المعروف ليلبس ، من بعض رجال المدن ، وكذلك اللباس (السروال) الذي تفنن الخياط في زخرفة ارجله •

ب ـ زي النساء : وزي النساء لا يكاد يختلف بالجوهر ، سواء في زي النساء البادية او القرى او المدن • وتعتمد الخياطة في صنع ثوب المرة بما يتلاءم ومفهوم الدين الاسلامي ليستر جميع جسمها ، مع وجود تفاوت بين ملابس النساء في المناطق المختلفة ولكن المحاولات بطريقة او باخرى يبرز انوثة المراة • فهناك من ابدعن في تطريز القبة والاكمام ، وداير الثوب بالحرير • ومنهن من زركشة بالقصب • ومنهن من تفنن في زي الراس (الوقاة او الصفة) ، فزينها بالقطع الذهبية ، والفضية ، او الشال ، فطرزته كذلك • وفي مناطق اخرى نجد الثوب اضيق من مناطق اخرى •

وهناك بعض المناطق تلبس الرجال بها البرقع سواء الاسود منها او الملون • زيادة في اخفاء تفاصيل الوجه •

مميزات الفنان الشعبي :

١ ـ الفنان الشعبي يبحث عن النفعية في اعماله ، ولا ينظر الى اعماله ،الا من خلال ما يخدم الغرض الذي تصنع من اجله • فهو يصنع الحجل لتزين النساء به ارجلهن والمغاطس لتستعمل بشكل سهل في الشرب والحجر لياخذ مكانه في عمارة وهكذا •

٢ ـ الاعتداد بالنفس والاعتماد عليها : فهو فخور بنفسه وبعمله • وما ينتجه من اعمال لا سيما الاعمال الفنية الجيدة • ولذلك نجده يلجا الى نفسه في عمل كثير من ادواته لتلائم طبيعة العمل الذي ستؤديه من منطلق انه اعرف انسان لما يريد وان تعذر ، فانه يشرف في تصنيعها عن الاخرين •

٣ ـ عدم السيطرة على الخامة مع المحافظة على روحيتها • فهو ليس سيد للمادة التي يتعامل معها بل انه مطاوع ، ليساير طبيعة الخامة التي يتعامل معها • فنجده يساير طبيعة الخامة في النسيج فيعمل زخارفه لتزين اعمال القش بما يتلائم والحركة الدائرية للنسيج • في حين نجده في نسيج السجاد ، يعمل زخارفه لتناسب الخطوط المستقيمة لخيوط النسيج ، او زخارف التطريز وهكذا • ونجده كذلك مهما زخرف او لون اعماله ، الا انه يترك بشكل او باخر ما يفضح طبيعة المادة التي يتعامل معها •

٤ ـ حبة للتجريد من الواقع : وللفنان الشعبي قدرة عجيبة في التجريد ، والتبسيط سواء في اشكاله او زخارفه عليها ، ويمارس التجريد على مستويين يبرز ان قدرته في التجريد على المستوى المعنوي والمادي • فهو يجرد المعنويات مثل فكرة الحسد من الكف او التعاويذ • والمادي مثل رسم الاشجار على شكل مثلثات او سلاسل الجبال على شكل خط منكسر وهكذا •

هدفه من ذلك ، الابتعاد عن الواقع ، لاسباب كثيرة منها عدم امكانية عمل الاشكال الواقعية احيانا • وما قد تسبب له من تساؤلات احيانا اخرى •

٥ ـ صراحة الالوان وبساطتها : اذ يميل الفنان الشعبي الى الالوان الزاهية ، في تلوين اعماله ، مستخدما الوانه من الطبيعة المحيطة به ويعالج هذه الالوان على انتاجاته ببساطة وسهولة ٠

واذا ما نظرنا الى الالوان التي يستخدمها نجده يستخدمها استخداما رمزيا ٠ فالالوان كالصفراء ، والحمراء والخضراء القاتمة الزاهية للبهجة ، والسرور والازرق والاخضر الزيتوني للحزن ٠ كما نجده في الوان الحرير المستخدم في تطريز الملابس للصبايا ، والمتقدمات في السن والحزانى ٠

٦ ـ كرهه الفراغ وحبة للزخرفة والاكثار منها : فالفنان الشعبي بعد أن ينتهي من عمله ، يلجا الى تزويق اعماله بزخارف مختلفة ٠ قد لا تجمع بينهما وحدة ٠ لكنه يرتاح اليها معتمدا على الخط ٠ والخط وحده في هذه الزخارف في كثير من الاستعمالات ٠

فنجده يزخرف بكارج القهوة ، او نجر القهوة ، بزخارف مختلفة هي عبارة عن مثلثات ، أو النقط او الخطوط ، المكسرة ٠ وكذلك آنية النحاس وابواب البيوت والاثواب او صناديق العرايس وهكذا ٠

وهو دائما يبحث عن الفراغ في اعماله ويزج الزخارف فيه ، واحيانا يكتب على اعماله بعض الكلمات ـ كاسم المالك او الصانع او البسملة ، وخاصة على الخناجر والسيوف او آنية النحاس ٠

---

(١) جمع جونة وقبعة على التوالي وتستخدم الاولى لحمل الفواكه وغير ذلك ٠ أما القبعة فتستخدم لوضع البيض او الخبز ٠

(٢) جمع مفرمة ومفراك وشوبك على التوالي ٠ ويستخدم الاولى لتحريك الطبيخ على النار ٠ والثانية في اذابة العدس اثناء الطبخ ، والبيصارة ، والثالث لرق العجين ٠

(٣) جمع خابية ٠ وهي على شكل صندوق من الطين ،يخزن بها الفلاح الحبوب بها فتحة كبيرة في الاعلى لوضع الحبوب منها ٠ وفتحة في الاسفل صغيرة لاخذ الحبوب منها ٠

(٤) جمع مغطاس : وهو كوب كبير من الفخار بيد يستخدم في استخراج الماء او الزيت من الجرة والشرب به ٠

(٥) ما يصنع من الطين ليكون الطابون الذي يخبزن الفلاحون خبزهم ٠

(٦) تراب السمكة : تراب احمر اللون لوجود كمية كبيرة من اكسيد الحديد فيه ٠ وغالبا ما يستخدم طين جانب الوديان ٠

(٧) بعد اضافة التبن أو القصول له وعجنه وتقطيعه الى قطع دائرية وجفيفه يطلق عليه ٠٠ الازبان او الجلة

(٨) الجلة : تصنع من روث الحيوانات بعد عجنها بالتبن وتترك لتجف ٠

(٩)نبات النتش : نبات ينمو بريا أغصانه محورة الى اشواك ٠

المرأة في
الملاحم الشعبية العربية

اذا عرفت الليالي[١] «بالجواري» فان الملاحم او السير الشعبية العربية تعرف بالمرأة الحرة ، واذا كانت امرأة الحكايات الشعبية العربية تتصف[٢] بالحماقة ٠٠ فانها بالتأكيد غير ذلك أيضا في الملاحم الشعبية العربية ٠ انها جادة مسؤولة وايجابية ، وهذا من مسلمات كل عمل ادبي يتغنى بالبطولات القومية للشعب العربي ٠

طبيعة الملاحم الشعبية :

تتخذ الملاحم او السير الشعبية من حكايات الوجدان القومي العربي تجاه تاريخ واحداث ووقائع الشعب العربي مادة رئيسية لها ، وهي بالتالي تعبر عن قيم الشعب ومثله العليا ، آماله وآلامة ، فضلا عن طموحاته القومية ٠ لذا كان من الضروري ان يخضع الابطال للتشخيص وللرسم في الملاحم الشعبية وفق هذه الغايات الملحمية ٠

وملحمة الوجدان القومي تحكي ضربا من الصراع يقوم على دعامتين

١ - صراع العدو المشترك[٣] تقويم السلوك الجمعي وفقا للاحداث العامة ومسايرة لمثل الجماعة ٠

اهم النماذج النسوية في الملاحم الشعبية العربية :

المرأة في سيرة الأميرة ذات الهمة

هذه اول ملحمة تعهد ببطولتها الملحمية لامرأة ، فهي بحق ملحمة المرأة العربية الاولى ، وتدور محاور بطولتها حول الجهاد الديني القومي[٤] كما هو الحال عند سائر ملاحمنا الشعبية العربية ٠

وتكمن خصوصية هذه السيرة العظيمة التي تكاد صفحاتها تقارب الستة الاف صفحة ، موزعة على سبعين جزءا ٠٠ بحيث غدت بحق اطول سيرة شعبية في تراثنا الملحمي كله ، من حيث الكم والمكان والزمان والاحداث ٠ وتفردت كذلك ليس بين آدابنا الملحمية العربية ، بل بين الآداب العالمية المعروفة ، بأن بطلها امرأة تجلت بما ينبغي ان يتسم به البطل الملحمي من سمات وخصائص وهي الاميرة ذات الهمة ، فاطمة بنت مظلوم بن الصحصاح بن جندبة بن الحارث الكلابي ٠٠

محاولة البطولة النسوية في «سيرة الأميرة ذات الهمة» ٠

يرى الاستاذ فاروق خورشيد[٥] باننا نستطيع ان نسمي هذه السيرة

بالوثيقة الفنية التي تثبت حق المرأة العربية في مكان المساواة من المجتمع العربي وتدور المعالجة الملحمية للقضية الكبرى على محورين(٦) :

المحور الاول : المحور الاخلاقي المرتبط بالمرأة ويتمثل في ثلاث فضائل اساسية هي العفة - والوفاء والامومة . فهي تستشهد دون عرضها ، وتفي للحبيب وترتبط به رغم المغريات ، وتذوب امومتها في كيان ابنها ، وهذا المحور يؤكد لنا صفات انثوية مستقاة من الخلق العربي الاسلامي ، فضلا عن تثبيت معاني المثالية في سلوك المرأة العربية .

المحور الثاني : محور التحرير : حيث ترتفع الملحمة بالمرأة الى درجة المساواة بالرجل . مساواة فيما يعتز به من فضائل ومآثر وصفات طالما استأثر بها الرجل طويلا . وعلى رأسها الفروسية والشجاعة والاقدام ، والمقاتلة بحد السيف .. والعبادة من التبتل .. وهذا المحور يرتفع بالمرأة من حدود دورها كعنصر سالب في تكوين المجتمع الى حد تعبير خورشيد الى دور جديد تكون فيه المرأة عنصرا ايجابيا مشاركا لا يقل في خطورته عن الرجل للفضائل الايجابية . وبهذا تجعل السيرة من المرأة نصف المجتمع العامل .



النموذج الثاني : المرأة زوجة وحبيبة في سيرة عنترة بن شداد :

يتفق الدارسون والمحدثون على ان سيرة عنترة بن شداد هي احدى ملاحم الحرية النادرة في الادب الملحمي العالمي، وان محاور الصراع فيها تدور حول تحرير الذات من ذل العبودية والرق وتحطيم ما اصطلح عليه المجتمع الجاهلي من اعراف وتقاليد طبقيةوعنصرية قسمت الناس الى طبقات على اساس غير منصف من لون وجنس وعنصر بمعنى انها ثورة على معنى التمييز العنصري الذي كان سائدا في الجاهلية قبل ان يسود في عصرنا الحديث فكانت عبلة السبب في تحرير عنترة العبد الاسود من اسوار عبوديته ، وهي ابنة عمه ولع بها ، ولهج بذكرها في شعره . وحالت الحواجز الطبقية والقيود الاجتماعية أمام هذه العاطفة ، ومنع الزواج منها ، فاندفع ذلك الفتى

الطامح يتفوق على الفرسان ، ويستكمل مقومات (المثال) الذي تنشده الجماعة في الفارس الكامل كي يفوز بعبلة ·· ويصدم عنترة من اجل حبيبته بالداخل والخارج ، ويمكن القول ان عبلة ظلت طول الملحمة الحافز النفسي على تحقيق الوجود ، والظفر بالحرية والتفوق على الاقران ، فارسا في الميدان ولسانا في ديوان الشعر اعربي ، وهي قد فرضت عليه المبارزة بالشعر كما بارز بالسيف «·· ما بالك تطيل فكرك وتتحير في أمرك ، أتريد ان ترجع عما عزمت عليه ·· انني منذ اليوم عليك حرام ·· حتى تعلق لك قصيدة على البيت الحرام» ·

ولا تكتف السيدة بان تكون لعنترة معلقة واحدة ·· بل معلقتان ليكون شاعر الشعراء كما هو فارس الفرسان ·

··وهكذا نرى ان عبلة كانت سببا لفصاحته وبسالته كما يقول الراوي على لسان احدى شخصيات الملحمة[٧] وهي التي كانت سببا لفصاحته ومقاومته الابطال ، وشجاعته وتجرئة لسانه ، لانه كلما ذكرها انطلق الشعر على لسانه وطلب لنفسه المنزلة العالية ، وقوي جنانه ، وصار يبعد عن الحي ، ويغير على القبائل « · من اجلها يقبل عنترة التحدي الكبير ، ويعترف بذلك «فما[٨] حملني على هذا السبب الا الهوى» ·

وتفي عبلة لحبيبها بدورها ، دون أن تأبه بتحديات قومها وتعيراتهم لها حيث راحوا يرددون متهكمين[٩] بالامس كان عنترة · راعي جمالها ، واليوم صار زوجها ·· وهذا من اعجب العجب ، بالامس كان راعيا ، واليوم يركب فرسا والحق انها لاقت في سبيل هذا الوفاء الكثير الكثير ، تعذيبا ونفيا وتشريد امتهانا لانوثتها وكرامتها ، دون ان تهن او تستسلم برهة[١٠] «ووالله لو قطعني ابي اربا اربا ما طاوعته على ما يريد من هذا النسب» أي الزواج بغير عنترة وهي التي من اجله تهدد بالانتحار عندما يضيق عليها الخناق «·· وحق من انار الشمس بالاشراق ان زفوني على فحل وكان لا يقبل فروسية عن عنترة فضلا عن مكانته لاقتلن روحي ولا سكن ضريحي» ·

وهي التي تسعى لانقاذه من كل ما حاكه أبوها واخوها بالاشتراك مع بني زياد او احد خطابها الذين لاحصر لهم ، ضد ابن عمها الفائز بقلبها ، وهي التي تقف الى جواره في المعارك الحاسمة مع اشد لحظات القتال ضراوة ، بشخصها او بطيفها فتكون حافزه الاكبر ، منها يستمد صموده ومنها يستمد ثقته بالنصر ، ولا غرو ان نراه يهتف بهذه الصورة الشعرية الملحمية الرئعة ،

من بين قعقعة السلاح ، وتناثر الرؤوس وسقوط الأبطال :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

.. بهذا التصور الايجابي ، رسم القاص الشعبي صورة عبلة الحبيبة والزوجة لعنترة فكانت له (غذاء) ماديا ونفسيا ساعده على تحقيق ذاته ، وتحرير نفسه ، حتى بات مقترنا بها ومقترنة به ، وليس أدل على ذلك الاقتران ، من قيام تقاليد الزواج في بعض البيئات البدوية حتى اليوم ، تمثيل فروسي لعنترة أو عبلة حتى في بعض امارات الخليج العربي وبعض بوادي سورية ولبنان والاردن وفلسطين .

النموذج الثالث : مهردكار في ملحمة حمزة العرب :

ملحمة حمزة العرب : هي الملحمة المعروفة بسيرة الأمير حمزة البهلوان .. وبالمناسبة كلمة بهلوان غير عربية وتعني بطل الابطال ، وحمزة العرب هو العنوان الداخلي للسيرة .

وهذه الملحمة تقع في اربعة مجلدات ضخمة ، من الملاحم الشعبية العربية التي تتغنى بالحرية والتحرير القومي ، من نير الاستعمار على تحقيق نبوءة يراها كسرى تقول بان سيأتي بعد ذلك فارس من برية الحجاز يرفع نير الفرس عن العرب ويهدم معابد النيران .. هذا النير الذي دام طويلا على حد تعبير السيرة وكان هذا الفارس المنتظر هو حمزة العرب بين الامير ابراهيم امير حكة .. قبل الاسلام .

وعند الوقوف عند النموذج النسوي في هذه السيرة ، وهو مهردكار اي شمس النهار بنت كسرى انوشروان ، وما ترمز اليه .

كانت مثل عبلة تماما .. الحافز المادي والمعنوي للبطل المنتظر اي للفارس العربي حمزة وكان زواجه بها قد حقق امرين سعت الى تحقيقها السيرة سعيا حثيثا وهما :

الحرية والعقبات الحضارية . أما الحرية فتتمثل من خلال ضرورة التكافؤ والمساواة بين مهردكار وحمزة والحضارة من خلال قبول مهردكار الحضرية لاقتران بحمزة البدوي وما يعنيه هذا من ضرورة الانتقال من مرحلة البداوة الى مرحلة الاستقرار . أما العقبات الاساسية التي وقفت بين حمزة ومهردكار فهي عقبات سياسية وحضارية في السيرة وهما اذن التحرير القومي والحضاري يعترضان مسيرة الامير حمزة البهلوان في السعي للفوز بشمس النهار بنت كسرى انوشروان .

عقبات سياسية : فالفرس في الملحمة هم سادة العرب والعرب خاضعون لهم ويدفعون لهم الجزية سنويا .

وعقبات حضارية : فالفرس قوم ذوو حضارةوالعرب لأهل بداوة ولم يكن من خيار امام الامير حمزة سوى تحرير قومه من السيادة الفارسية المستعبدة لامته زمنا طويلا وقد ظلت مهردكار الى جواره حافزا ماديا ومعنويا حتى انتصر وحرر قومه فانتقل به من البداوة الى الحضارة فوحد القبائل العربية جميعا وأمسك بزمام لوائها بحس قومي وحضري معا ، وأصبح يؤلف حكومة مركزية مستقلة ذات كيان موحد ، ويكون للعرب عندئذ حكومة واحدة ٠

وقد يقع لقاء هذا الهدف الكثير فخاض حروبا ملحمية رائعة ٠٠ ظلت خلالها مهردكار حافزة المشع حتى تزوجها ، وقد اعترف الفرس بالاستقلال العرب والحكومة العربية ومن ثم باركوا الزواج في نهاية السيرة ٠

وبهذا يمكن القول ان عبلة كانت الحافز المادي والنفسي لفترة لتحرير الذات ، وان مهردكار كانت كذلك وراء حمزة العرب لتحرير الجماعة وتحضرها ٠

الاومة في السيرة الشعبية العربية :

وصل القاص بصورة الاومة في السيرة الشعبية اعلى قممها ، في اكثر من صورة وموقف ، ففي سيرة الاميرة ذات الهمة ، كصورة ام الصحصاح التي توفيت بعد مقتل ابنها بسبعة أيام(١١) ،وصورة (امامة) مع ولدها مظلوم(١٢) ، تلك الصورة التي تكاد تكون نموذجا مصغرا الحديث الاميرة ذات الهمة مع ولدها الأمير عبد الوهاب ، ثم هنالك تلك الصورة الرائعة لامهات الابطال في السيرة ، كموقف (القناصة) مع ولدها(١٣) ٠٠ الى الحد الذي تتحدى من اجله الخليفة الرشيد ٠٠ وتستطيع بقوة سيفها ان تلحق الهزيمة بقواته وتسعى لخلاص والدها ، ويعتبر نموذج (الأم الذائدة) من النماذج الشائعة في جميع الملاحم الشعبية ٠

وهناك نماذج اخرى من الاومة تشير الى نوع آخر منها هي(١٤) الاومة العبقرية ٠ والاومة لها دوران أساسيان هنا فهي تقوم بدور الاشباع النفسي والعاطفي ، من جهة ومن جهة اخرى تمد جذور البطل المتبنى الى الاصول العربية ، كما يتضح ذلك في ملحمة الظاهر بيبرس ومثال ذلك ٠

١ ـ تبني السيدة حسنة الدمشقية(١٥) للظاهر بيبرس وهو مريض ٠

٢ ـ ثم تبني السيدة فاطمة الاقواسية للظاهر ، التي تدعو العلماء المسلمين بالشام الى بيتها ، وتشهدهم بانها تبنت الظاهر ، وتأمرهم بمكتابة حجة شرعية بموجبها تؤول بثروتها الضخمة اليه

وما ان شهد العلماء على ذلك حتى بادرت فادخلته في طوقها ، فشهدت الناس بانه ولدها وعزيزها وسمته على اسم ولدها بيبرس . من وقتها وساعتها[16] وفي بيتها تفتح له خزائن السلاح التي كانت لزوجها فيتعلم بيبرس أول دروس الفروسية وفي بيتها ايضا يتعلم بيبرس اولى دروس الحرية والقومية .. وفي بيتها يتعلم بيبرس اول دروس العياقة والشطارة ، وفنون المناصب والحيل والملاعيب التي اشتهرت بها طبقة الفداوية في الملحمة .

والعجيب ان ظاهر التبني هذه تتكرر ، كلما انتقل بيبرس من بلد الى بلد ، ومن مكان الى مكان ، وما اكثر ما انتقل ، تأكيدا لهذا النوع العبقري ن الامومة السامية . والنبيلة التي تتسم بها الام العربية في الملاحم الشعبية .

---

(١) محمد رجب النجار ـ المرأة في الملاحم الشعبية العربية ـ عالم الفكر ـ الكويت ـ ابريل ١٩٧٦ ع ١ م ٧ . ص ٦٧ ـ ٩٤ .

انظر : الف ليلة وليلة ، للدكتورة سهير قلماوي ص ٣٠٢ وما بعدها دار المعارف ١٩٦٦ .

(٢) شخصية جحا العربي وفلسفته في الحياة والتعبير لكاتب المقال . رسالة ما جستير لم تنشر ـ جامعة القاهرة ١٩٧٢ ـ الفصل الخامس بجحاوالمرأة .

(٣) الدكتور عبد الحميد يونس ، من بحث بعنوان البطولة في الادب الشعبي القي في الدورة الرابعة لمؤتمر الادباء العرب الذي عقد في الكويت ٢٠ ـ ٢٨ من ديسمبر ١٩٥٨ ـ والميد نشره في كتابه دفاع عن الفولكلور ص ١٣٨ .

(٤) انظر سيرة ذات الهمة ، دراسة مقارنة للدكتورة نبيلة ابراهيم ، وقد نالت عليها الاستاذة والباحثة درجة الدكتوراة من جامعة (توبنجن) بالمانيا الغربية ، وقد ترجمت الى العربية ، ونشرتها دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

(٥) د. عبد الحميد يونس ، اضواء على السير الشعبية . ص ٦١ .

(٦) نفس المرجع السابق .

(٧) سيرة عنترة بن شداد ص ١١٠ ـ م ١ .

(٨) السيرة ص ١٣٠ ـ م ١ .

(٩) السيرة ص ١٧٨ ـ م١ .

(١٠)السيرة ص ٥٠ ـ م١ .

(١١) انظر الصورة متكاملة من السيرة شعرا او نثرا ص ٣٥ وما بعدها ط٣ م١ ص ٧ ج٦ م١ .

(١٢) انظر ايضا السيرة ص ٧ وما بعدها م١ .

(١٣) انظر ايضا السيرة ص ٢٣ ج ٢١ م٣ وما بعدها .

(١٤) على حد تعبير الدكتور عبد الحميد يونس .

(١٥) انظر التفاصيل في ص ١٠٣ م١ سيرة الملك الظاهر بيبرس وانظر كذلك كتاب «الظاهر بيبرس في القصص الشعبي» للدكتور عبد الحميد يونس المكتبة الثقافية ـ العدد الثالث ـ الناشر دار القلم .

(١٦) انظر اسيرة ص ١١٧ م١ وما بعدها .

الشاعر الشعبي الكركي

مفلح المبيضين

توطئة :

تخصص هذه الدراسة والبحث لرحلة مونقةاخرى مع فارس اخر من فرسان الشعر الشعبي البدوي في منطقة الكرك كما سبق ووعدنا في دراسة سابقة نشرت في العدد الثامن من مجلة الفنون الشعبية الاردنية .

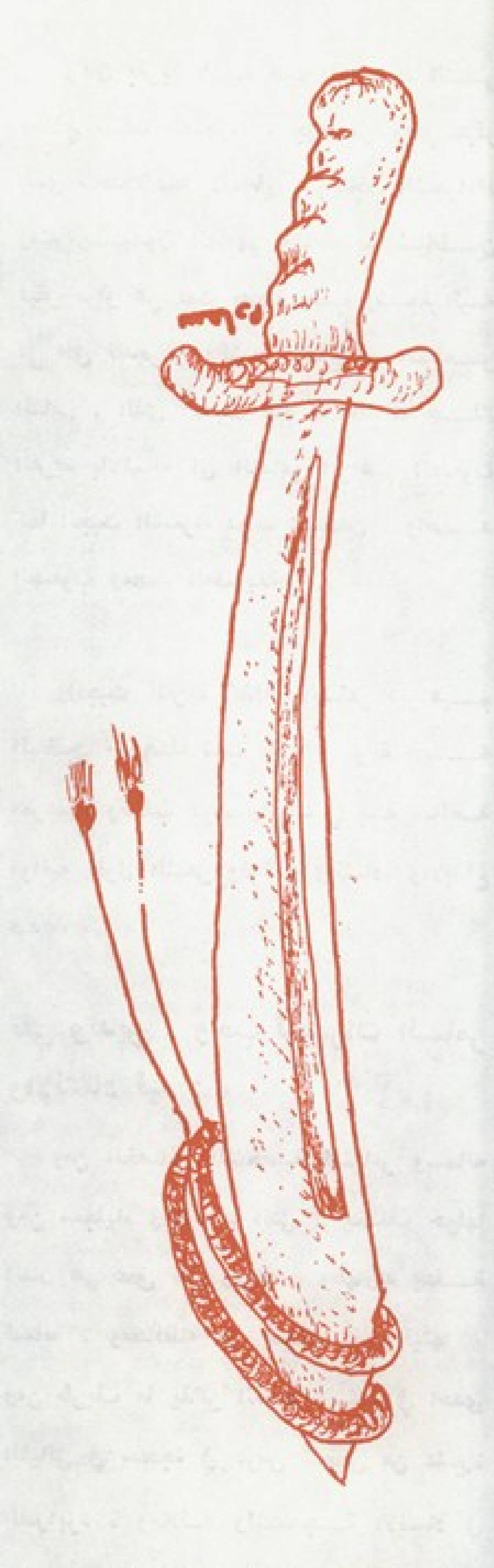
والشاعر الشعبي ، كأي انسان، تتضافر في تكون شخصيته ونمط الانساني عوامل عديدة ، متشابكة متلاحمة ، متضافرة ، من مولد ونشأة وعمل وخبرة ووراثة وبيئة ، وعصبة طفولة واتراب صبا ، ورفاق رجولة ، واحداث عصر وقطر واحداث عالمية واخرى محلية يتأثر بها ويؤثر بها بقدر . ومن الصعب والعسير كذلك الاشارة الى أي من العوامل ، التي تضافرت في تكوين شخصية ، على أنها الاكثر اهمية ، او الا بعد أثرا في بناء وصنع شخصية هذا الشاعر ، او اعطاء شعره سماته المميزة الفارقة . وسوف احاول ان اترك تقييم اي العوامل اكثر وزنا وتأثيرا في حياته وشخصيته الى دراسة مقبلة تأتي في نهاية السلسلة من فصول دراسة هؤلاء الشعراء الشعبيين ، مكتفيا هنا باستعراض مراحل حياته والعوامل والمؤثرات التي اثرت فيها .

وقد ولد الشاعر في قرية الثنية القريبة من الكرك في شهر محرم من عام ١٣٢٢ هـ ، الموافق لشهر اذار من عام ١٩٠٤ على وجه التقريب .

نسبه :

هو مفلح بن سلمان بن محمد من المشالقة من المبيضين وامه هي رحمة بنت عمارة الصعوب ، والذين منهم شعراء عديدين لعل ابرزهم الشاعر ابراهيم الصعوب ، والذي يفتخر بانه يحفظ شعر الشاعر مفلح ويرويه ويعرف المناسبات والقصص قصائده واليه





علت في تثبيت صحة روايات الكثير من شعر الشاعر . والشاعر اصغر اخوانه عمرا ، وهم اربعة من الذكور ، هم صالح وفلاح ولافي ومحمد . وخمسة من الاناث هن ، صالحة وعزيزة ، ونجمة وفلحاء وختمة . اما ابناؤه فهم لافي وهو ضابط في الجيش ، وصالح اما بناته فهن امينة ووجدان ، ونجاح وفاطمة ، وجوهر وسعاد .

ثقافته وحياته العلمية :

انتظم في الدراسة الرسمية حتى نهاية الصف السادس الابتدائي . وكانت قد بدأت دراسته وتعليمه كما روي لي في حديث سجلته على يدي معلم خاص (شيخ) احضره والده لهذا الغرض ، وتنقل المعلم معهم اينما ارتحلوا طلبا للكلاء والماء لماشيتهم واغنامهم . وقد قرأ الكثير من القصص المتنوعة ، والسير والتراجم المتفرقة .

عمل في وظائف الحكومة واعمالها ، كما عمل في مجالات العمل الخاص . فقد عمل محضرا لمدة سنة واحدة في محكمة الكرك . وترك هذه الوظيفة الحكومية ليعمل سائقا على جرار زراعي (تراكتور) ثم عاد الى الوظائف الحكومية ليعمل رئيس ورشة ،ومأمور مستودع في دائرة النافعة (الاشغال العامة) . وبعدها عمل في اعمال خاصة متفرقة من تجارية وزراعية كما دخل الجيش في الفترة ما بين (١٩٤٩ ـ ١٩٦١) وعمل في وظيفة (طاه عسكري) وتعتبر هذه المدة اطول مدة قضاها في وظيفة حكومية ، وعين له راتب تقاعدي زهيد عندما سرح من الخدمة ونلاحظ انه لم يستمر في العمل في عمل او وظيفة مدة

طويلة ، ولو استمر لوصل الى مراكز كبيرة ، فخريج الصف السادس الابتدائي ، لا بـل ان الذي (يفك الخط فقط) اي يعرف ابسط مبادىء القراءة والكتابة في تلك الايام ، لـه من الاهمية مثل مالخريج الجامعـة هـذه الايام ٠

قرية الثنية ، مسقط رأس الشاعر :

عاش الشاعر معظم عمره في قرية الثنية[١] قرب الكرك ٠ والثنية قرية صغيرة ، منازلها منثورة فوق رابية مرتفعة ، تشرف باتجـاه الشرق على سهول فج الثنيـة الخصيب ، الممتد على مدى البصر وتشرف غربا عـلى المرتفعات والاودية التي تخترقها الطريـق المعبدة المؤدية الى مدينة الكرك ، التي تبعد عن القرية باتجاه الغرب ، بمسافة تقرب من خمسة كيلو مترات ٠ وتعيش قرية الثنيـة الوادعة ، التي تتمطى على هذه الرابيـة ، الفصول بين لفح الشمس البوادي المحرقـة والريح الشرقية الباردة ، وبين عصف الريح والاتشاح بالغيوم ، والاختباء في عب ضباب ابيض يحلم به العاشق والمجنون - وينتشر ويتصاعد من حولها عبق عطر وروائح نباتات اطراف البوادي ، كالوسبا والشيح والقيصوم والدحنون والاقحـوان المتراقص ٠ صباحهـا مرقط بغيمات عابرة ٠ هواؤها معطر بالنقـاء الطبيعي الذي يحي رئتي من هاتت رئتاه ، من الدخان والغبار الموث ، هواء عليل ينقـع كل الادواء والامراض والعلل ٠

وكان بقرية الثنية هذه الوادعة ، التـي تحاذي سيف الصحراء ، جزءا من وادي عبقر الذي تتحدث عنه الاساطير ، وينجب الشعراء ، ومنه يستمدون الهامهم وتتقمصهم شياطـين عبقر ، او هي تمت بصلة نسب وشيجة اليـه على اقل تقدير ٠ فالشاعر مفلح هو الشاعـر الثاني ، الذي اتحدث عنه ، وانجبته هـذه القرية بالاضافة الى الشاعر ابراهيم الصعوب كما انجبت الشعراء محمد المبيضين ، واحمـد الصعوب ومحمد العضايلة ٠

وانجبت القرية كذلك الشاعر ابراهيم المبيضين ٠ وهكذا شب مفلح في تربة خصبـة ممرعة ، وصلب عوده واشتد في بيئة صالحـة مواتية لقول الشعر وقرضه وانشاده والابداع فيه ٠

تقي وتدين ، وحب لسهرات السامر والانشاد فيه :

ومن الخصائل الشخصية للشاعر وسماته ومن سجاياه وخلاله ، التي لا يختلف حولها اثنان هي عمق تقاه وورعه ، وطهارته وعفـة لسانه ، ومحافظته على صلاته في مواقيتها ٠ ومن طريف ما يذكر انه بدا ينشد في احدى الليالي في سحجة في عرس شخص من عشيرة الصرايرة ، وحلالـه وللسحجـة الانشاد في السامر حتى وقت متاخر من ساعات الليل ، وذلك ان الشاعر مفلح ظل ينشد متنقلا من قصيدة الى اخرى والسامر يردد من ورائـه

وقد جرهد (انسجم) الشاعر وانغمس بكلينه في الانشاد والبدع (قول الشعر) ، والرجال يرددون من ورائه ، والظاهر ان الرجال قد جرهدوا وانغمسوا بكليتهم كذلك منسجمين في ترديد شعر مفلح من هجيني وسامر ، واستمر الشاعر ينشد والرجال يرددون ، والساهرون يستمعون مستمتعين دون الاحساس بمرور الوقت وانقضاء الليل ، وكم من امراة شغل بالها تاخر (زوجها او ابنها او شقيقها ، او ضيف الاسرة) عن العودة من تعليلة العرس ، ولكن سرعان ما يذهب قلقها وانشغال بالها ، عندما تسمع (اذا كانت منازلهم في المدى الذي يصله صوت الشاعر المنشد) صوت الشاعر والمنشدين المرددين من ورائه لا يزال مرتفعا ، يشق جوف الليل ويزغرد متعاليا في اجوائه . وكم من مرة تاخر الناس في العودة من حفلات الاعراس التي يقول مفلح فيها من شعره . اما الليلة فقد تاخروا الى حد سوف يتذاكر الناس بقصة هذه الليلة . ومما يذكر ان الشاعر استمر ينشد السامر ، حتى شق عنان السماء صوت المؤذن ، داعيا الى صلاة الفجر ، الصلاة خير من النوم ، وخير من انشاد الشعر وغنائه في السامر . فقطع الشاعر الانشاد ، ليستجيب لنداء المؤذن الذي تعالى اتيا من ماذنة الجامع العمري ،[2] وتفرق المنشدون والمرددون والمستمعون كل الى غايته وغرضه – اما الشاعر فقد شمر عن ساعديه وتوضا ، ثم اتجه الى الجامع العمري القريب ، مسرعا ليلحق بصلاة الفجر مع الجماعة . وذكر لي كل الذين حدثوني عن الشاعر او رووا لي طرفا من اخبار حياته وسلوكه ، انه لم يقطع صلاته ، ولم يتاخر عن ادائها مع الجماعة كلما امكنه ذلك .

اجواء :

الى هنا ويمكن القول ان الشاعر عاش في هذه البيئة البدوية الشعبية طفلا ويافعا وشابا ورجلا . وفي هذه البيئة لعب مع اترابه طفلا ويافعا (لعبة الغماية صوص)[3] وطبة الشرطان (كرة القماش) ، والمراتي (اسافين او عيدان محدوة الطرف يلعب بها في الطين) ولعبة (اقلب يا صاج) وشاهد الكبار يلعبون لعبة (السيجة) وجروي ياكل جروك (اي حجر اكل حجر الاخر) .

وفي مضرب والده وبيته ، تربى على الاخلاق الفاضلة ، وفي مقدمتها الكرم ، وراى كيف ان كرم والده الزائد ، اتلف مالهم ورزقهم ، فعاش صريع الفاقة والمسغبة والفقر بقية عمره . وتعلم الشهامة ، وحسن المعاملة ، والطاعة واجلال كبار السن واحترامهم . وكان يتمتع باحساس فائق الرقة ، كما ان استقرار شعره ، يدل دلالة واضحة على انه كان يتمتع بذكاء فطري كبير ، وفطنة اكيدة .

وبجانب شهرة عشيرته المشالقة عامة ووالده خاصة بالكرم المتلاف ، وشهرة والده بانه احد قضاة الحق المعروفين (بقضايا الدم) فان عشيرته مشهورة باقتناء نوع من الخيول

المسماة (جلف مشلاق)(٤) وهذه الخيول خاصة بحمولة المشالقة وهي نوع من خيول الجلقة الذائعة الصيت والتي تنسب اليهم ، كما اقتنوا الخيول الاصيلة من نوع الكبيشة .

وهكذا شب وكبر الشاعر وبلغ مبلغ الرجال في المجتمع البدوي ، والذي هو مجتمع الرجال . وفي مثل هذا المجتمع تشكل المراة وجمالها ، المحرك الفعال لكل ما في هذا المجتمع من صفات الخير وسجاياه ، ونوازع الشر وعواطفه ، من كرم وفروسية ، وتسامح وطلب للثار ، وحب ووفاء وحرايب غزوات واقتتال على اتفه الاسباب واعظمها على حد سواء .

فهذه بيئته وهؤلاء اهله ، وهم المعين الذي نهل من مائه ، واستقى من نمير منابعه شاعريته وقدرته على قرض الشعر وقوله ، واخذ منه اصول شد القاف على احسن وجه ، وبابرع اداء ، موزعا ابداعه وعطاءه على كل فنون الشعر والوانه من مدح وغزل وحكمة ورثاء .

وهكذا استقام عود شاعرية هذا الشاعر المبدع ، وشعره وشخصيته . وترسخت على ركائز واعمدة لها قواعد صلبة ثابته من الوارثة والخؤوله والبيئة المواتية .

الحب والنساء في حياته :(٥)

احب الشاعر مفلح حبا صادقا اثنتين من النساء ، هما شما الصعوب ، وهي احدى بنات اخواله ، وشاهة المبيضين ، كما ذكر ثالثة في شعره هي شمسية الصعوب وقد تزوج في النهاية من شاهه . وكان له مع كل واحدة منهما قصة نسجت خيوطها من حبة لكل منهما ومن مزاحمة الاخرين له في حبهما ، وفي الرغبة في الزواج منهما . وقد اسبغ التنافس بين الشاعر والاخرين ، ومحاولة الشاعر وكل واحد من منافسيه ، الفوز في ميدان الحب على الاخرين ، اجواء رومانسية على هذه القصص .

ويدل استمرار زواج الشاعر واخلاصه للسيدة الوحيدة التي تزوجها انه لم يكن رجلا مزواجا . وهو الشاعر الذي تغزل بالكثيرات ، لاحساسه العميق بالجمال ، وانعطافا منه الى الحسن الفتان ، وسعيا في ثره لترصيع قوافيه بالوانه الثرة الغنية ، واتحادا لنفسه به اذا نفس الشاعر صنو الجمال والبهاء والسناء . واحساس الشاعر بالجمال يثير فيه انفعالات العاطفة المغموسة في بحار الحسن العميق ، وعوالم الذوق الرهيف ، ومخزونات الحنين المبرح فتتعطل في الشاعر وهذه حالة واحساساته في محراب الجمال ، معطيات العقل والمنطق والمحاكمة ، لان احلى الشعر الغزلي نجم عن الشعور بالجمال والانجذاب الى عوالم الغيب والسحر الحلال .

وقد كان بمكنته ان ينتقل من فن الى آخر ، ومن موعد مع الهوى الى موعد ، وهو الذي استقطب من حوله اسباب اللهو والعبث واهتمام المراة في بيئته ، ولكن تقاه وورعه وصدق حبه لزوجته ، كانت حصنة الحصين من الانسياق في حماة هذه الطريق .

تزوج مفلح مرة واحدة ، من السيدة شاهة محمد يحي المبيضين ، واخلص لها . وقد سبق زواجه منها قصص واحداث ومداخلات كثيرة ، وزاحمه في حبها ، والرغبة في الزواج منها رجال بارزون في مجتمعهم شبه البدوي ، وكان تميز هؤلاء الرجال الذين زاحموه باهمية مراكز ابائهم وغناهم ، ومثل صلاح السحيمات وحمود المبيضين ، وحامد بن عوض المبيضين وغيرهم . ومما يذكر من هذه المزاحمات

والقصص والاحداث ، المشاجرة المشهورة التي وقعت بين مفلح وحمود ، والتي يذكرها الناس ذلك ان مفلح ادعى انه وجد حمود متلبسا باستراق النظر الى شاهة ، وبيت اهل شاهة ، خلال مروره بالطريق ، على مقربة من بيت اهل شاهة الذي يطل على الطريق • وهجم مفلح عليه ، وكان في يد مفلح عندما هجم على منافسه عصا من الخيزران ، واستل حمود الشبرية ، ليدافع عن نفسه ويحميها ، وبسبب ما دار من عراك تماسك ، جفلت الفرس التي كان يركبها حمود ، وكبت ، فوقع عن ظهرها واصيب بجروح من شبريته التي كان يحملها ، من جراء وقوعه عن ظهر الفرس • وتدخل وسطاء الخير ، واصلحوا ذات البين • وفي النهاية فاز مفلح بالزواج ممن يحب وتزوج من شاهه ، واخلص لها • وقد كان من اسباب فوزه منها ، ما عرف من غنى والده وجده ، واشتهارهما بالكرم والجود واقراء الضيفان ، كما ان والده كان من قضاة الحق البدوي ، وخاصة في قضايا الدم • ومنها تميزه كشاعر من شعراء السامر ، الذي يتجه المتنفذون من اصحاب السلطان راغبين بشعر مديحه ، وذكرهم في سياق قصائده على اقل تقدير • وكم من مرة كان يبدع في السامر من شعره (اي يقول الشعر البديع الجميل فيضيف بيتا من الشعر او اكثر ، ليكرم واحدا من المتنفذين الموجودين في سهرة السامر) •

بذكره في شعره ، مثنيا على كرمة ورفعة اصلية وشجاعته ، فلا يملك مثل هذا المتنفذ الا ان يتخفف من وقاره وكبريائه ، ويخلع عباءته الثمينة ويلبسها لمفلح بيديه ، بين تصفيق الحضور واعجابهم •

وتدل احدى قصائد مفلح الغزلية ، انه استمر على حب شاهة خمسة عشرة عاما حتى تزوجها ، وبعد زواجه منها ظل مخلصا وفيا لحبه لها ، وقد لمست هذا الحب العميق ، في حركات الشيخ الشاعر ، وهو يمسك سماعة المسجل بيديه المعروقتين الضعيفتين ، ويلون طبقات صوته ومخارجها ، وهو ينشد شعره الغزلي فيها ، وقد رايت ذلك في زياراتي له في صيف عام ١٩٧٥ • كما لمسته في ايماءاته لها هو يوحي لها مشيرا بتقديم الشاي او القهوة • كما لمسته في تعابير وجهه ووجهها وانفعالاتهما واحساساتهما عاطفة صادقة حقيقية ، عاطفة بحجم الكون كله ، يكنها الشاعر الشيخ لحبيبته وزوجته وام اولاده ، والحانية على شيخوخته المتهدمة • ولقد كان عندي هذا المشهد العاطفي الذي قد يبدو عند الاخرين عاديا او لا معنى له ، من اروع المشاهد التي رايتها ، وهزتني من اعمق الاعماق • واحسست كأن هذه السيدة للشاعر شجرة لبلاب تسلقت ربوة عمره ، والتصقت بها الى الابد ، ولم يفرق بينهما حتى الموت ، لان قصة حبه واخلاصه لها سوف يبقى ما بقي شعره •

وقال فيها الكثير من قصائده التي سوف نشير اليها عندما نعرض الوانا من شعره • في مقال قادم •

شما الصعوب :

وقد احب مفلح شما الصعوب وهي من بنات اخواله ، وهي فتاة حسناء جميلة ، ذات قوام ممشوق ، وحسن فتان ، ومن ابرز معالم جمالها بياض بشرتها وجمال عيونها وطول شعرها وغزارته ، والذي لطوله يصل الارض عندما ترخيه • وقد وقعت هذه الفتاة موقع

الحب من نفسه فتملكت فؤاده • وكان يمني النفس بالزواج منها • وقد نافسه في حبهـا ومحاولة الفوز بها كثيرون واما اخطر منافسيه في حبها فقد كان ابن عمها عبد العزيز الصعوب الذي تربطه به اواصر الخؤولة والصداقـة والود • وكان التنافس بينهما على حبهـا ، تنافس الرجال ذوي النفوس الكبيرة ولم يفسد التنافس بينهما على الفوز بها ، ما كان بينهما من صلات صداقة وقربى ، وقد خسر الرجلان المنافسة على الفوز بشما ، فقد كانت من نصيب رجل ثالث من عشيرة الصعوب هو محمود بن محمد الصعوب (ابو جمال) • وقد ماتت بعد زواجها من هذا الرجل بسنتين ، وانجبت منه ابنا واحدا هو جمال •

وقد كان زواجها من شخص آخر ، حائلا دون مشاكل كان يمكن ان تحدث لو فاز بها احدهما دون الاخر ، خاصة وان كل منهمـا كان له مزايا والخصال والسجايا ما يجعلـه ندا لمنافسه ومساويا له • وكان عبد العزيز ممن يقولون الشعر في المناسبات ، عفو الخاطر وفيض البديهة • فعندما احس عبد العزيز بان شما لن تكون من نصيبه ، دارت في ذ هنـه الهواجس حول الاسباب التي حالت دونـه للفوز بها ، فرأى في الشاعر مفلح احد هذه الاسباب فارسل اليه يعاتبه شعرا ، ويعبر عما يدور في ضميره من هواجس وخواطر ، مثنيا على مناقب مفلح وصفاته ، مستنزلا غضب اللهونقمته على الذي حال بينه وبينها ويعجب من تصاريف الدهر وتبرأ منه عندما قال :

شديت انـا فوق جذعيـة
جذعيتن مـا حـدا عنه[6]
اكتب كليماتي الخالـي
لمفلـح القـرم يصلنه

قمت اتطرى على حالـي
هـذا الدهر انا بري منه
اللي نحا الترف عن جالي
يلون بالله عـن الجنـة
يهدم بيتـه عـلى الغالي
رب المـلا ينتقم منـه

واجابه مفلح شعرا مشيدا بشجاعة عبد العزيز (حامي المتراس) الشجاع ، مبديا اله من الياس الذي احس به لانه لم يفز بمـن يحب ، ومظهرا اله من عتاب عبد العزيز له ، وظنونه انه كان سببا في الحيلولة دون عبد العزيز والفوز بشما ، واعتبر كلامـه (ضرب بالراس) يوجع ويورث الالم ، موضحا انـه اصبح في ظنون عبد العزيز محتـاري (اي في حيرة من امره) • وابدى لخاله انه لم ينقـل من اخبار عبد العزيز وسجايـاه (السيئة ان وجدت) ما كان سببا في تقليل شانه والحط من مكانته وحظه للفوز بشما • وشبه مفلـح حال عبد العزيز وحالة بحالة الصياد الهاوي الذي يتتبع الطير ليصيده حتى لو اخطاة مرة واخرى ، وفي هذا قال مفلح :

لاركب على اللي تقول نسناس
تسبق نسوم الهوا الجاري[7]
لاوضـع اسمـه على القرطاس
يـا فاهـم الخط يا قاري
الشـين شيـب غزير الراس
والميـم يانجمـة السـاري
من صغر سني طاواني اليـاس
يا خانـه الـدهر غداري
جاني كلامـك ضرب بالراسي
واصبحـت انا بيـه محتاري
يا خـال والله ما انا بجاسي
ويـلا عـل الـزين دواري

هـذا الولد يشبه القنـاص
يركض وراء الطير لـو غاري

ومات عبد العزيز بعد سنوات قليلة من زواج شما من غيره بسبب مرض اصابه وقضى عليه ٠

شمسية الصعوب :

وهي شمسية بنت سليمان بن حطاب الصعوب ٠ وكانت فتاة جميلة ، ولعـل في خطبتها المبكرة من احد اقاربه وهو سليمان بن عابد الصعوب ، ومعالجة الموت لها حتى قبل ان يتزوجها الذي خطبها ، حال دون ان يذكرها في شعره وان تنسج الظروف بينهما قصة حب ومع قلة الروايات وتضاربها حول هذا الامر ، وموت الشاعر دون ان اتمكن من سؤاله عنها ومدى ارتباط قلبه بها ، وهل خفق لهـا ، وتمنى الزواج منها ، وكل ما يذكر حولهـا محاورة شعرية طريفة رواها لي هي والابيات القليلة الشاعر ابراهيم عبده الصعوب ٠ وقد دارت هذه المحاورة الشعرية الطريفة بين عبه والد الشاعر ابراهيم وبين الشاعر مفلح ٠ فقد تمنى عبده لو انه شاب صغير السن فيصبح مسموحا له ان يحب البدوية الجميلة وهي التي راها فاعجب بها واحبها ولانه احبها حبا ملك عليه نفسه في شخوخته فانه كان على استعداد (ان يبيع اهله وشقيقة حطاب) بكحل يجمل عيونها فاجابه الشاعر مفلح واستكثر ان يصل الامر بهذا الشيخ الطاعن في العمر فيبيع اهله وشقيقة وجد شمسية التي غيبها الردى والموت ، وهو الشيخ الذي شارف على نهاية عمره ٠

يا ليت واني صغير الناب
وجدل الراس مشقية[8]
يا مفلح قوم وسطر الكتاب
وانـذر للغر برقيـة
بعت العرب واخوي حطاب
وبكحل لعيـون مرجيـه

واجابه مفلح في الحال لائما ومعاتبا وعلى الوزن والقافية نفسها قائلا :

ما تبطلوا الهرج وانتم شياب
وعيونكم يتماصلن ميه[9]
اتبيع العرب مع اخوك خطاب
وبكحـل لعيـون مرجيـة
ع شان سواد شبيه غراب
تلحـق لجـد شمسيـة

وسوف يكون لنا عودة الى هذه المحاورة عند الحديث عن الشعر القصصي عند الشاعر مفلح ٠

وفاته :

يقول الشاعر الانجليزي المبدع (كيتس) ان الشعر والمجد والجمال ، اشياء عميقة حقا ، ولكن الموت اعمق ، الموت نهاية الحياة الدنيا ، ومكافاتها الكبرى ٠ ففي ١٩٧٦/٢/٢٠ اغمض الشاعر مفلح المبيضين جفونه ، وانتقـل الى الرفيق الاعلى ونال مكافاته الكبرى من الحياة الدنيا الموت بسلام ، بعـد ان عاش ينبض بالشعر والجمال طوال عمره ٠ ودفن في قريته الحبيبة الثنية ، حيث عـاش اكثر ايام عمره المديد الـذي امتد مـا بين (اذار ١٩٠٤ - ١٩٧٦/٢/٢٠) ٠

وبالرغم من ان الموت حق ، الا انه حق يورث الحزن ٠ والموت والحزن يصنع منه الشعراء الرثاء ، وفي موت الشاعر مفلح والحزن عليه ، قال الشاعر محمد محمود المبيضين قصيدة طويلة يرثيه :

الموت حق وعـالم الموت متعـال
من جاه يومه شطبه من كتابه

ارثيه ثم ابكيه عامين طـــوال
ارثي رفيق بالصبا والقرابة[١٠]

ارثيه دمع العين هما وهطـــال
(الياما) دموع العين جفت اعصابه

الشاعر المعروف هو سيد من قال
هرجة كما القاموس فسر كتابه

الشعر حرم بعـــدكم باليابال
حرمت انا القيفان حتى الربابـة

انتم ابو الشعار ان قلت بالحال
حنا اخذنا الشعر منكم نهابـة

ولان الشاعر هو بهجة الحياة وشعلتهـــا المتوجهة ، ولذا فان موت الشاعر وانتقالـــة الى العالم الاخر ، هو تسرب للبهجة من هذا العالم المتهجم ، وموته انطفا لشعلة متوهجة ، تهدي السائرين ، وتلطف من عناء سفرهـم ورحلتهم في دروب الحياة على ظهـــر الارض المقوس • ولان الشعر والشاعرية ، كالحـب انسب الروح الى الروح ، والمشاركة فيمـــا نحب وفيما نكره ، به ترق العاطفة وتسمـــو الروح • ولذا يغدو الحزن على موت الانسان الشاعر حزنا مضاعفا وعميقا •

وعندما غادرت قرية الثنية ، في نهايـــة زيارتي للشاعر يوم ١٩٧٥/٧/٥ كانت شمس الاصيل ترقى جدران مباني القرية البسيطـة استعدادا للرحيـــل • وكان الصمت يجلـــل القرية الوادعـــة ، باستثناء رجـــع اصوات مرابيع الاغنام[١١] العائدة من المراعي ، وتردد اصوات ونـــداءات الحصادين العائـدين من الحقول ، وزقزقات (عصافير الرب)[١٢] التي تدور في الاماسي صاعدة نازلة تهدهد بموسيقى زقزقاتها اليوم الشاحب المنتهي ، لتودعه عـلى عادتها كل يوم منذ خلق الكون خالقة عـــلام الغيوب • ولم اكن يومها ادري ان مفلح شاعر السامر المبدع ، كان يعيش الاشهر الاخيرة من اصيل حياته ، وانه كان يتاهب كشمس ذلك اليوم للرحيل عن هذه الدنيا الفانية • واذا كان لكل اجل كتاب ولكل حي لحظة ارتحـــال او موت ونهاية ، ذلك ان لكل كتاب اجل ، ولكل بداية نهاية ، ولن تجد لسنة الله تبديلا وهكذا كان يوم ١٩٧٦/٢/٢٠ هو اليوم الذي ودع فيه الحياة الدنيا الشيخ الناحل الوديع الفارع الطول الشاعر المبدع مفلح المشاقلـة المبيضـــين • الشاعر الـــذي غنى للسمـــار وللركائب وهي تسرع قاطعـــة الفلـــوات والمسافات • وملا البوادي والارياف والحواجز في جنوب الاردن غزلا وشوقا ورثاء ومدحـــا وطوت المنية صفحته الى الابـــد ولكن شعره وقريضه سوف يضمنان له الحياة بعد الموت والخلود بعد الفناء •

وسوف اتحدث في مقالين ، اتحدث في اولهما عن شعر مفلح واطرح نظرة تقييم اولية لشعره واقدم في الثاني مختارات مشروحة من شعرة لاستقراء اغراض شعره والوانه • ان شاء الله •

نظرة تقييم اوليـة في شعر مفلـــح المبيضين :

واذا كان مفلح الشاعر الانسان قد رحل فان اصداء ابداعـــه في الشعر الشعبي ، لا تزال تتـــردد في اسماع الزمن ، وتحفظهـــا وتتناقلها الذاكرة والشفاه والالسنة لتحقيق الخلود والبقاء للشاعر وشعره وستبقى تذكره البوادي والارياف والرفرسان ، كلما هـــب النسيم الرقيق في (عصاري)اي يوم من الايام وحلا للصناديـــد والفرسان ركوب الخيـــل لسباق او طراد ، او حرب او انزال فهـــو القائل :

شدوا عليهن يا قرومي
عصرية تهب النوم[١٣]

وسيذكره الباحثون عن الابداع في الشعر واسباب الابداع فيه ، وعن شياطين الشعر وعرائسه ، والتي تلهم الشعراء بوحا وقريضا تلهج به السنتهم وتنشده العامة والخاصة وتتغنى به ما طاب الغناء والانشاد خاصة عندما يطلعون على حواره الشعري مع عروس شعره الذي سوف نثبته في ثنايا هذا البحث بعد قليل ٠

وقد انفق مفلح الشاعر ، عمره في الشعر وله ٠ وكانت خواطر شد القاف وقرض الشعر الرائع المجلي تواجهه وتلاحقه ٠ تواجهه في الصباح اذا اصبح ٠ وتلاحقه في المساء اذا امسى ، وتواجهه في اثناء الليل اذا بطأ عليه النوم ٠ وتفرض وجودها خلال الأحلام الوردية فتاة جميلة نشمية كاملة الاوصاف ، ومنى النفس بها ٠ وبدأ يغازلها بشعره ، ويمدح ما يخصها الله بها من جمال ورواء ، وسحر وجاذبية ، ليستدرجها ويقرب المسافات والقلوب اسرعت فتاة احلامه وهواجسه ، بتذكيره انها عروس شعره ، وليست احدى الجميلات ، وقد جاءت اليه تلهمه رائع القاف (الشعر) وجميل القريض ٠

وقد ابدع الشاعر مفلح في حواره مع عروس شعره وملهمته شعرا رائعا مؤكدا من خلال الشعر والحوار الشعري باجل صورة واوضحها تلك المقولة القائلة :

ان نفس الشاعر وذاته وحياته ، ملك قريضة وشعره في كل حين وآن ٠ ولعله قد حان الوقت لندخل الى عوالم عروس عرشه وملهمة القاف ونسمعه يحاورها شعرا قائلا :

يا عروس الشعر شفته بالخيال
انا بلد النوم في طيب الرقاد
لابسه لبس الغوى زاهي الدلال
مكحلة ومعطرة مسك الزباد[١٤]
حسنها سبحا خلاق الجمال
وصفها ما شفت مثلها في البلاد[١٥]
كنها من نسل حوى لا محال
زانها الخلاق من جنات عاد[١٦]
اقعدتني رايده مني سؤال
جالسة بحد راسي على الوسادة[١٧]
قلت انت منين يا عين الغزال
اصدقيني العلم يا بنت الاجواد[١٨]
قالت ماني بنت يا قرم العيال
انا عروس الشعر اتيت من الحماد[١٩]
قلت اش تابي يا بعد حلي وحلالي
عسى تقضي لك مرامك والمرام[٢٠]

واذا كان الشعر كما يقول احمد حسن الزيات هو «اقدم الاثار الادبية عهدا في الظهور، لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع ، وعدم احتياجه الى رقي في العقل او تعمق في العلم او تقدم في المدنية» ولكن توفر روافد العلم والتحضر والمدنية للشاعر وشعره ترتفع به في سلم الابداع والابتكار ، وتزيد معانية تعمقا واصلة وابشراقا وتزوده بنسغ العطاء الثر ، فيتدفق بغزارة ، تحيط به هالة من وهج والق اصيل ٠ وان توفر روافده البيئة والوراثة والخؤوله لمفلح وشعره كانت السبب في رقي شعره وتميزه مما جعل مكانة مرموقة بين الشعراء في البوادي والارياف في جنوب الاردن مكانة مرموقة يقربها ويعترف له باحتلالها شعراء اخرون ومنهم الشاعر محمد المبيضين[٢١] وهو الذي ينافسه المكانة والمنزلة الشعرية وقد اقرله بهذه المكانة المرموقة عندما

اعتبره في رثائه له «امــير شعار (امير شعراء) المنطقة» .

ولد الشاعر وعاش في قرية الثنية .(٢٢) والقرية بيئة مواتية لصفاء القريحة وسذاجة المعيشة .

فالقرية تقع على مرتفع من الارض (كمــا قلنا في مكان اخر) يحيــط بها من الغــرب والجنوب وادي الثنية الذي تقــع في قسمه الجنوبي بيار الثنية ، وهي ابــار عد (بكسر العين وتشديد الدال (نبع) يستقي منها الناس في القرية هم وانعامهم . وتمتد امام القريــة سهول فج الثنية ، وفج العسيكر وسهــول المريغة ، الواسعة الفسيحة ، الممتدة بامتداد الافق ، الخالية مما يصد الفكر عن التامل او يعيق الذهن عن التفكير . فهو في قريته بين السهول الخصبة المرعــة الممتدة ، والسمــاء الزرقاء الصافية ، في فضاء من اللانهاية ، يملا الذهن والنفس خيالا وجلالا وروعة . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، فان من يسمعه ينشد شعره ويتلون انشاده والقاؤه مع تغير وتنوع ابيات القصيدة ، وما تدور حوله من احوال والوان واحداث ، يحس ان الشاعر ذو نفس شاعره ، وطباع ثائرة يستفزه الرغب والرهب ويزدهيه الطرب والغضب . فلم يترك شيئــا يجول في نفسه وخاطره او اثــار حواســه الا وحوله الى قصيدة ونشيد يتالق بالوهج والسنى ويظهر للقارىء المتعجل والباحث المتروي في شعر مفلح سواء بسواء ان الشاعر يمتلــك ناصية الشعر الشعبي البدوي وناصية لغة هذا النمط من الشعر الشعبي ، وانعكس هذا كله على شعره فظهر واضحا في معانيه الزاخرة الجديدة المبتكرة وظهر في طواعية قوافيــه وانسجاما وعفويتها . كما يظهر في تواضعــه كشاعر يقر انه لم يات بجديد لان الشعراء السابقين لم يتركوا شيئا .

ما غادر الشعار من قــول
متروك الكل يلفظله معاني

وعند انشاد غزله نطل على عوالم مشحونة بالدفء العاطفة المشبوبة حيث نبتت عوالــم وضيئة امرعت من جديد ، ويخلو شعره من عوالم الحزن والكآبة والصراع :

يسلبن عقل المرء لو كان تائبن
ولهن سيــد العاشق ذليلا(٢٣)
ولهن في اعلى الصــدور ترائبن
سبحــان ربي بكــرة واصيــلا
خدك عــذاب لمن يهــواك
عــذاب قلبــي تحــلاك
ذوب العسل منتشي من فــاك
وضــوح الثــريا ثنايــاك

واذا كان الشعراء كبصمات الاصابــع ، تفردا وتميزا ، لا تتكرر ، وهي دائما فريدة متميزة في صفاتها ، فان لكل شاعر نمطــه وتفرده .

وانطلاقا من هذه القاعدة فانه يمكن القول ان الشاعر مفلح قد اختــط لنفسه منهجــا وطريقا ونمطا من الشعر ، فاغلب شعره مما يسمى في البوادي السامرة ، او جرة السامر ، وهو الشعر الذي يغنى في الافراح والسحجة وكلما استخف البدوي الفرح والجذل . وهذا كله جعل مفلح هو شعر السامر المتفرد المتميز بهذا الفن والنمط من انماط الشعر والقريض والقاف والشعر الشعبي . ومكانة شعره بين شعر السامر وشعرائه ، ضياء يتبع الناس امره ، ويهتدون به كما يهتدي السارون بالقمر البدر . لان شعره يتتابع تدفقه بلغة غاية في البساطة ، لغة تتدثر بدثار الرشاقة ، وتزغرد

شاعرية وسموا وتفيض دقة تعبير ومباشرة مقبولة . ويظهر هذا كله واضحا جليا عند قراءة قصيدة رثاء لفيصل الاول (ملك العراق) ويحس من كانت تتاح له متعة الاستماع (وقد اتيحت لي هذه المتعة) للشاعر مفلح وهو ينشد شعر السامر ، وقاف البادية وشعرها الشعبي ، يحس كأن الصحراء والبوادي تهمس في اذنيه اغانيها واهازيجها الخالدة اللامتناهية . ولن يكون الشاعر البدوي الشعبي ، الا ذلك المحب العاشق لارض بواديه وملتصقا بحب ارضه ووطنه متفاعلا مع ذرات ترابها وطل نداها ورذاذة وحبات مطرها ورهامة . ولان عشقه لم يكن يوما ماديا او افقيا هائما وراء المظاهر ، ولكنه من والى الارض والبيئة ينطلق ليتجذر في الاعماق ويثوي ويحل في اعمق اعماق الخلايا الداخلية لبيئته ووطنه لان قدر الشاعر دائما ان يكون المكافح المنافح عن المظلومين ومن لحقتهم صنوف الاذى والاضطهاد والقهر ، وهو المسافر في عيني حبيبته يعانق اشواقهم وامالهم من خلال اماله واشواقه وهو الذي يقدح زناد فكرة المتوهج ويفرغ شحنته الذهنية بانشاد شعره بافصح لسان او يجول فكرة شعلة دائمة التوهج اذا قدر له اتقان الكتابة وفك الحرف فتشتعل اصابعه وهي تسجل شعره شموعا تنير الدروب امام السالكين ويتصاعد منها عطر البيئة وفوحها الاخاذ راضيا باسم كل المظلومين والمسحوقين الذل والاهانة . فالشعراء هم الذين اشعلوا ويشعلوا شرارة الوعي ، وهم وقود الحياة في بيئتهم والنجوم الهادية في ظلمة الحياة وحلكتها ، وفي مدلهم الاحداث وعظيمها وهو يمامة البوادي وصوتها الحادي . ويبدو حبه الكبير لقريته الثنية ولفج الثنية ، السهل الفسيح الممتد امامها الواعد بالخصب والعطاء ويأخذ عليه انحاء نفسه كما يبدو التصاقه بالبيئة الشعبية من حوله التصاقا وتجذرا في ارضها المعطاء حتى النخاع ، والالتصاق بالبيئة والارض وتخللها التجذر في ارضها واعماقها هو الانتماء الحقيقي . فالنبات يزهو نموه ويزداد نمؤه ، والشجاع يزداد شجاعة واقداما في ارضه وبيئته ، والحصيني (الثعلب) يغدو ذئبا .

كل حصيني بارضه ذيب
عمار يا فج الثنية[٢٤]

وهكذا ظهر ان ما حسبته مثلا عند حديثي عن الشاعر ابراهيم الصعوب (مجلة الفنون الشعبية العدد الثامن) ما هو الا بيت شعر من احدى قصائد مفلح القصصية ثم التقطته السنة الناس وفواههم وتداولته وتناقلته وغدا مثلا سائرا يخطر على البال والذهن كلما ورد ذكر الثنية وسهل فج الثنية .

وسوف يظهر لنا من خلال رحلة الاستقراء الموفقة هذه مع شعره ان شعر المديح والغزل والرثاء والحكمة ، اوتار مشدودة معطاء في قيثاره هذا الشاعر ، ولعل الوتر الحساس الاكثر فعالية وعطاء هو وتر الغزل والمديح . اما الهجاء[٢٥] فيبدو انه خلق ليقول الهجاء الذي يقصم الظهر ويثير الضحك والقهقهات ويحمل العار للمهجو ، لانى لم اقع له على شعر في هذا الباب من ابواب القريض . وهو لم يخلق ليهدر شعرا كفاحيا يزلزل فيه اغوار الطامعين والمستعمرين والاذناب من اعداء امته . ولن يجسد لنا شعره نفسية شاعر ثائر يحن الى لهيب الساح واواره ، والذي لم تزل مرارة جرحه فوق فمه يرتعش لها . ويحيا ومضه الغد الباسم ، حتى اذا انتصر الوطن والمجاهدون ، امر الحب واخصب ، وكان

لشاعرنا موعد مع فرح الوطن بالانتصار ٠ ولكن شعره لا يخلو من ارهاصات وطنية متباعدة ، ومشاعر قومية ونضالية ، تبدو وتظهر بين الحين والاخر دون ان يجمع بينها جامع من نظرة وطنية شمولية ٠ ويستغرب تفرق الكلمة التي جعلت من العرب لقمة سائغة للطامعين ، فاصبحنا منايع (نهبا) للغزاة للغزوان :

من بعد وحدة كلمتنا

لو انه قليلة عدتنا(٢٦)

اليوم كن تشتتنا

صرنا منايع غزوان

ويرى ان وعد بلفور سبب كل المصائب والاحداث الدامية التي لحقت بقومه ، ويرى ان كل شيء يهون دون احتلال الوطن وسبي ترابه ٠

قاموا علينا بالزور

كلمة وعد بلفور(٢٧)

لو اصلبونا عل السور

ما نرضى سبي الاوطان

ويرى الواجب يدعو ان يحال دون الطامعين ودخولهم ارض الديار والاوطان بكل وسيلة حتى لو اصبحنا هدفا (نيشانا) لنارهم ورصاصهم :

ما نشرب كاس المذلة

حلفنا ما يفوتوا الحلة(٢٨)

لويغزونا نيشان

ويتفاعل مع مجتمعه ، ويعيش اماله والامه ويهزه ما يعانيه الانسان العربي من تآمر الاجنبي وتفرق الشمل وحدة الكلمة ٠

ما نعطي الصخرة ومسجدنا

من موقع براق محمدنا

نبينا ولد عدناني

وهو انما خلق ليغني شعرا فيه غنى العاطفة وحدتها وينساب في رفق وحلاوة ، غزلا ورثاء ومدحا وشعر سامر ينطلق على السنة القوالين في السامر ، ويتصاعد على اوتار الربابة والموقعين عليها انغامهم من شعره ويتعالى الى السنة البداعين (القوال المبدع) في السامر والسحجة ٠ والشاعر مفلح انسان عفوي بسيط ، وفلاح اصيل ، يعيش اطباع البداوة واخلاقها ، يعشق الارض والناس ٠ عندما تقابله تحس وتشعر كانك تعرفه منذ زمن بعيد ٠ وقد احسست بهذا الاحساس عندما زرته في السنة الاخيرة من عمره في صيف ١٩٧٥ ٠

وياخذ مجامع نفسك ، وانت تسمعه ينشد قصائده ويلقي اهجنية السامرة ، والتي اشتهر بقولها وانشادها وارتجالها لان قصائده وشعره الشعبي ينبع من وهج داخلي يملأ اعماق نفسه ٠ وهج نجم عن معاناة الشاعر ، ومكابدته لحال او موقف ، ثم عبر عن هذه المكابدة والمعاناة بالشعر والقصيدة وهي اسمى انواع التعبير ٠ وهو لا يحرق شعرة بخورا يتصاعد هباء متماوجا في الهواء ، ليضيع في المدى ، لانه لا يقول الشعر الا مدفوعا بعامل داخلي لا سلطان لاحد عليه فياتيه القاف عفو الخاطر وفيض البديهة دون ان يشعر به ٠

قافا تهيا دون ان اشعر به

هاجت افكاري كيفن اناعجبان

شديت قولن من صميم فؤادي

لاهل الذكا والعاشق الولهان

هذا حصل يا شيخ والمال متروك

اللي هذا بالقلب جابه لساني

وهذا كله جعل لكل قصيدة قصة ومناسبة يعرفها محبو شعره وحفاظة ٠ ولعل الصدق والدقة في التعبير وما يخالط ذلك من معاني

لطيفة هي الاسباب التي تفسر كيف نفذ شعره الى افئدة الناس وقلوبهم ٠ ، فهم يحفظون شعره ، ويروونه ويتناقلونه في مجالسهم ، وحفلات السامر والافراح ٠

يا ذوين العشق لا تقلوا افتريت
كل قلب له مفاتيح وغال[٢٩]
حسبت بحر الهوى رقراق
اتاري بحر الهوى ميته
همي يوزن مصر وعراق
والشام لو كان ما جيته
والرزق عند الله باقي
والعبد ما عنده فاني
والدنيا لا تدوم لاحد ولا يؤمن جانبها
فلكل عصر دولة ورجال
لو دامت الدنيا بطيب نعيمها
ان كان دامت للنبي العدناني
لا تامن الدنيا تراها تخونك
يمسي ويصبح عزها نقصان
من عهد ادم ثم فيما بعده
لكل وقت دولة واعوان

وقصاري القول ان الشاعر مفلح كان هو الذاكرة المنشدة لمجتمعه وبيئته ، فقد سجل وحفظ وروى قصصها واحداثها وخلدها من رثائه لفيصل الاول ملك العراق ، الى قصة قتل فارس الضمور مسجلا ان تخاذل وجبن رفاقه كان السبب الرئيسي في موته ٠ وقصة ذياب الملاحمة والبدوي الذي اغتصب سلاحه ، وقصة ذبيحة (نذر ابو الشكار) كما صاغ الحكم والامثال السائدة في البيئة شعرا كما صنع في قصيدته لسلطان الاطرش وخلد الذين مدحهم ورثاهم وتوجه اليهم بطلب او حاجة ، كما خلد في شعره الغزلي حبه لشاهة وشما ، وكان الملجا الذي يلجا اليه اصدقاؤه من المحبين ليصوغ قصص حبهم شعرا كما هي الحال في سبب نظم قصيدته الغزلية التي مطلعها «يا صالح كنك»[٣٠] ٠

وهكذا كان الشاعر الذاكرة المنشدة لمجتمعه وبيئته ولسان حالها والناطق باسمها ٠

وقديما قال الشاعر : (لك الطول المرخي وثنياه في اليد) وهذا شان الرحلة مع شعر الشاعر فلا بد لها من نهاية وما اجدها من رحلة مونقة مع الشعراء وشعرهم وفي بيوتهم وقصورهم ذلك انه اذا كان للانسان بيت واحد فان للشاعر الف بيت وبيت ولكنها بيوتا وقصورا الهواء حجارتها الخيال والجمال ٠ ولكن اليست الدنيا كلها خيال في خيال ورب بيت من الشعر اثمن من مدينة ظالمة ساحقة مبنية من المعدن والحجارة ٠

هوامش وتعليقات :

(١) تحدثت عن الثنية في البحث الذي خصصته للشاعر ابراهيم الصعوب في العدد الثامن من مجلة الفنون الشعبية ٠

(٢) الجامع العمري : اكبر جامع مسجد في مدينة الكرك ٠

(٣) لعبة الطماية صوص : سوف اتحدث عن هذه اللعبة الشعبية للصغار وبقية الالعاب الشعبية في بحث مقبل ٠

(٤) اللاصدر : رواية مد الله المشالقة (ابن شقيق الشاعر) ٠

(٥) المصدر : روايات : ابن الشاعر صالح ، والشاعر ابراهيم الصعوب ، ومد الله المشالقة ٠

(٦) الجذعية : الفرس الفتية السبوق الاصلية ، التي لا يزيد عمرها عن سنتين .

ما حدا عنه : لم يضع احد في فمها اللجـــام استعدادا لركوبها . القرم : الشجاع . اتطرى : اتذكر وارجع مامر بي من احداث . نحالترف : نحا ابعد ، حال بيني وبينها . الترف : الفتاة الجميلة ويقصد هنا شما . يلوذ بالله عن الجنة : الطرق نوعان في الاوساط الشعبية طريق (مقراية) أي مقاطع وطريقطويلة فيها (لوذة) أي لفة والتواء ، اي يدعوا عليه ان تطول طريقه نحـــو الجنة ويقع في التيه .

(٧) تقول نسناس : كناية عن الفرس ضامر سبوق تسبق الهواء المندفع . بجاس : دساس ، نمام . القناص : الصياد الهاوى .

(٨) الشعر من رواية الشاعر ابراهيم الصعوب . صغير الناب : كناية عن صغير السن . جدل الراس مشقية : كان الرجال وخاصة الشباب والفرسان منهم يطيلون شعرهم ويجدلونه جدايل تسمى (قرون) بطريقة تختلف عن جدايل البنات بحيث يكون هناك قرنان او ثلاثة في كل جهـــة . المشقية : نوع من طريقة تصفيف الشعر للرجال وتجديله . العرب : الناس المقيمون في بيـــوت الشعر ، والعرب يتكون من اكثر من فريق ، والفريق عدد من بيوت الشعر المتجاورة في صـــف واحد ويزيد الفريق عن عشرة من بيوت الشعر او المضارب . مرجية : اسم البنت البدوية التي احبها عبده الصعوب والد الشاعر ابراهيم الصعوب وقال فيها هذه الابيات من الشعر .

(٩) الهرج : الكلام غير المتزن وغير المسؤول . يتماصلن : تسيل منها الدموع بفعل الهرم وكبـــر السن .

(١٠) الياما : الى ما . القيفان : الشعر والقوافي .

(١١) المرياع : جرس يوضع في رقبة كبش او تيس صحيح الجسم قوية يسير في مقدمة الاغنام وتسير من وراءه الغنم .

(١٢) يسميها اهل مادبا (عصافير الجنة) ويسميها بعض الناس في الكرك صيصان (جمع صوص) الرب وتدخل البيوت عندما تحس بالحر في الصيف .

(١٣) شدوا : اعدوا الخيل او النجائب للركوب والسفر او الحرب ، قروم : ـ جمع قرم وهو الشجاع البطل . نسوم : جمع نسيم وهي ريح العصر الندية الرخية ، ومع هبوطها يحلو الطراد والسباق والحرايب والغزو . وهذا البيت مثل سائر يردده الجميع .

(١٤) طيب الرقاد : عز النوم . لبس الغوى : ثياب فيها اغراء وجمال . مسك الزباد : وهو عطـــر من اطيب العطور في رأي اهل البادية .

(١٥ ، ١٦) ما شفت : ما رأيت . الخلاق : الله .

(١٧ ، ١٨) الوساد : الوسادة . منين : من اين انت .

(١٩ ، ٢٠) ماني : ما انا . قرم : فارس شجاع ، سيد عظيم . الحماد : الارض الخالية البعيدة وغير المسكونة . اش تابي : ماذا تبغين .

(٢١) خصصت مقالا خاصا للحديث عن هذا الشاعر .

(٢٢) يسكن القرية ثلاث عشائر هي : المبيضين ، والصعوب والعضايلة من الضمور ، • ويكون المبيضين اكبر العشائر عددا في القرية وياتي بعدها الصعوب ، ثم العضايلة •
ومن الجدير بالذكر ان السكان في الكرك يقسمون الى قسمين كبيرين هما :
١ ـ الشراقة : ويتكون هذا القسم من اكثر من (ملم) أي تجمع من العشائر فهناك ملم غيسون او الغاسنة ويتون من الضمور (وفي عيال طه زعامة الضمور وكل غيسون) وهم اقسام كثيرة ، والصعوب والمبيضين • وهناك ملم الصرويرة ، وملم الطراونة •
٢ ـ الغرابة : ويتكون من ملم المجالي (وفيهم زعامة الغرابة) والمعايطة ، والحباشنة وغيرهم (وسوف اخصص مقالا للحديث عن سكان الكرك وتقسيماتهم السكانية والعشائرية) •

(٢٣) ترائبا : النهود • تحلاك : احبك • منتشي من فاك : منتشر من فمك • ضوح الثريا تناياك : بياض اسنانك الناصع كانه لمع بريق النجوم والتماعها •

(٢٤) اصبح هذا البيت من الشعر مثلا سائرا يضرب لمن لا تواتيه الشجاعة الا في ارضية ووسط جماعته لجبنة •

(٢٥) عندما زرت الشاعر بتاريخ ١٩٧٥/٧/٥ ، وسالته عن قصائده في الهجاء ، اعلمني بانه لا يذكر انه قال الهجاء ، اعلمني بانه لا يذكر انه قال الهجاء ، وهنا ذكر الشاعر ابراهيم الصعوب الذي رافقني في زيارتي هذه للشاعر ، انه قال قصيدة مرة يهجو احد الاشخاص ، ولم ينفي الشاعر الرواية ، وسكت الرجال الذين يحفظون شعر مفلح ومناسبات قصائده ، عن نفي كونه قد قال قصيدة في الهجاء ، وخانتهم جميعا الذاكرة ، ولم يحضرهم من ابياتها شيئا •

(٢٦) عدتنا : عدونا • كن تشتتنا : وهكذا تفرق شملنا واصبح نهبا ولقمة سائغة للمعتدين •

(٢٧) حتى الموت والحرب الضارية ، لن تكون سببا في قبولنا لاحتلال العدو لارضنا وبلادنا •

(٢٨) لن نتجرع مذلة الاحتلال والهزيمة ، ولن نسمح لهم ان يحتلوا ارضنا حتى لو اصبحنا هدفا لنارهم •

(٢٩) أ ـ ايها العاشقون لا تقولوا اني افتري او اختلق اسباب الشكوى فلكل قلب حب تنفتح له مغاليق هذا الفؤاد ، وعنده اسبابه للكرة والحب •
ب ـ حسبت الخوض في بحار الهوى والحب قريبة المنال فاذا بها صعبة وعميقة وتميت الذين يخوضون عبابها وهم تحت تأثير هذا الوهم •
ج ـ لقد كان همي وعذابي من حبي كثيرا ، وكانت معاناتي مضنية حتى ان عذابي والامي لكثرتها وعظمتها تبني منها المدن والاسواق ، وتملاء السيارات ، وتفيض على مصر والعراق ، وحتى سوريا التي لم يسبق لي زيارتها •

(٣٠) سوف اثبت القصيدة في المقال الذي اعرض فيه اعراض شعر الشاعر مفلح والوانه •
١ ـ الشاعر مفلح المشالقة المبيضين ، وكانت اخر زياراتي له قبل وفاته بتاريخ ١٩٧٥/٧/٥ •
٢ ـ الشاعر ابراهيم الصعوب وهو يحفظ اغلب شعر مفلح ومناسبة القصائد وفيمن قيلت •
٣ ـ السيد مد الله المشالقة المبيضين (ابن شقيق الشاعر) •
٤ ـ صالح المبيضين (ابن الشاعر) •

البادية

مراجعة : ياسين عواملة

لقد صدر في عام الف وتسعمائة واربعين كتاب للعميد عبد الجبار الراوي الذي كان يعمل عميدا لكلية الشرطة العالية في العراق وفي هذا الكتاب بحث شامل للبادية ووضعها الجغرافي وعشائرها والوضع الاجتماعي والشؤون النظامية للحكومة .

وقد رتب الكتاب في ثمانية فصول ، ففي الفصل الثامن بين لنا الكاتب عن الوضع الاجتماعي في البادية ويذكر ان حياة البادية حياة بدائية في صحراء قاحلة مترامية الاطراف قليلة المياه محرومة من وسائل المدنية ويتنقلون من مكان الى اخر طلبا للماء والكلاء .

والعادة عند البدو ان يبقى الأولاد عند ابيهم في بيت واحد حتى يكبروا ويبلغوا سن الرشد ويتزوجوا وبعدها يحق للولد ان يستقل في بيت لوحده .

ومن ثم يصف لنا الكاتب وصفا كاملا للبدوي اذ ان البدوي يمتاز بالأعتناء بلحيته وشاربيه فلا تجد واحدا يحلقها . وكذلك لاتفارق البدوي الخيزرانة او العصا .

ومن الضروري ان يتعلم الطفل البدوي ركوب الخيل والابل ويمتاز البدوي ايضا بالشجاعة والجراة في الغزو والحروب ، ثم يتطرق الكاتب الى دين البدوي وبين لنا ان دينه الاسلام وهو شديد التمسك بالتوحيد ولا يحلف بغير الله ويؤمن بالأجل المحدود له ولهذا لا نرى البدوي يندب ميتا ولا يحزن على عزيز مات كما يفعل اهل المدن ولا يوجد للبدو مسكن ثابت اذ ان مساكنهم عبارة عن بيوت من الشعر منها الصغير ومنها الكبير والبيوت التي تبنى على اقل من ثلاثة اعمدة تسمى (مكرون) والتي تبنى على ثلاثة اعمدة تسمى مثولث وهكذا .. والحبال التي تربط بها البيوت تستعمل لربط خيول الضيوف . والبدوي يحترم المراة في كل الظروف وهي تشارك الرجل في كل اعماله كما تدير المنزل وتربي الاطفال .

وبعد ذلك ينتقل بنا الكاتب ليبين لنا عن صناعة البدو فهي عبارة عن تربية الأغنام ، الصيد ، الغزو .

فلا يستطيع البدوي الاستغناء عن تربية الأغنام والأبل لانها واسطةنقله من مكان لى

اخر وعليها يسير مسافات طويلة في الصحراء وكذلك الغزو هو احد الوسائل لمعيشة البدوي ولا يجد فيه نقيصة كالذي في الخطف او الابتزاز او السرقة وقد استمر الغزو حتى عام ١٩٢٩ عند البدو حين صدر قانون منع الغزو وكان السبب في منع ذلك عندما اعتدت قبيلة فيصل الدرويش على اليصة .

اما الوسيلة الأخيرة لصناعة البدوي فكانت الصيد فمن اهم الوسائل المستعملة للصيد عند البدوي هي البندقية والكلاب السلوقية والقهوة والعصا وما الصيد عند البدو الا الغزال والأرنب والطيور .

وبعد ذلك يبين لنا الكاتب عن طعام البدوي وشرابه في مختلف المناطق حيث ان طعامه عبارة عن الرز والتمر واللبن واللحم ، ومن اداب الطعام في البادية ان لا يقوم البدوي الى الطعام حتى يدعوه صاحب المنزل ويقدم الماء الى الضيوف وهم جلوس في اماكنهم ، ويستعملون اليد اليمنى في الأكل دون ان تشاركها اليد اليسرى ، وكذلك ينهض الضيوف دفعة واحدة مع بعضهم البعض .

ثم بين لنا ما مدى اهمية تقديم القهوة السادة الى الضيوف ، حيث انها المادة الوحيدة التي يكرم بها البدو عند قدومهم وقبل الطعام وبعده وتقدم القهوة باليد اليمنى وبالنسبة للزواج عند البدو فاهم مقاصدهم من ذلك هو التوالد والتناسل وتختار الزوجة من عشيرة اخرى وان تكون من ذات نسب شريف يبعده عن كل شائنة ويجب ان تكون المراة محتشمة .

واذا لم يعجبها الزوج تذهب الى اهلها وتجبره على الطلاق فيكون الطلاق عند البدو ذا عقدتين : احداهما بيد الرجل والأخر بيد المراة .

ومن حيث الأفراح والملاهي عند البدو فمن البديهي ان الملاهي والمسارح غير موجودة عندهم ولكن هناك فرقة تسمى (النور) تتنقل بين منازل البدو وتقيم الأفراح والرقص ، وكذلك بين لنا الولادة عند المراة البدوية فهي لها القدرة الكافية على ان تقوم بواجب القابلة لنفسها علما بانه يوجد قابلات متمرنات على حرفة التوليد واذا رزق البدو مولودا يقومون باحضار الطعام لرجال الحي والأم هي التي تقوم بارضاع وتربية الأبن بصورة عامة في البادية .

ومن العادات الموجودة عند البدو في التمريض استعمال الحشائش بصورة عامة واستعمال الكي والتداوي بالنار واذا مرض احدهم مرضا معديا فانهم يتركونه ويرحلون عنه ولكن يتركون من يقوم بالأشراف عليه وبشكل عام فانه يوجد عند البدو لكل داء دواء .

والحق ان مفهوم البادية واسع جدا فقد حرص المؤلف على ان يكون كتابه شاملا كاملا فتكلم عن كل شيء يستحق الكلام عن البادية ووصف سيادة البدو الاجتماعية وصفا حسنا وفي كتابه حرص على المجد العريق والحفاظ على الاخلاق العربية هذا واني لا ارى ان المؤلف قد قصر في تاليفه لان يجعل كتابه جدعا للفوائد .

مجلة التراث والمجتمع

صدر العدد السادس من مجلة التراث والمجتمع ، والتي تصدر عن جمعية انعاش الأسرة في البيرة متأخرا عن العدد الذي سبقه ستة أشهر •

وهذه المجلة هي ثالث مجلة فولكلورية تصدر في الوقت الحاضر بعد مجلة التراث الشعبي البغدادية ومجلة الفنون الشعبية الأردنية • وتعتبر هذه المجلة اسهاما كبيرا في الحركة الفولكلورية العربية ، وعلى الأخص اذا ما وضعنا في الاعتبار الصعوبات المالية وغير المالية التي تواجه تلك المجلة •

لقد احتوى هذا العدد على موضوعات فولكلورية شعبية نستعرض بعضها :

١ ـ الحية : بقلم وليد ربيع

لقد قدم لنا الكاتب مجهودا كبيرا في موضوع له اتصال وثيق بمعتقداتنا الشعبية • فالحية كانت وما تزال مصدرا هاما للخرافات والأساطير عند كافة الشعوب • وقد كانت احدى القوى الهائلة التي يتغلب عليها البطل الشعبي في حكاياتنا الشعبية كما في الشاطر حسن • وقد بين لنا السيد ربيع كيف ان معظم الحضارات القديمة قد قدست الثعابين اتقاء لشرها • وانه وجد في بلدان كثيرة آثار لعبادتها •

وفي الموضوع شرح دقيق لصفات الحية واصنافها ثم تعدد المعتقدات والأقوال حول الحية ومكرها وخداعها وعداوتها للانسان •

٢ ـ من اغاني الاولاد : راضي شحادة

استعرض ببساطة بعض ما كان يغنيه اطفالنا ويردده صغارنا في عدة مناسبات • لقد حال الباحث ارجاعنا الى ايام الطفولة بكل ما فيها من حلاوة لذكريات ولت • وتكاد ملامحها تندثر في عصرنا هذا وبعد دخول المذياع والتلفزيون • وهكذا يتم الآن الابتعاد عن هذا التراث الغني الجميل •

٣ ـ الحياة الشعبية في الزجل الشعبي : فريد كمال •

لقد قدم لنا الباحث امثلة غير كافية توضح لنا الكثير من العادات والطبائع القديمة ، مما يؤيد قوله بأن الأدب الشعبي المصاغ بكلمات عامية استطاع أن يخط ملاحم خالدة عن حياة الشعوب وان الزجل الشعبي ما هو الا تعبير واضح عن روح الأمة واعمق تحليل لنفسية ابنائها • ثم بين لنا كيف أن دراستنا للحياة الشعبية لا تتم الا من خلال الادب الشعبي وبالتالي الزجل الشعبي لان الفنان الشعبي كان لسان حال الجماهير في ان الشعر الشعبي تطرق الى مختلف نواحي الحياة وكل وسائل المعيشة آنذاك فكان مرآة صادقة •

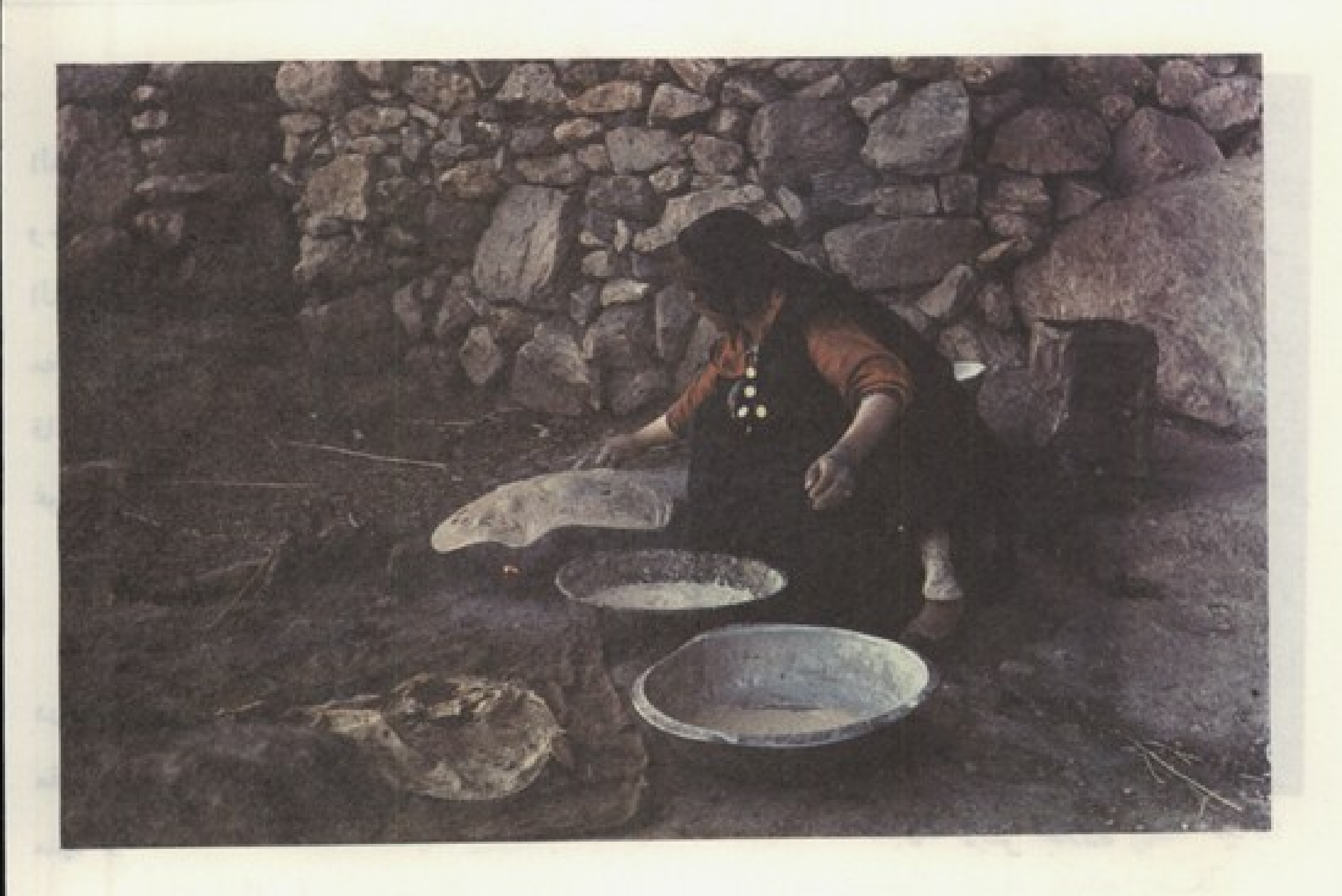
وفيقة والي

تعتبر الصور احدى الوثائـق
لكلورية المهمة التي تبين بوضوح
.ء كبيرين ملامح وخصائص الحياة
تبية ٠ وهذه مجموعة من صـور
اهر الحياة الشعبية الاردنية التي
الدكتور ديتر جلاده ، من معهد
الالماني بجمعها ٠

والدكتور جلادة باحث فولكلوري
س التاريخ والفولكلور وكتب عدة
.ت تطرق فيها الى شتى المواضيع
.



د٠ ديتر جلادة



١ ـ الفولكلور في جزيرة فيمان في شمال المانيا .

٢ ـ علم الحكايات الشعبية .

٣ ـ كما نشر مقالا في مجلة الفنون الشعبية بعنوان قاعدة لتوطيد الحكايات الشعبية. ويعتقد د. جلادة بان دراسة الفنون الشعبية هي محاولة من محاولات الكشف عن ذات الانسان وبعثا للتاريخ واستكمالا للتراث .

ومن رأى الدكتور جلادة وجوب تفرغ الباحثين الفولكلوريين تفرغا تاما لتذليل الصعوبات التي تواجههم في ابحاثهم ولتحقيق الصواب فيما خفي عنهم بسبب الغموض او الاندثار .

كما انه يرى وعند تعريفه للفولكلور بان يميز بين مصطلحين :

الفولكلور والفولكسكوندا، ويقول نحن نعتقد بأن الفولكلور جزء من الفولكسكوندا ، فبينما يعني الفلكلور المأثورات الشعبية مثل الاغاني والاقوال والحكايات الشعبية فان الفولكسكوندا يغطي معلومات اكثر بحيث يشمل المعتقدات والنواحي

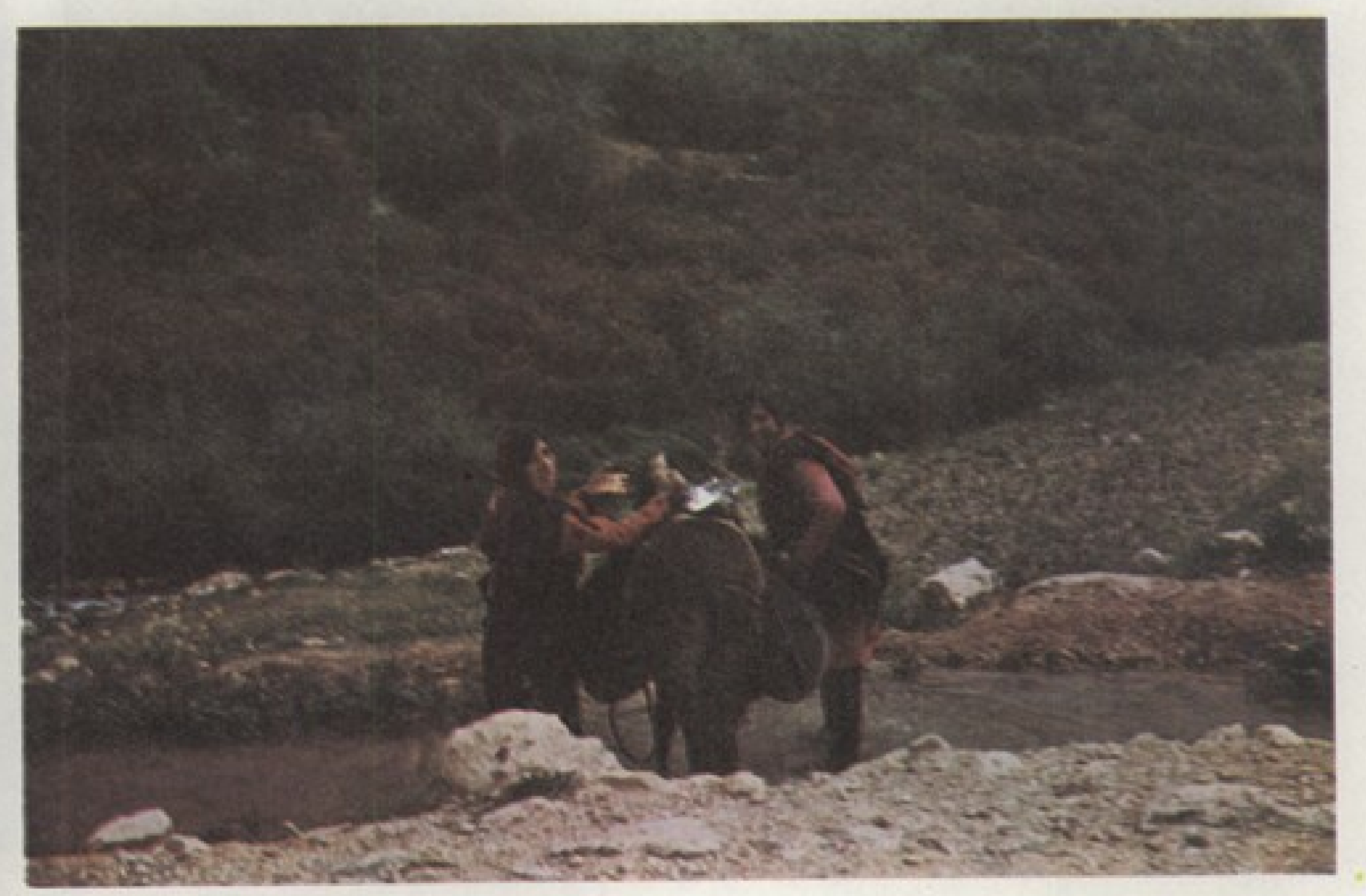


المادية من الحياة أي انه وصف للشعب ووصف للحياة في صورها الشائعة .

والفولكلور مرن متغير وهـــو اشبه بوجود بركتين بينهما جدول يبدل ويغير باستمرار .(١)

وبما ان علم الفولكلور يـدرس الانسان من حيث ابداعه ووسائل هذا الابداع خبراته واعماله كما يمارسها في حياته اليومية وكما يعبر عنهـــا ويتناقلها فرد عن فرد وجيل بعـــد جيل كل يضيف من ابداعه شيئا او يحذف اشياء يرى بان المواضيع التي يمكن ان تكون حقلا خصبا لعلم

الفولكلور هي البيت ، اثاث البيت (بيوت الفلاحين) المزارات ، المقامات ، تاريخ القبائل وانسابها ، تقاليـــد الوفاة ، الاكل الشعبي ، الازيـــاء الوطنية وتطريزها الرسم والنحت والزخـارف الشعبيـــة ، الادوات الزراعية والحرفية ، والمعتقـــدات الخرافات ، المعتقدات الشعبيـــة الدينية ، الفصول والطقس والمنـاخ والتقاليد المتعلقة بها ، الطب الشعبي العادات ، الالعاب الشعبية ، الرقص الشعبي القصص الغنائية ، الحكايـة الشعبيـــة ، الاساطير والحـوادث والامثال الشعبية ،الاغاني الشعبيـة المسرح الشعبي ، الموسيقى الشعبية ،







التقاليد المتصلة بالاطفال (الاغاني والالعاب) الهجرة والارتحال ، تزيين الآلات ، ادوات التجميل والوشم وسائر انواع الفنون الشعبية .

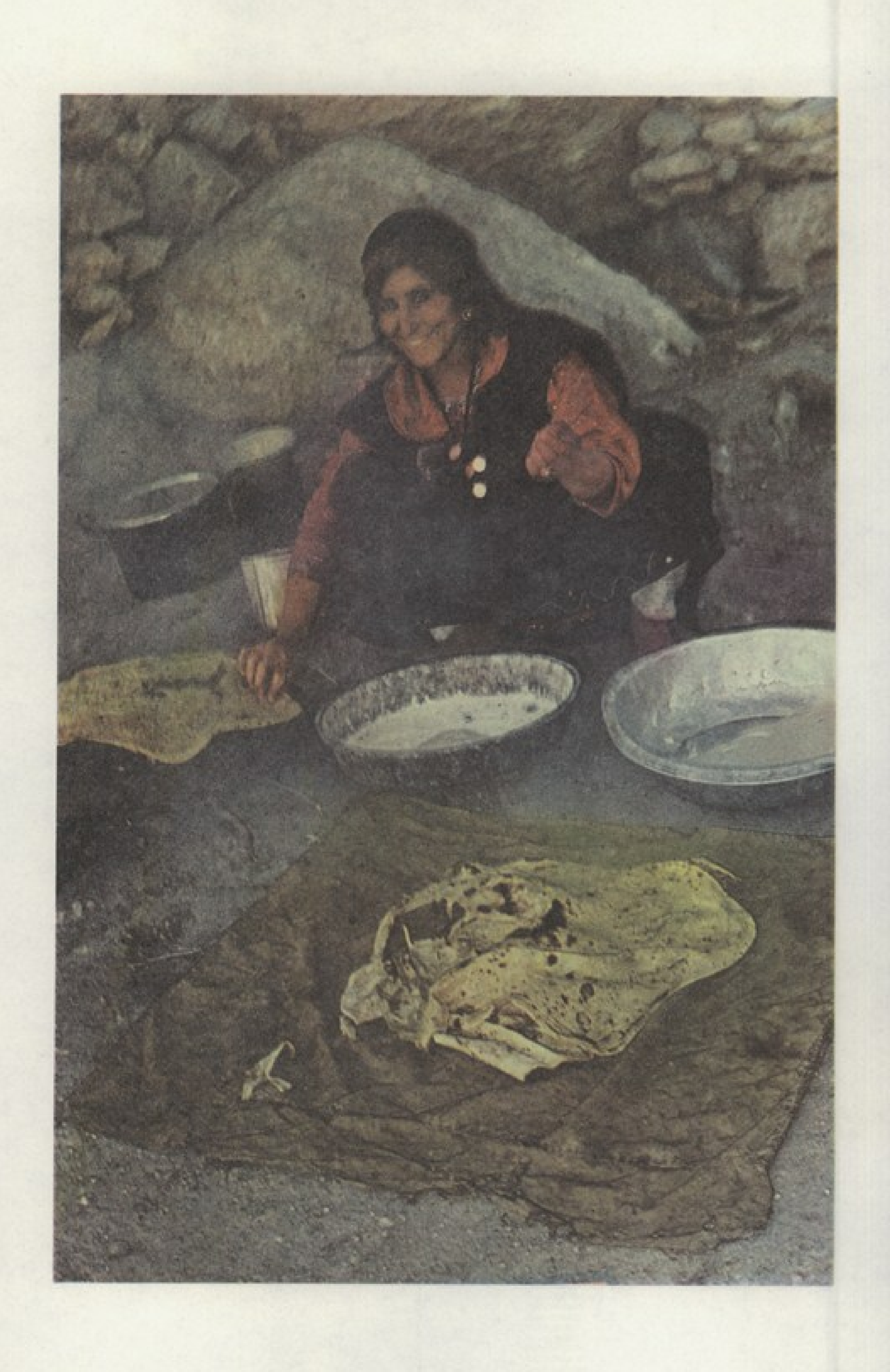
واظهر الدكتور جلادة سروره لوجود جهود علمية وفنية في الاردن تقوم بالاهتمام بجمع هذه الصور الشعبية ودراستها دراسة علمية لتواكب الفنون الشعبية حركة النمو والتغير السريع في المجتمع . وأن الاردن قد بدأ مبكرا باجراء المسح الفلكلوري الشامل للمأثورات الشعبية واقامة المتاحف واصدار مجلة متخصصة للتراث الشعبي كمجلة الفنون الشعبية . وهذه هي بوادر جيدة تعتبر من الأعمال الطليعية .

ويقوم الدكتور جلادة آلان بتسجيل المعلومات والصور عن مختلف مظاهر الحياة في الاردن ليعد ارشيفا فولكلوريا لاهتمامه الشخصي والعلمي .

جميل الخريشة

---

(1) Volkskunde ist die wissenschaft, die aus Begegnungen auf dem Spannungsfeld von Fortschritt und Tradition, kollektivitat und Individuat Aussagen über das Wesen menschicher bemeinschaften fugeler sucht.






عالم
الفنون
الشعبية

الحكاية الشعبية

في بير زيت

تأليف: هانز شمت وبول كاله
ترجمة: محمد عيد

في شتاء عام ١٩١٠/١٩١١ كنت اعمل مساعدا في المعهد البروتستانتي الالماني لعلم العصور القديمة من اجل التعرف الى السكان لعرب ، توجهت في اواخر كانون الاول الى قرية بير زيت مع المعلم جريس يوسف المدرس في المدرسة البروتستانتية التابعه لمستشفى الامراض العقلية ، ونزلنا في بيت والده ، وهو بيت قديم ومليء بفلاحين عميان ٠

قبل انطلاقنا الى الرحلة رجوت مرافقي ان يمكنني قدر استطاعته من التعرف على اكبر قدر ممكن من الحكايات تماما كما تقال على السنة الناس هنا ٠

ولا تكاد توجد طريقة تتعرف بها على نمط شعب من الشعوب افضل من ان نترك افراده يتحدثون ٠ هكذا تظهر معتقداتهم الاخلاقية والدينية اوضح ، واقل تزويقا مما جعلناهم يطرحونها على شكل اجوبة لاسئلة وبهذه الطريقة يحصل المرء على صورة اكثر وضوحا عن عاداتهم مما لو اعتمد على مراقبته الواعية والمتحمسة لهم ٠

وقد وضعت امام عيني في نفس الوقت هدفا اخر فمنذ دراستي حول مادة الحكاية في جونا «جونا بحث في تاريخ الاديان المقارن ، الكراسة ٩ من هذا المؤلف ، جوتنبرج ١٩٠٧» تنبهت للتشابه لغريب بين الحكايات في الادب عند الشعوب المتباعدة مكانيا وزمانيا ٠

ويمكن للمرء ان يتفهم المشكلة الكامنة في هذا التشابه والتي لم تحل بعد بطريقتين :

١ - من خلال دراسة مينوجرافية لمواضيع حكايات مختلفة يبحث عنها المرء في مجمل الآداب يتعقب طريقها ويتتبع اثرها في اوطانها ، ويعمل على معرفة مضامينها الاصلية ، وقد كانت هذه مهمة كتابي «جونا» فيما يتعلق بمواضيع حكايات شعبية معينة ·

٢ - وهي طريقة يتبعها المرء عند الشعوب التي تفتقر الى الادب المكتوب وتقوم على جمع الحكايات من افواه الناس مباشرة ، وهي تتطلب ان يزيد المرء من ادوات مراقبته ، وهي الطريقة التي اردت اتباعها في بير زيت ·

وقد دعمت العلاقات المتواجدة في هذه القرية وجهة نظري فالسكان الفلسطينيون يعيشون نقطة شبيهة بتلك التي وصل اليها شعبنا عندما جمع الاخوان جريم حكاياتهم الشعبية الالمانية ·

وكما ان ايجاد مرحلة زمنية في المدارس جعل الاغلبية السكانية على دراية بالكتابة والقراءة وكذلك فان القرى الفلسطينية قد امتلات بالمدارس في السنوات العشر الاخيرة وازدات قدرة المذاهب المسيحية الثلاث على ارسال البعثات قد تزايدت مع ان طموح المسلمين المشتعل لم يتوقف ازاء ذلك ، فمثلا تم ايجاد اربع مدارس مختلفة ومتنافسة فيما بينها في بير زيت وبغض النظر عما تدرسه تلك المدارس الا انها كلها تعلم القراءة الكتابة وكلها توجه تلاميذها نحو الادب المكتوب ·

ولنلاحظ الا انه عندما يصبح الشعب باغلبيته قادرا على القراءة فان الفن لا يعود يحكى مشافهة وكذلك لا تعود معرفة شعب من الشعوب تتم عن طريق سماع حكاياته ، والمحدثون الذين ذكروا في هذا الكتاب والذين كانوا في اكثرهم من كبار السن كانوا لا يعرفون قراءة حرف ·

وربما الان - وبعد مضي ست سنوات - قد توفي بعضهم ، وربما

يصبح من المتعذر بعـــد مضي ست سنوات اخرى توفير كمثل هـــذا التجمع في بير زيت .

ولقد استجاب جريس يوسـف لرجائي باخلاص وكان مجهزا لذلـك بطريقة نادرة فهو اولا معـــروف في قريته من قبل الجميع ، ذلك انه قد استقبل استقبالا حسنا من قبـــل كل الناس في كل مكان ، وثانيا انـه يعرفهم معرفة جيدة لذا فقد كـــان ياخذني مباشرة الى الافراد الذيـــن عرفوا بانهم محدثون جيدون ، وثالثا ان جريس يستطيع تسجيل ما يسمعه بسرعة كبيرة وهكذا نجلس ليلة بعد ليلة في مقرنا الخاص او على احـدى المصاطب عند احد الفـــلاحين بـين مجموعة من الفلاحين والفلاحـــات ، الصغار والكبار ، نصغي لاحاديثهـم وليس من السهل اثارة رغبتهـــم للحديث ولكـن يستطيـــع المرء ان يلاحظ حالا ان هذه القصص هـــي محور احاديث القرية العادية فقـــد استطعنا في الحقول وعلى الطرق ان نزيد من عدد الحكايات التي جمعناها وازاء مثل هذا الوضع فقد تصرفنـــا بالشكل التالي :

كان جريس يتتبع المتحدث بقلم عندما يكون ذلك ممكنا ، واذا لـــم يتمكن من ذلك فانه يكتب الحكايات كمن ذاكرته تماما ، وكنا نجلس في الصباح الباكر من كل يوم بجانـــب بعضنا البعض لنترجم معـــا مـــا سمعناه .

وقد شغلنا هذا العمل لامسيات طويلة بعد عودتنا الى القدس ، وقـــد اصطحبنا معنا الى القدس «ام منصور» التي كانت تذكرنا بالحكايات لنتمكن من رفع درجة تنظيم الكنز الـــذي حصلنا عليه .

وخلال رحلتي الطويلة مع المعهد عمل جريس الذي كان قد حصل على قدر جيد من الثقافة الاوروبيـــة في دار الايتام السورية عـــلى نقـــل كل القطع الى الحروف اللاتينية وقـــد ساعدته اخته في ذلك والقيام بهـــذا العمل (اعني نقل حكايات عربية قيلت بالهجة الدارجة الى حروفنا اللاتينية على يد عربي) يعتبر عملا لـــه أهمية خاصة ومن الطبيعي ان يكون لهـــذا العمل نقائصه .

وبعد عودتي الى المانيا وجـدت صديقي الاستاذ الدكتور كالة الذي

كان يعمل محاضرا خاصا ان يراجع الشروحات والترجمات وقد ساهم الاستاذ كالة في اخراج هذا الكتاب مساهمة كبيرة بحيث يمكن اعتباره مشتركا في تاليفه وبالاضافة الى ذلك فقد وضع موجزا للنحوا وفهارس للكلمات وكذلك فان جزءا من الملاحظات قد كتب بقلمه .

وفي باب الحواشي يجد القاريء لمرات متعددة الاشارة «قارن المدخل» وانا ارجو في هذه الاحوال عوضا عن رواية المدخل ان يلقي القاريء نظرة على الملاحظات وعلى فهارس الاعلام والاشياء في اخر الكتاب ، وكنت اؤمن اصلا بوجوب تلخيص ما تقدمه حكاياتنا من مادة تمكن من فهم الشعوب في باب التمهيد للكتاب ، ولكنني عدت واعتمدت طريقة وضع الفهارس الابجدية في اخره ، والمدخل الذي وضعته يتحدد في بعض الملاحظات حول ما هو مستغرب في حكاياتنا لتوضيح جوتلك الحكاية .

لقد تاخر صدور هذا الكتاب كثيرا «فباول كالة» الذي كان مع انفجار الحرب في مصر ولوقت اخر بعد ذلك كاسير حرب ، كان عليه ان يترك مخطوطاته في مصر من اجل قواعده وقاموسه اما انا فقد بدات بالفهارس في ثكنة قائد سرية في خندق للمدافع وانتهت منها في ظل شجرة الزان في غابة الراهب شمالي «بونت موسون» كان العمل بالنسبة لي ممكنا في الايام الهادئة فقط ، وهي ايضا تخلو من المقاطعات وقد تمكنت من استعمال الادبيات اللازمة لذلك لانني سافرت مرتين في يومي سبت واحد الي ينز ، واقدم هنا شكري الجزيل للسيد مدير المعرض الاستاذ الدكتور كوينة الذي مكنني من استعمال مكتبة المدينة الموجودة هناك .

ان عيوننا قد فتحت نحو الشرق الادنى اكثر كثيرا من ذي قبل ، فاخوة السلاح بين المانيا وتركيا قد خلقت علاقات جديدة بيننا وبين موطن ديننا الاصلي ، وقد كنا نامل بعد الانتصارات المشتركة ان نجد الابواب مفتوحة هناك بطريقة مختلفة عن السابق امام العمل والعلم الالمانيين وربما من خلال هذا المنظار يمكن لمجموعة من حكايات فلسطينية مع ترجمة لها ان تستقبل استقبالا جيدا في كل مكان ولكن ليس باعتبار هذه الحكايات مجموعة امثلة من شعب

ما لشعب اخر وانما على انها وسيلة التعرف من خلالها على حياة الفلاحين المستغربة في اقليم يرتبط بنا .

وربما يستطيع المعهد بشكل خاص ، والذي اهدينا هذا الكتاب لمديره المبجل ، ان يحصل على فائدة منه عندما يستأنف عمله بعد الحرب وربما وجد احد ما او حتى اعضاء المعهد الذي ما ان يتتبع الحكايات المطبوعة في فلسطين او ان يحقق مجموعات متشابهة في مناطق اخرى على الساحل او في لبنان او عند قبيلة بدوية في شرق الاردن في منطقة محددة .

بهذه الطريقة يصبح من الممكن وربما قبل فوات الاوان تصوير الوجود العام للحركات الشعبية الفلسطينية غير المكتوبة .

وخلال كتابتي لهذه السطور بالذات تدوي اصوات مدافع معركة فيردون ومدافع الميدان التابعة لنا يرافقها غطاء من الضجة الرهيبة .

وهكذا كان لهذا الكتاب قدرة الخاص انه ليبدو لي وكاني تصورته على شكل حلم ، فقد بدأته في الاكواخ الساكنة تحت اشجار الزيتون الناعمة كالحرير في بير زيت وانهيته فوق مدرج مطار الطائرات الالمانية الحربية ، والان يأخذ هذا الكتاب طريقه كتحية جميلة كتلك التي قالها لي محدث هذا الكتاب وهو يمد يده لي للوداع «مع السلامة» .

هانز شميت

* * *

لقد جاءت الحكايات كما اراد «هانز شميدت» وانا اريد هنا من كل من يقرأ القصص العربية ان يتمعن الكلمات جيدا ، ذلك انها كتبت بالحروف اللاتينية على يد جريس يوسف او اخته ، وهذه الطريقة في الكتابة لا يمكن ان تخلو من النقائص وسوء التنظيم والناشر ايضا لم يستطيع ان يتجاوز هذه النواقص جميعها ولو قدر لي أن انجز هذا العمل مرة اخرى فربما تعاملت معه بطريقة مختلفة ، ولربما تجوزت في الموجز النحوي والملاحظات الاخرى ذلك لتفاوت التقريبي الذي نلمسه في القطع .

ولقد قام بعملية الترجمة هانز شميدت وجريس يوسف ثم راجعتها انا بدوري وقد قرأه «شتومة» من ليتزج نسخة مصححة من هذه القطع ونحن نشكره على الكثير من الملاحظات والتصحيحات ، وقرأها «لي ليتمان» بعد طباعتها ، كما انه قرأ نسخة

مصححة من الموجز القوادي وفهارس الكلمات ، وقد قدم لي قائمة من الملحوظات القيمة جدا حول التنظيم الوارد في الكتاب ، وقد اخذت ملحوظاته بالاعتبار بشكل جزئي في الملحقات والموجز النحوي وفهرس الكلمات •

لقد حملت معي تجميعاتي النحوية المتعلقة بالمفردات الواردة في هذه القصص وكذلك مخطوطتي مع الكثير من الملاحظات - بالمناسبة فالقطع نفسها قدمت للطباعة سنة ١٩١٣ - حينما سافرت الى مصر في حزيران من عام ١٩١٤ لاهداف دراسية ، على امل ان اتمكن من هنا - مصر - السفر الى فلسطين حيث استطيع الاستفسار عن عدة مواضيع ومناطق وقد اضطررت بسبب الحرب الغاء رحلتي الى فلسطين ، ولدى مغادرتي القاهرة تركت تجميعاتي هناك لاني لم ارد ان اعرضها لمخاطرة رحلة من زمن الحرب ، وقد ابدى ضابط الشرطة الفرنسي في مرسيليا بعض الملاحظات العلمية التي احملها معي عندما فتش حقائبي • ولكن لم يكن بامكاني التنبوء بذلك ، كما انه لم يكن بامكاني ايضا ان اعرف فيما اذا لم يكن ينتظرني القليل من المعاملة الاخرى •

لذا كنت مسرورا لاني تركت تجميعاتي في القاهرة ، والحقيقة اني ادين بكوني حرا لجهد القنصل العام في القاهرة السيد «اولني ارنولد» •

في المانيا افتقدت بالم تجميعاتي التي كنت قد تركتها في مصر وليست تلك المتعلقة بهذا العمل ، كنت امل في البداية ان استطيع الانتظار حتى احصل عليها من جديد ، لكن ذلك قد استغرق وقتا طويلا ، والناشر وكذلك صديقي شمث اخذوا يطالبون وهم على حق ، بتكملة العمل النهائي الذي كان قد تأخر صدوره كثيرا بسبب اخطائي ، لذلك قررت ان اعيد تجهيز العمل مرة اخرى بمساعدة كبيرة من الملحوظات التي قد تركتها في المانيا ، وقد شغلني هذا العمل مدة اطول مما توقعت ، وهذا هو السبب الذي اخر صدور الكتاب ، فالاقدار المتعددة التي صنعت هذا الكتاب يمكن ان تبرر بعض وجوه عدم الاتساق ، كالاختلاف بين طريقة شميث في الاستشهاد في باب ملاحظاته وبين طريقتي في موجزي النحوي وفهرس الكلمات والمعلومات الواردة التي تتطلب مراقبة خاصة •

باول كالة

من نصوص الحكاية الشعبية

- ١ -

الحكاية رقم «٢٣»* عن ابو ابراهيم

(١) ما هان ولا هان يا مستمعين الكلام واللي بحب العذرى يقول عليها السلام باقي هان اثنين اخو ي واحد عزب وواحد متجوز صاحب العيال ذاق المعاش عليه زي مصطفى ابو خليل • باقين كراملية ، العزب يكرم واخوه يبيع ويشتري حاجاتهم •

«٢» يا حفيظ السلامة اجو ناس شبكوا في راس العزب قالوله : ولك انت بتتعب لمين ما يتعب ابو العيلة ؟ يوم من الايام قال هذا يا اخي ما بدي اشتغل تني اجوز • قال يا خوي انا ما حيلتي ولا سيلتي • قال غير تحكي في بنت الملك • يا خوي دشرك من هالخراف • وهذا يلح عليه دايما •

(٣) بالتالي قام هذا غسل ثوبه ومشى مثل ما تقول عالقدس • استدل ع ديوان الملك • دخل قاموا حاووه البوليسية • رطن الملك عليهم ان يخلوه قاموا خلوه • هذا عبر ووقف قدام الملك • قال اطلب غرضك قال اعطيني منديل الأمان • قام رماله منديل الامان قال : يا سيدي بدي بنتك لاخوي • قال اجتك فنجان قهوة • قام هذا اعطاء • قاموا الوزراء لاموا الملك وقالوله كيف بتعطي بنتك عالهيلمة ! قام رطن عليهم وعاودوه قالهم انا اعطيتك بنتي وخلص ! امبالا بدي القي عليك معجزة • قال شوهي قال بدي سالفة اولها كذب وآخرها كذب قال قديش الوعد ؟ قال عشر خمستاشر يوم • وان ما جبتش بقطع راس البعيد •

(٥)الحطاب باقي هبيلة طاح مهموم مغموم لاقاه اخوه قال ان شاء الله صحت • قال ينعل ابوك ع ابو اخوك البنت صحت لكن رمى علي معجزة • قال شوهي ؟ • قال بدي خريفية اولها كذب وآخرها كذب • قال هذي هامتك ؟ هذا علي •

(٦) روح يا يوم تسع يا يوم خلصن الخمستاشر يوم • حمل حاله وراح عالقدس ظل مشعبط منعوه طل الملك امر يخلوه يخش • قاله جبت المعجزة قال نعم • قال قول •

(٧) قال ياملك الزمان ما هان ولا هان الا هالبياع ما حيلة ولا سيلة • هذا بقي يحمل عل كتفه وبيع شحاط • صابونه • زعوط ، خيطان وغير هذا بدراهم وبيض • هذا استحل هالبيضة الكبيرة ولمن قعدت الجاجة حطها تحتها فقست الجاجة اجا صوصها كبير زود عن غيره • صار يطعمه بزود طلع الصوص ديك • عقب ما قدرش البياع يشيل ويبيع

---

* انه الرقم الذي أعطاه شميث وكالة للحكاية في كتابهما الأصلي •

صار يشد عالديك ويركبه ويبيع في القرايا .

(٨) الجاج بقين يبعبشن صار الديك يبعبش . قام صار يعرج قام هذا اخذه للبيطار تيحذيه قاله البيطار روح للنجار خذ له عجمة بلح خليه يقمها ويحط اصبع الديك فيها قام وهو يبعبش طلعت هالبلحة واخرجت وصارت شجرة . وهذا ما قدرش يروح ولا يجي .

(٩) عند الشجرة علت النخلة . لمن استوى اطلع الزلمة اربعين جداد ع ظهرها وما جداد يسمع لجداد طق . يوم من الايام باقية النخلة مربية بين الجرايد شوية تراب ميعاد تخطيط السمسم طلع صاحبها خطط سمسم وميعاد الخلع خلع اللي قسم النصيب فيه بعد جمعتين عاود طلع عالنخلة لاقى نخلة حاملة سمسمة دق فيها . منها تلة ومنه تلة . القطعت حبة السمسم وحمل منها اربعين حمل سرج . قام الملك قاله بس يا زلمة ! قام نادى المفتي واملكله ع بنية وطار الطير وتتمسوا بالخير .

— ٢ —

الحكاية رقم «٣٧» عن ابو ابراهيم .

(١) ثلاث حرامية . واحد منهم قيسي داروا من هان شاما مثل ما تقول ع نابلس تيسرقوا اللي فيه النصيب . اجو ع هالدار الكبيرة . قام عبر القيسي تمشه بده يشحد الا وها لبنت المبنتة باقية متوكلة بهالدار



وبالعيلة هذا طلب اللي فيه النصيب قالتله تفضل . هذا قعد اكل اللي فيه النصيب واعطته رغيفين مربعة وقام . تروح قلتله هي يا عم اصحى من الكلب اللي في قاع الدار . ليعقرك . اصحى تقع في المطمورة اللي فيها .

(٢) هذا بس طلع من باب الدار قام هالكلب وتورشعه وبده ينط بين كتافه ويهبره هذا من الخوف صار يمشي خطوة لورا وخطوة عجنب . دب الاوهو في وسط هالمطمورة . هذا صار ينادي هيه يا اهل الدار هيه . هيه هيه يا خالتي قامت سمعته واجت تجري . الا وهو في قاع المطمورة . قامت جابت هالرمة بالعقالة ودلت له اياها . وقالت اربط حالك ابها . هذا ربط حاله وصارت البنت تسحب فيه توصل حفة المطمورة . قام زقط برجلها تيطلع هذي جفلت ووقعت هي واياه في وسط المطمورة .

(٣) باقي في دار ابوها سبع ثورحرائين الا وهالواحد مارق في قاع الدار سمعت حنه نادته قام ميل الا وهي والقيسي في المطمورة .

قام نشلها ونشل القيسي وراح هذا لربعه وقصدوا باب الله البنت خافت ينحكي عليها قامت وصت الحراث انه لايجيب سيلة وصارت تخصه باللونة وتلاطفه بزيادة ٠

(٤) من لاحظ ! مرت الحراث قالت لجوزها بالي شو الدعوى بينك وبينها ؟ بشوفها بتحبك وبتخصك بالي فيه اشي بينك وبينها قالها الدعوى بيلا بيلا بيلا ٠ بس اصحي تقول لحدا احسن ما نفضح البنت عاشي ما شي ٠

(٥) طيب المعزب تتخبز في الطابون ٠ قعدت عندها وحدة من نسوان اخوة البنت ، ـ باقين عشرة ـ وقالت الها ٠ يا فلانه ، باقية بنت حماتك مع واحد قيسي في المطمورة ٠ ونافد عليهم جوزي ٠ وقايلهم بس استري الله يستر عليك ٠

(٦) هذي روحت خبرت سلفتها الاخرى ومن وحدة لوحدة وصل الحكي لاخوتها ٠ قاموا العشرة قعدوا في بعضهم وقالوا كيف ندبر كيف نساوي ٠ قال كبيرهم مالناش راي بلا اعمامنا قاموا جمعوهم وخبروهم بالواقعة قالوا هذي ثلمت صيتنا ٠ مالهاش الا الذبح بس موش الليلة ٠ خلوها لليلة الجاي ٠

(٧) باقية وحدة تحبها سمعت انهم تشاوروا تيذبحوها الليلة الجاي ٠ راحت وخبرتها قامت هذي لبست هالشراميح ٠ وعلقت هالمسابح في رقبتها وشالت دارت هذي تشحد من هان لهان ٠

(٨) يوم الايام الا وهي واقفة في باب دار ابو الجبيبان الي وقع معها في المطمورة لاهي عرفته ولا هو عرفها البنت باقية اديبة وبنت ناس ، بتخافش ٠ قام الزلمة عبرها ع دار الحريم ٠ ووصى عليها وهذي لاتحكي ولا تشكي ٠ هذي شافت هالنسوان مشغولات دارت تشتغل معاهن ترت هذاك اليوم هناك ٠ ثاني يوم راحن يغسلن راحت معاهن ٠ ومن يوم ليوم مضى عليها شهر وهي في الدار ٠

(٩) النسوان شو خرافهن غير في الجيزة والميلاد والموت من هان لهان استحبين الها وحكن معاها ان تتجوز ٠ هذي رضت وقالت ما حلال بصير حرام يم نصبوا هالافراح في الليالي الملاح وجابوا هالخطيب ملكته عليها ودخل عليها وولدت له ثلاث صبيان وهو ما يدري بنت مين هي ولا منين هي ٠

(١٠) يرجع نص الكلام لاخوتها هذولا لمن سمعوا بخبرها وشافوا انها فقست صارت الدنيا في عينيهم قد طارة الغربال ٠ قاموا ركبوا خيلهم وداروا يدوروا عل اختهم ٠ من يوم ليوم الا وهم لافيين دارها هذي عرفتهم لكن هم ما عرفوهاش ٠ قام صاحب الدار علق ع خيلهم وهي قعدت تعجن وتخبز للضيوف وذبحولهم هالخروف وقعدوا تعشوا عل عادة الضيوف ٠ ثلاث تيام وثلث وهم ما بيجيبوا سيلة ٠

(١١) رابع يوم سيلوا عن اختهم وقاموا ركبوا وبدهم يقصدوا ٠ قامت هذي مالت ع جوزها وقالت له هذولا اخوتي اعزم عليهم ٠ قام هذا ودا ابنها الكبير وقله يعاودهم ٠ قام طنزع وراهم وحلقلهم ووقف في طريقهم ٠ وشدد ع العزيمة ٠ وقاموا عاودوا ربطوا خيلهم وقعدوا ٠

(١٢) شوي الدعوى يا ستار ليش عاوتونا ؟قامت اختهم خرفتهم بقصتها من اولها لتاليها • ونسبت حالها وجوزها يسمع • هذا لمن سمع هالقصة • قال والله هذا حد علمي ان مرتي هي هذيك البنت اللي وقعت معاي قام هذا اكرمهم من اول وابو جديد • واعطاهم بدال مرته ثنتين من خواته وبيض عرض مرته • وصرفهم وروحوا حامدين شاكرين •

- ٣ -

الحكاية رقم «٣٨» عن سلامة •

(١) قال الله وقال خير ! ما هان ولا هان الا امير هالعرب سنة من السنين شحن المراعي قام ودى سبع ثمن خياله من عربه يدورولهم ع مرعى هذولا ركبوا خيلولهم وسافروا ثلاث اربع تيام اجو لهالواد الخصيب بهالمية وواسع شافوه وعاودوا خبروا اميرهم •

(٢) في غيابهم اجو غزاية تحت عقيدهم اسمه محمد وحطوا في باب هالواد وقعدوا يعجنوا ويخبزوا قراص • وهم قاعدين يخبزوا هللي شقوا ع المراعي جابوا حكلهم وطلوا عالواد • لمن طلوا خافوا الغزاية وهربوا وخللوا قراصهم في النار •

(٣) قال عقيدهم مين بيروح يجيب النا قراصنا اللي تعديناها في النار ؟ لمن ما حدا قام ، راح هو براسه لاقى هذولا ضاربين هالخيام وقاعدين وهالكلاب هادية والدنيا خامة وعتمة •

(٤) هذا دوس دوغري ع مطرح القراص الا وخيمة بنت الامير باقية منصوبة فوق النار وتحتها فوق القراص والشمعدان مضوي فوق راسها • هذا تزحلف تحت ذيال الخيمة • عبر ودار يفجر عالقراص تحت التخت وعيت عليه حمدة وقامت زقطته وتحلفت له • هذا استخذل فيها وحلف الها بابوها وخالها انا منيش جاي ادور ع حريم اناغرضي اوخذ القراص اللي نقعناها وان كان ما بتصدقيش خليني اقحر عليها • قام طلع تحت تختها •

(٥) لمن شافت الدعوى صحيحة قامت جابت جراب هالطحين وعجنت وخبزت له خبز شراك ودارت عكة هالسمنة عليها وقالت له زم وروح بس اصحى وانت طالع تقع في هالهفتة اللي قدامك هذا لمن طلع تورشعته الكلاب الدنيا عتمة وقع في الهفتة وصار يستجير في بنت الأمير ليش خيمتها باقيمة مطرفة هذي حلت مصيصة من حبال الخيمة ودلت له اياها ونشلته لمن صاب رحالة اجرها وشاح حاله زحلقت البنت ووقعت هي وياه في الهفتة وظللوا طول الليل فيها •

(٦) باقي ابوها كل يوم ما يصلي الا عباب هالهفتة • صبح هالبريق في ايده وجاي • لمن صار

عباب الهفتة سمع حكي فيها طل الا وبنته وهالبدوي في وسط الهفتة ثم هذا قلب حالة بـلا صلاة وصـاح الرحيل ! قالوله شو الدعوى يا أمير مبارح وصلنا اواليوم لازم نرحل . قال الرحيل الرحيل وعمد خيمتـه وخلع وتادها ولفها وحملها ع الناقة وساق لمن شافوا العرب ان اميرهم رحل دخلهم الشك قاموا ولحقوه .

(٧)لمن صاروا بعاد سفر ثلاث تيام نادى الأمير عبده عواد وقلـه : روح للهفتة اللي بقت عندها خيمـة بنتي في الواد واذبح اللي فيها وجيب لي من دم الثنين وحرام عليك ان كان بتخلف قولي . هذا ركب واجـاك رايح . لفى ع لهفتة بحر الا وهدي مع هالبدوي في جواها . هذا بدي يسبها ويلعنها ليش انها تصاحب وقالها ليش بتوخذيش من قرايبك قالت له يا عواد عمرك حسيت علي فاينه . ماليش خير عليـك . شو بنوبك ان ذبحتني في اطلعني وانـا وحياة ابوي ما بوخذ غيرك . شو بدو ابوي يعطيك ان قتلتني . اطلعنـي وخذني ولا تعاودش ع ابوي انـا دعوتي بيلا بيلا .

(٨) قام هذا نشلها وطلعهـا وراح يجمع كبابيش نتش ويرمي في هالهفتة بده يحرق البدوي . لمـن قريب انتلت قـدمت البنت تشوف دفعت عواد وقع فيها . يم هذاك نط ع خناقه وخنقه . قامت نشلـت البدوي وطلعته . هذا نط في ظهـر فرس عواد وركبها وراه وحط السيف بينه وبينها علامة الامان وقال يـا دروب خليلي .

(٩) راح يومين ثلاثـة لفى ع عربه عند امه . سلمها البنت ووصاها عليها ع اربعـة وعشرين قيراط . مضى شهر شهرين قال لامه يمـا سايليها ان كان بدها تتجوز ، ومين بدها توخذ هذي قالت انا ما بوخذ الا اللي جابني بشرط انه يوسـم اربعين جمل ع وسم ابوي ووصفنها الوسم .

قام هذا راح كسالها واملك عليها ودخل عليها وعزها عن مرته الأولى .

(١٠) روح يا زمان تع يا زمان قالوله يلا نروح نغزي . قال بعـد صلاة الجمعة . ما بقالوش عـادة يروح بلا صلاة اجا يوم الجمعة صلوا ونادى ع اخوه وقالله : اياك وحمـدة مهما طلبت بـده يحضـر واللي في خاطرها بدة يصير . وصاه وأخـذ معاه خمسين خيال وتسهلوا .

(١١) لمن ابعدوا قام هذا اخوه لبس كفية هالحرير ع راسه وحـط عقال مقصب ولبس هدومه واجـاك رايح لعندها شربـوا قهـوة وصار يتلاكع معها طلب منها الفاينة . دق فيها قامت قالت له : يا عبيده مـا تستحي بتدق في مرت اخوك . انـا ما اسمي الا لحمك ودمك . ويـن

شرفك ! قول منعته خلالها مدوبحـا ع ابريق القهوة قام دق فيها قامت لطشته بيدها وهي ملانة خواتـم جرحت عينه وسال دمها هـذا قـام تلثم وراح ع خيمته ٠

(١٢) بعد اكمن يوم روحـوا الغزايـة فزعت هالعرب تلاقيهـم الكبير والزغير والمقمـط في السرير لكن ما راحش وصلوا الأمير بحر ع اخوه ما شافوش سيل عنه قالولـه انه رمدان ٠ قاموا ذبحوا واكلـوا ٠ راح يومين ثلاثة وهذا ما يواجـه اخوه راح الأمير لعنده سلم عليـه وهذا ما ردش ٠ شو الدعوى ؟ قـال هذي مرتك ما بتمنع حدا عنها الطالع عندها طالع والعابر عليها عابر قـال هص ! يم الأمير قام ركب مرته وراه وراح تمنه بده يشم الهوا٠ ابعدوا سفر يوم اجو لها لـواد ونامـت ع ركبته خلاها في احلى المنام وقام زحلف راسها عن ركبته وقام ركب وعاود ع عربه ٠

(١٣) قامت هذي وعت ونادت جوزها : فلان ! ابو فلان ! لكـن لا صوت ولا مجيب ٠ قامـت مشت ع وجهها والجلا ٠ زقطت هالطريـق وظلت رايحة وصلت هالعين عليهـا شجرة طلعت وقنبزت بين فروعها ٠

(١٤) باقي في هذيك الناحيـة امير اسمه محمد ما يسقي فرسه الا من هالعين ٠ هذا مصبح بدري جاي يصلي ويسقي فرسه ٠ حول عنهـا وقدمها جفلت من خيال المرة ٠ اتطلع الفوق الا وهذي قاعدة ٠ قالهـا : انس ولا جن ؟ قالت انس خيـار الانس ٠ انا خيط في عباتك قامـت طاحت ٠

(١٥) هذا ركب فرسه وقامها : ايدك : ناولته اياها ٠ زقلها الا وهي وراه حط السيف بينه وبينها وروح على امه وقالها : وداعتك هالمستوزة اصحي عليها رعيان الحلال ٠

(١٦) من هان لهان راحـن شهرين قالت الها العجوز : يا ولدي ما تسمعي مني وتتجوزي هالولـد يعني بينا ٠ قالت يا ستي كل الدنيا ع هذا ومثله وانا باتجـوز ع شرط يوسم اربعين جمل ع وسم ابـوي ويكتب عليه سند انه وين مـا راح يوخذني معاه قالت طيب : هذا وسم الجمال وكتب السند واخذها بسنة الله ورسوله ٠ دخل عليها جابت ولد ثاني سنة ولد ٠ وثلثت بنية ٠

(١٧) اجو العرب قالوله يـلا نروح نغزي : قال انا مستعفي قالـوا بلاك ما بنروح قان ان كان ولا بد يلا قام نصب هالخيمة لمرته وولادتـه هالهودج وركبهم وراحـوا ٠ مشوا اربع خمس تيام وصلوا العرب اللي

بدهم يغزوها • قال الأمير لاخوه : خليك انت والعيلة هنا ع بين ما اعاود •

(١٨) هذا لمن ابعد طلب منها الفاينة • اتمنعت قاللها باذبح ولادك قالت الولاد لابوهم ولك انت بتذبح من كيسك • قام ذبح الولد الكبير ورماه في هالهفتة وذبح الثاني والبنت وهي ما تسلم بحالها قاللها ذبحك كوم وانتي كوم • الروح عزيزة قالت لاحول ولا قوة الا بالله • قالت انا نجسة تقوم اتشطف اخذت هالبريق وراحت للهفته ورمت حالها على ولادها •

(١٩) طولت ما عاودتش قام يدور عليها ما لقيهاش قام هذا شرح اجرين حصانه تسال الدم قناه ولحق اخوه ولاقاهم • قالله الأمير شو الدعوى قال مرتك غولة اكلت ولادها وبدها توكل حصاني شوف كيف خمشته • قال الحمد لله بسلامتك يا خوي •

(٢٠) هذي لمن اقفى عن الهفتة لبست عقال اسمنها زلة وتلثمت • مرق قفل من هناك نادت عليهم طالوها قالولها شو اسمك قالت جلال • قالولها يلا معانا راحت • باقي هناك امير مشهور كل العرب تقضي عنه اسمه الأمير زياد • لفى جلال عنده قهونوه وخاولوه • قعد ثلاث تيام وثلث ضيف قالوله شو شغلك ؟ قال حراث قالوله اخدم عندنا فاصلهم على اجرته وظل عند الأمير زياد •

(٢١) روح ياشهر تع يا شهر شمحت المراعي على ابوها وجوزها الأول محمد والثاني محمد قاموا الثلاثة رحلو بحلالهم ع مطرح فيه مي مثل ما تقول عند بير زيت وعزبوا هناك • وما حدا منهم بدري عن اخوه اشي • كل واحد حط في ناحية اجو عبيد ابوها شافوا وسم الجمال مثل جماله وباقي رايحلة جمال آجو عنده وقالو له البشارة عندك جمالك بينا عند عرب الأمير محمد اللي حاطين في المطرح الفلاني •

(٢٢) ثاني يوم راحوا الخدامين ع غير مطرح شافوا جمال الامير محمد موسومة بوسم سيدهم رجعوا قالو له • هذا وطالبهم بجماله وتقاتلوا عليها هو يقول هذي جمالي اللي انغزت • وهم يقولوا هذا حلالنا قام طلبهم بالقضاء عند الامير زياد راح هو وولاده والامير محمد ومحمد واخوتهم ولفو عليه وكل واحد نص نصه وبين صدق ما ادعاه • الامير زياد الي عمره ما اتحير في قضاهانا اتحير وقال امهلوني ساعة زمان عبين ما اغفى لي ساعة زمان قالوله يا أمير حلالنا بعيده وبدنا نروح وصرفنا

ع البدري • قـال مالي حيلـة في هالدعوى •

(٢٤) قام الخدام جلال قال : يا سيدي انا بقضيها بين ايديك وابتدت المرة تحكي في قصتها من اولها لتاليها وبرهنتها وفصلتها وقالتانا فلانة وهذا ابوي وهذا جوزي الأول وهذا الثاني وهذا اللي دق في اللي ذبح ولاد اخوه • لمن سمعوا هالقصة اندهشوا • حالا امر الامير زياد وحرقوا اخوة الامراء اللي كانوا بدهم يخونوا اخوتهم • البنت اتبيض عرضها قدام اهلها وجيزانها ويلي ما بحترس ع عرضه ما فيه خير والسلام •

– ٤ –

الحكاية رقم «٣٩» عن شحادة الخوري

(١) باقي هان اميرين اخوة مالهمش ولاد • هذولا طلبوا من الله قام الله سبحانه وتعالى طل عليهم • نسوانهم حبلن • وحدة جابت صبي ووحدة جابت بنت • ابو البنت وهب بنته لابن اخوه لمن تكبر • لمن كبروا مات ابو الصي عقب موت ابوه صار الولد صاحب اسم بين العربان • وين ما كان يذكروه واسم عمه انطفى هذا لمن شاف ان ابن اخوه طار صيته بين العربان انكاد منه وانحاص لمن الولد لحق الشباب طلب بنت عمه لكن عمه عايا يعطيه اياها •

(٢) هذا صار يوديله وسايط لكن بدون فايدة في الاخير قالوا للامير المثل بيقول ان كان ما بدك تجوز بنتك غللي مهرها • اجا الولد لعمه اخرى خطرة وطلب البنت قلله ان كان بدك بنتي بعطيك اياها بشرط تجيب لي رأس الامير ابن اسعود هذا باقي امير مشهور – وفرس ابن حمدان ثاني – قام الولد قال لعمه عن طلب عمه • قامت هذي حضرتلة هالزوادة وهذا حط في ظهر فرسه وقصد باب الله •

(٣) سافر خمس ست تيام لفى ع عرب ابن سعود على صوان الامير هذا استقبله عبر الاوهالصوان برهج وبقبس من كثر الذهب والفضة والعمود حالة من ذهب وجالة من فضة • هذا تعجب من هالغني •

(٤) مالحقت يقعد وبدها تغيب الشمس قام امتلا الصوان من هالضيوف • علقوا ع خيلهم وذبحوا الذبايح ، طبخوا وسقوا ودار المنادي ينادي ويقول : العيش يا جعان قامت هالمخاليق تدفق • ع شق الأمير • اكلت هالناس وصدرت وهذا ما ذاق العيش لحوا عليه تيوكل ما قامش

★ صورة جميلة لمضارب البدو •

ذاقه ليش انه بده يقتل الأمير • وان ذاق العيش ما بقدر يخونه عقب العشا قعد هالشاعر يضرب عالرباب والناس تتسلى تاخذ الليل واعطى قاموا ناموا * •

(٥) عقب ما انتصف الليل قام هذا وسل حاله وعبر ع صوان الأمير تيقتلة • جبد السيف ووقف فوق راسه اشي يقوله اضرب واشي كنه ماسكه على ايده ويقلبه بدك تقتل هالامير اللي بطعم كل الناس من شان بنت شخاخة ؟ غلب الرحمن على الشيطان عاود سل حاله طلع وراح نام • ثاني ليلة عاود سوا مثل أول ليلة ونام •

(٦) في الاخير قال تروح اجيب فرس ابن حمدان • ان جبتها بقتل هذا وان ما جبتهاش الله يسهل عليه قام هذا ودع الأمير وانصرف عقب اكمن يوم لفى هذا ع عرب ابن حمدان هذا باقي له فرس مالهاش اخت ومسويلها صوان مخصص • واخدت ابن حمدان اسمها حمدة باقية دايما في هذا الصوان تنام عند الفرس •

(٧) لمن لفى هذا ع عرب ابن حمدان قام عقب نص الليل عبر ع الصوان اخت الامير الاوهالفرس مقيدة بالابعة وهالهلال ذهب معنق برقبتها ونجمة بين عينيها صار هذا يجرب يفكها طول الليل ما قدرش يفك القيد • ع وجه الصبح راح نام ثاني ليلة بالمثل ما قدر يفكها كشنف عن وجه البنت الا وهي سبحانه اللي خلقها • هذا عاود طلع ونام رابع

يوم ودع اسمنة سافر في دربه وراح تخبى في هالواد هناك عند مجرى مي

(٨) باقي للأمير عبد موكل ع بيته اسمه سعيد • هذا حب حمده اخت الامير وصار بده اياها لكن مش مستجري يفاتحها بهذي السيلة • هذا قال لمرته يا بنت الناس ! بدي منك تجيبي لي حمدة تقضي غرضي منها والا قتلتك • الروح عزيزة قالتله طيب • وين اجيب لك اياها ؟ قال الليلة جيبيها عالواد في ضو هالقمر في الواد قالت الها انا عمري ما قطعت في هالميعاد وان دري ابي اخوي بذبحني قالت الها مين شايفنا في هالليل ولحت عليها قامت راحت معها عالواد مطرح ما جوزها متخبي لمن وصلن هناك شلحت حمدة ثيابها وبدها تطيح في المي • قامت مرت سعيد ابعدت عنها اسمنها بدها تقضيي غرضها • هذيك الساعة اجا سعيد دوس دوغري ودبك عليها ، وهذي تحامي عن حالها •

(١٠) المرة مهما كانت بتظل ضلع قاصر قوي عليها وصار بده يوخذها قامت هذي صاحت : وين ابن الحلال اللي يحمي عرضي ويؤخذ مني مهما طلب • باقي هذا الشب متخبي قربهم وسعيد مالوش علم ابه لمن سمع هذي بتطلب الفرج جبد سيفه وجا فازع على سعيد ضربه بالسيف قطع رأسه •

(١١) هذي لمن شافت هذا

لبست وقالتله : الله وداك تتحمي عرضي اطلب واتمنى • هذا قاللها عن غرضه قالت له تعال تعطيك الفرس ومع السلامة • هذي فكت قيد هالفرس وشدت عليها وسلمته لجامها وقالت له اصحى الفرس صار الها اكثر من عشرين يوم ما حدا على ظهرها • اصحى ترميك : قاللها مش همك • هذا حط بظهرها وقال يا ارض خليلي : وهذي صارت تسابق الريح • ساق بيجي ساعة زمان •

(١٢)اجا على خربة اسمها بير الحمام • طارت منها حمامة قامت جفلت الفرس ووقعته فيها • الفرس الاصيل بتعرف دارها قامت هذي روحت لمن شافتها حمدة قالت آه هذا وقع قامت ركبت هالفرس وراحت • لمن وصلت بير الحمام نادته قام رد عليها منه قامت ربطت هالفرس ودلت له هالرمة تتنشله وسحبته لمن صار على حفة الحربة • زقط باجرها ونتع حاله قامت زحلقت ووقعت هي واياه فيها كيف نعمل كيف نسوي ؟ •

(١٣) شوي الا وابن عمها خطيبها مارق من هناك لمن شاف الفرس واقفة وحدها تعجب وقدم عالبير وسيل مين جواه ؟ قالت انا حمده قالها مع مين بتحكي ؟ قالت مش مع حدا هذه صدى صوتي اللي اسمعته • شو جابك لهان ؟ قالتله وقعتني الفرس • هذا لمن دلالها الحبل قالت لابن الامير خذ البس ثيابي واطلع قبلي اسمنك انا ليش ان دري فيك بقتلك قام هذا لبس حوايجها • ولمن سحبه وطلع غافله وقطع راسه •

(١٤)عقبين هذا سحب البنت وطلعها وركبها وراه وروح على عربه وما مرقش عن ابن سعود • وقال في عقله بنت عمي مش رايحا تكون احسن من هذي • وليش تقتل هالزلمة الكريم • هذا روح ابها وبالفرس وما خلاش حدا يدرا بيهم •

(١٥) يرجع نص الكلام للامير ابن حمدان • هذا لمن طلع النهار اجت العرب تشرب قهوة • صاروا بتوشوشو • قال الأمير شو الدعوى قالوا مسعود مقتول في الواد • بعد شوي اجو ناس وقالوا • حمدة اخت الامير والفرس مش مبينين • اخرى شوي اجو رعيان وقالوا ابن اخو الامير مقتول على بير الحمام هذا ركب خمس ميت خيال ورا ابنه وراحوا يدوروا على حمدة لفوا على الامير ابن اسعود وسايلوا عن البنت • قال ما حدا اله علم ابها • هذا ظل يسيال من عرب لعرب توصل لدار الامير • هذا سيال عن البنت • قالله البنت عندي ودعوتها بيلا بيلا بيلا • قام ودا ورا ابوه وأملكوا لهذا عليها واعطوه اخرى بنت عمه • وقصتي حكيتها وفي عبك خبيتها •

الطبيب الشعبي

الشيخ عبد الطريفي

بقلم
محمد هزاع الدويري

مقدمة :

منذ ان وجد الانسان على سطح هذا الكوكب وهو في صراع مستمر مع الطبيعة بقصد تسخيرها لخدمته وخدمة اغراضه العديدة ، فقد كان يقاوم كل ما يواجهه من اخطار تهدد استمرار وجوده ·

ان صراع البقاء هذا قد تعددت اساليبه وتنوعت ، فعوامل البيئة الخارجية مثل البرد والحر وخطر الوحوش المفترسة ، وما الى ذلك من الظروف التي املتها قسوة الطبيعة على الانسان فرضت عليه معالجات لهذه المشاكل ·

وكانت له قصة مريرة مع الطبيعة ليست هي مدار بحثنا ، ولكنه لم يال جهدا في سبيل بقائه من رصد الظواهر لاستخلاص النتائج والتامل طويلا والبحث عن مخارج لما يعترضه من عقبات ·

ولما كانت ـ الحاجة ام الاختراع ـ فان الطب املته حاجة الانسان الملحة الى التخفيف من آلامه واوجاعه ·

ان قصة الانسان مع الطب موغلة في القدم ، وهناك العديد من الآراء التي تدور حول بداية الطب وكيفية نشوءه · والذي يعنينا هو أن الانسان لجأ في باديء الامر الى السحر والشعوذة اعتقادا منه بأن هنالك ارواحا شريرة تسكن جسم الانسان لا بد من طردها كي يشفى المريض من مرضه ، كما اعتقد بغضب الآلهة ـ تلك التي آمن بها واتخذها ربا له يعبدها ويقدم لها القرابين فداء واتقاء لنقمتها ـ فجعل منها سببا لحدوث الأمراض والعاهات ·

وفي غمرة التخبط هذه كان لا بد للانسان من مواجهة عملية فعالة لما يجتاحه من امراض فتكت به واخذت تهدد حياته وتنغص عليه عيشة ·

فاخذ باستعمال الحشائش والأعشاب وانواع كثيرة من النباتات البرية واستخلص منها الادوية كالعقاقير والاشربة وما الى ذلك ··· وقد أفاد من خلاصتها في مداوة جروحه لوقف نزيفها ومعالجة ما امكنه من امراض تلم به ، فكانت الارض بنباتاتها صيدلية الانسان الأولى والوحيدة ·

ولا يسعنا في معرض حديثنا هذا الا أن نؤكد أن الطب الشعبي كان بداية الطريق لطب العصر الحديث ، وكان لتجارب الاسبقين فائدة كبيرة لمن تلاهم من علماء ، كما أن الطب العربي احد الفنون الشعبية التي تحتل مكانة مرموقة والتي مازالت تمارس حتى اليوم على نطاق واسع لدى الأوساط الشعبية وما ينبثق عنها من اوساط نصف متدينة .

الشيخ عبد المعطي الطريفي :

حياته :

ولد الشيخ الطريفي سنة ١٩٢٩ في قرية دير طريف وهي من قرى فلسطين . وعندما كان شابا عمل مع الجيش البريطاني في فلسطين آنذاك ، وقد ترقى كي يعمل نجارا بعد أن اكتسب بعض الخبرة اثناء عمله من ملاحظاته لسير العمل في هذه المهنة .

وبهذه الطريقة استطاع أن يتنقل الى اماكن عديدة ليعمل في كل مرة بمهنة تختلف عن سابقتها ، ومن المهن العديدة التي اشتغل بها .. حدادا في مصنع للسكب وبندقجي عند احد اصحاب هذه الحرفة من الاجانب الوافدين الى فلسطين في ذلك الوقت .

ومن ثم عاد الى قريته دير طريف ، وانضم الى والده الشيخ محمود جاد الله الذي كان يعمل جزارا في القرية ، كما عمل ايضا في صناعة الاحذية ، واستطاع أن ينشيء دكانا لهذه الغاية في مدينة رام الله .

وفي عام ١٩٦٨ خرج نازحا الى شرق الاردن واستقر في مدينة الرصيفة .

أما عن ممارسته لمهنة الطب العربي فقد حدثنا الشيخ الطريفي أنه اخذ طريقته في المداواة العربية — وهي الطريقة القادرية — عن والده الذي كان صوفيا لا يكترث بامور الدنيا ، وقد بدأ عمله كطبيب شعبي في اواسط الخمسينات من هذا القرن .

وسنستعرض فيما يلي بعض الامراض عند الانسان بشيء من التفصيل لكل من اعراضها واسبابها وكيفية علاجه لها .

العقم :

العقم من الامراض التي تحتل مكانة بارزة في الوسط الشعبي لما يوليه الناس في هذا الوسط من اهمية بالغة لقضية انجاب الاطفال وخاصة الاولاد منهم ، والعقم يختلف عند الرجل عنه عند المرأة ، فلكل منهما حالته المستقلة والتي تختلف في اسبابها واعراضها وطرق علاجها الشعبي وسنتعرض فيما يلي لكل من هذه العناصر .

١ ـ اسباب العقم عند الرجل :

تتعدد الاسباب التي تؤدي بالرجل الى العقم ومنها :

أ ـ ان يتعرض لضربة او صدمة في جهازه التناسلي .

ب ـ ان يتعرض لضربة شديدة في منطقة الظهر تسبب انزلاقا غضروفيا في عموده الفقري .

جـ ـ العيش في الاماكن الرطبة لما للبرودة من تأثير يتعلق بالعقم ٠

د ـ حالـة الخوف الشديد ٠

٢ ـ اعراض العقم عند الرجل :

من الاعراض الناتجـة عن هـذا المرض والتي تساعد في عملية الكشف عن علاج لهذه الحالة :

أ ـ ضعف في قوة الانتصاب ٠

ب ـ قذف الحيوانات المنويـة قبل بدء عملية الجماع ٠

جـ ـ ان يقذف الرجل حيواناته المنوية باقصر وقت اثنـاء عمليـة الجماع ٠

د ـ حدوث حرقة في البـول بعد عملية الجماع ٠

٣ ـ التشخيص :

والتشخيص هنا عبـارة عن تجربة بدائية يقوم بها المريض بناء على تعليمات الطبيب الشعبي للوقوف على حالة المريض الصحية ومدى تمكن المرض منه ليتسنى لـه معرفـة الاسباب وتحديد العلاج ٠

وتتم التجربة بـأن يحضر المريض وعاء نظيفا من الفخار يملأه بالماء ، ويقذف بـه حيواناته المنوية فور انتهائه من عملية الجماع ، ثـم يغطى فوهة الوعـاء بقمـاش أبيض (تـل) ويضعه مكشوفا في العراء ـ ولهـذه الخطوة تفسيرها حيث يعتقد الشيخ الطريفي أن وضع الوعاء في العراء دون أن يعلوه سقف ، له علاقة بالنجوم السيارة ، ويضيف أن العمليـة لا تعطي نتائجها الا بهذه الطريقة ـ ٠

وفي صباح اليوم التالي وقبل طلوع الشمس تكـون التجربـة في مرحلتها النهائية ٠ فـاذا كـانـت الحيوانات المنوية طافية على سطح الماء ، كان المريض عقيما لافائـدة ترجى من علاجه ٠ اما اذا غمـرت الحيوانات المنوية بالماء وتوسطت الارتفاع المائي ، كان المريض مصابا بالرطوبة ٠

وفي هذه الحالة يمكن علاجـه ويكون الأمل قويا في شفائه ٠

٤ ـ العلاج :

والعلاج هنا يتالف من مجموعة عقاقير هي :

(سكنقور(١) ، عنبر ، حب بهار لسان عصفور(٢) ، خولنجـان(٣) ، بزر فجل سنوي(٤) ، جوزة الطيب ، جـوزة الشرك ، فلفـل ابيض(٥) ، حوائـج طربـة(٦) قرنفـل ، دار صيني(٧)) ٠

تخلط هذه العقاقير بعضهـا ببعض بنسب معينة لكل مادة ، ثـم يضاف اليها كمية من عسل النحـل الصافي وبعد مزجها تزال الرغـوة الناتجة عن عملية الخلط لانها تضر بجسم الانسان ٠ ويأخـذ المريض بتناول كمية تقدر بسعة معلقة كبيرة من هذا المزيج على ثلاث فترات يوميا في الصباح والظهر والمساء وقبـل تناوله لوجباته اليومية ٠

اما الحالة الثالثة وهي رسـوب

الحيوانات المنوية في قعر الاناء فتكون بذلك دلالة قاطعة على خلو الرجل من المرض وصلاحيته التامة للمشاركة في الانجاب · وفي هذه الحالة تكون الزوجة هي مدار البحث والتمحيص ·

١ ـ سبب العقم عند المرأة :

وكما اسلفنا من اسباب تتعلق بالرجل فللمرأة ايضا اسبابها ،ومن هذه الاسباب :

أ ـ أن تتعرض المرأة للرطوبة الشديدة عند ولادتها ·

ب ـ أن تقوم بعمل منزلي ـ كالغسل مثلا ـ وتبذل خلاله جهدا تعرض بعده جسدها (شبه العاري) لتيار هوائي بارد فيتسرب الى رحمها عن طريق المبيضين ريح يسمى (ريح نفاس) ·

٢ ـ اعراض العقم عند المرأة :

أ ـ أن تصاب بانتفاخ المفاصل ·

ب ـ أن تصيبها حالة تقريص في نهديها ·

ج ـ تغير لون الوجه وشحوبه ·

د ـ تغير طعم الفم ·

هـ ـ اصابتها بالمغص المعوي ·

٣ ـ علاج العقم عند المرأة :

تحضر مجموعة من العقاقير هي : (يانسون ، قرفة،كزبرة) وتخلط مع عسل النحل الصافي ، ولا يفوتنا أن نزيل الرغوة الناتجة عن عملية الخلط · وتبدأ المرأة المصابة بتناول علاجها على ثلاث فترات يوميا وبالكمية والكيفية المذكورة في علاج العقم عند الرجل ·

العصبي :

وهذا المرض من الامراض العصبية ، ويسميه الطب العربي (ريح) ـ أي من الارياح الغليظة ـ ·

١ ـ سبب المرض :

ان هناك عدة اسباب تؤدي لمثل هذه الحالة منها :

أ ـ التنويع في اصناف الاكل ·

ب ـ التعرض لتيار هوائي بارد (لفحة هواء) ·

ج ـ البرد ·

ي ـ النوم في الاماكن الرطبة ·

٢ ـ اعراضه :

من الاعراض التي تعطينا دلالات تساعد في تشخيص هذه الحالة :

أ ـ الم الايدي والارجل ·

ب ـ الم العصعص (صلب الانسان) ·

ج ـ الم العمود الفقري ·

د ـ الم اعصاب الظهر · ويطلق عليها اسم (شروش البرد) والعصب يسمى (الوثاب) ·

٣ ـ العلاج :

يتم تحديد العلاج في هذه الحالة حسب مصدر الألم فاذا كان المرض ناجما عن الم في المفاصل كان العلاج كالتالي :

مجموعة من العقاقير تضم : (روح القرفة ، روح النعنع ، زيت زعتر ، زيت الزقوم(٨) ، روح البلسم(٩) ، زيت قرحة ، روح اليانسون ، قليل من مادة الكاز ، زيت زيتون) ·

تحضر هذه المواد وتخلط مع بعضها بمعايير ثابتة وذلك بمعرفة الطبيب الشعبي كما تزال الرغوة الناتجة عن عملية الخلط ٠

اما اذا كان المرض ناتج عن الم في صلب الانسان او في عموده الفقري او في العصب المسمى (بالوثاب) فيكون العلاج على النحو التالي :

(عنبر ، سنقور ، جوزة الطيب ، جوزة الشرك ، بز فجل سنوي ، حب بهار ، قرنفل ، دار فلفل ، دار صيني خولنجان ، فلفل ابيض ٠)

وتخلط هذه العقاقير بعضها ببعض بنسب معينة تحددها الحالة الصحية للمريض ويضاف الى كل ما سبق كمية اخرى من عسل النحل ويبدأ المريض بتناول دوائه على فترتين يوميا ٠ في الصباح والمساء ٠

مرض المعدة :

١ ــ سبب المرض :

ينتج الم المعدة عن عاملين اساسيين هما :

أ ــ ان يتعرض الانسان لبرد شديد ٠

ب ــ حالات الغضب الحاد ٠

ج ــ تعاطي الخمور والادمان عليها ٠

٢ ــ العلاج :

يتكون العلاج في هذه الحالة من المواد التالية :

أ ــ كزبرة مطحونة ٠

ب ــ قرفة مطحونة (نخب أول) ٠

ج ــ يانسون مع شومر ٠

د ــ شومر مطحون ٠

تخلط هذه المواد بنسب معينة ويضاف اليها عسل النحل الصافي

ويتناول المريض من هذا المزيج كمية تقدر بسعة ملعقة كبيرة ويكون ذلك قبل وجبتي الاكل الصباحية والمسائية ٠

أما القرحة التي تصيب المعدة فيتم علاجها كالسابق مع الاستمرار بتناول العلاج مدة طويلة والابتعاد عن (المغلظات) ، وتتكون هذه من (الفول ، الحمص ، العدس ، المقالي المخلل) ٠

تقطير البول (حصر البول) :

هنالك حالات عديدة تندرج تحت هذا النوع من المرض منها حصر البول البسيط وحرقة البول والرمل والحصوة ، كما أن أسبابا عديدة تتسبب في هذه الحالات منها :

أ ــ شرب الماء العكر ٠

ب ــ تعرض الانسان لبرد شديد ٠

ج ــ الاستحلام ٠

ي ــ غسل الاعضاء التناسلية بالماء البارد بعد عملية الجماع ٠

١ ــ علاج حصر البول البسيط :

أ ــ بقدونس ٠ وتستعمل خلاصتها بعد أن تغلى بالماء على النار ٠

ب ــ ذرة بيضاء ٠ وتستعمل بعد أن تغلى حبوبها بالماء ٠

٢ ـ علاج الرمل والحصوة وحرقة البول :

أ ـ اجرية حمامة مجففة(١٠) ٠

ب ـ بزر الخلة ٠ وتستعمل خلاصته بعد غليه بالماء ٠

جـ ـ زيت الزيتون ٠ ويتناول المريض منه كمية تقدر بسعة فنجان متوسط الحجم يوميا وقبل تناولـه لوجبته الصباحية ٠

الأزمة الصدرية :

ان الاسباب المؤدية لحدوث الأزمة الصدرية هي غالبا ما تكون نتيجة لفحة هوائية شديدة ، كأن يكون جسم الانسان ساخنا ويتعرض لتيار هوائي بارد ، أو أن يتعرض لهذا التيار بعد أن يكون قد بذل جهدا جسميا كبيرا ٠

كما يشكل التدخين احد العوامل الهامة في حدوث الأزمة الصدريـة ٠ وسنتعرض لعلاج كل حالة على انفراد ٠

أعراض الأزمة الصدرية :

أ ـ السعال الحاد ٠

ب ـ التهاب الرئة ٠

جـ ـ ألم الظهر ٠

علاج الأزمة الخفيفة :

تعالج هذه الحالة بأن يشرب المريض كمية معينة من زيت السيرج في الصباح ودون أن يتناول أي طعام ٠

علاج الأزمة المزمنة :

أ ـ شراب البنفسج : والبنفسج هو زهر شجرة البنفسج التي تنبت في البراري ، فيغلى زهرها على النار وبعد تصفية الماء الغالي ، تضاف اليه كمية من السكر ثم يعاد غليه حتى يصبح مادة لينة ٠ وتستعمل هذه الخلاصة كشراب قبل الفطور ٠

ب ـ ورق الجوافة : وتستعمل خلاصته بعد غليه بالماء ٠

جـ ـ قشر الموز : كما تستعمل خلاصته بعد غليه بالماء ٠

علاج الأزمة الصدرية الناتجة عن التدخين :

نحضر زغلولين من الحمام (والزغلول هو طير حمام لا يتجاوز عمره الاسبوعين) ٠ وبعد ذبحهما وتنظيفهما نضعهما في اناء محكم على نار هادئة ، ودون اضافة ملح ندعهما حتى ينسلخ اللحم عن العظم ، ثم يأخذ المريض بالشرب من ماء الطبخ متى اشتهى ٠

علاقة الطب الشعبي بعلم الفلك :

لعلم الفلك علاقة جد وثيقة بالطب الشعبي ٠ ويتأتى هذا الارتباط من اعتماد الاخير في تشخيصه لاسباب المرض وتحليله لعناصره بغرض تحديد العلاج مستخدما بذلك حساب الابراج ومعرفة طبائع الانسان والكشف عن اسم اليوم لاالتاريخ الذي وقع فيه المرض ٠

وسنلقي فيما يلي بعض الضوء على هذه القضايا ٠

استخراج برج الانسان :

روى الشيخ الطريفي أن لكل حرف من حروف الهجاء العربية رقم

يقابله هو قيمته العددية . وقـد اورد لنا قائمة بالاحرف وما يعادلها من ارقام وهي كالتلي :

الحرف	الرقم	الحرف	الرقم	الحرف	الرقم	الحرف	الرقم
أ	١	د	٤	ض	٨٠٠	ك	٢٠
ب	٢	ذ	٧٠٠	ط	٩	ل	٣٠
ت	٤٠٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠	م	٤٠
ث	٥٠٠	ز	٧	ع	٧٠	ن	٥٠
ج	٣	س	٦٠	غ	١٠٠٠	ه	٥
ح	٨	ش	٣٠٠	ف	٨٠	و	٦
خ	٦٠٠	ص	٩٠	ق	١٠٠	ي	١٠

كما أورد قائمة اخرى بالأبراج مرتبة حسب الرقم المتسلسل :

الرقم	البرج	الرقم	البرج	الرقم	البرج
١	الحمل والمريخ	٥	الاسد والشمس	٩	القوس والمشترى
٢	الثور والزهره	٦	السنبله وعطارد	١٠	الجدي وزحل
٣	الجوزاء وعطارد	٧	الميزان والزهرة	١١	الدلو (الداي) وزحل
٤	السرطان والقمر	٨	العقرب والمريخ	.	الحوت والمشتري

وعن كيفية استخراجه لبـرج الانسان فان ذلك يتطلب معرفـة اسم الشخص المراد استخراج برجه واسم والدته . فيـدون الاسمين في سجلـه بحروف متقطعـة ، ويبدأ بمقابلة الأحرف بالأرقام ، ثم يجري عملية جمع يقسم بعدها الناتج عـلى رقم (١٢) وذلك لأن عدد الابراج اثني عشر برجا . وهنا نهمل النتيجة من عملية القسمة ونعتمد الباقي لمعرفة البرج .

ولنورد مثالا على ذلك :

اسم الشخص : محمد .

اسم والدته : رحيمة .

نقطـع احرف الاسمين ونقابلهـا بالأرقام .

م + ح + م + د

٤٠ + ٨ + ٤٠ + ٤ = ٩٢

ر + ح + ي + م + ه

٢٠٠ + ٨ + ١٠ + ٤٠ + ٥ = ٢٦٣

المجموع الكلي = ٣٥٥

نقسم المجموع على (١٢)

ونعتمد الباقي وهو (٧)

والرقم (٧) هو الرقـم المتسلسل لقائمة الابراج حيـث يقابلـه برج

الميزان والزهرة .

وفي حالة كون الشخص المراد استخراج برجه مريضا ، نلجأ الى تقسيم المجموع السابق (٣٥٥) على رقم (٧) وهو عدد ايام الاسبوع وذلك لمعرفة اليوم الذي حدث به المرض وهنا ايضا نهمل الناتج ونعتمد الباقي من العملية وهو رقم (٥) ، وهذا هو الرقم المتسلسل لأيام الاسبوع ويقابله يوم الخميس كما هو مبين في القائمة التالية :

اليوم	الرقم
الاحد	١
الاثنين	٢
الثلاثاء	٣
الاربعاء	٤
الخميس	٥
الجمعة	٦
السبت	٠

ويضيف الشيخ الطريفي أن لكل يوم من ايام الاسبوع مزاياه الخاصة التي تساعد في معرفة المرض واعراضه .

١ ـ اعراض مرض يوم الأحد :

أ ـ حالات سخونة وبرودة متوالية .

ب ـ اشتهاء الطعام ثم النفور منه .

ج ـ سخونة في الرأس .

د ـ جفاف الحلق .

هـ ـ التصرف بعصبية .

و ـ اصفرار في لون الوجه .

ز ـ تصبب العرق بلا سبب .

ح ـ خوف ورهبة .

٢ ـ اعراض مرض يوم الاثنين :

أ ـ الم المفاصل .

ب ـ الم الظهر .

ج ـ القلق اثناء النوم .

د ـ فقدان الوعي بين حين وآخر .

هـ ـ ثقل في الرأس .

و ـ سريان المرض في الجسد كدبيب النمل .

٣ ـ اعراض مرض يوم الثلاثاء :

أ ـ صعوبة التنفس .

ب ـ ثقل في الرأس .

ج ـ الم البطن .

د ـ التصرف بعصبية .

٥ ـ اعراض مرض يوم الخميس :

أ ـ الم المفاصل .

ـ الم العضلات .

ج ـ الم البطن .

د ـ الم الرأس .

هـ ـ الم الاسنان .

و ـ السلوك بعصبية .

٥ ـ اعراض مرض يوم الخميس :

أ ـ الم القلب .

ب ـ الم المعدة ·

جـ ـيسود الجسم حالة خمول عام ·

د ـ الشعور بحمل شيء ثقيل

٦ ـ اعراض مرض يوم الجمعة :

أ ـ الم القلب ·

ب ـ الم الرأس ·

جـ ـ الم العصعص ·

د ـ الم المعدة ·

٧ ـ اعراض مرض يوم السبت :

أ ـ تعكير الدم ·

ب ـ الم حاد في الرأس ·

جـ ـ الم المفاصل ·

د ـ الم العصعص ·

هـ ـ السلوك بعصبية ·

الطبائع :

حدثنا الشيخ الطريفي أن للبشر اربع طبائع ، هي الطبع الناري والطبع الترابي والطبع الهوائي والطبع المائي · واورد لنا القائمة التالية بالطبائع ·

الطبع	الرقم
الناري	١
الترابي	٢
الهوائي	٣
المائي	•

واضاف أن الكون مؤلف من عناصر أولية هي النار والتراب والهواء والماء ، والتسميات الشعبية لهذه العناصر هي على الترتيب ، الحرارة والبيبوسة والبلغم والرطوبة وعناصر الكون هذه تشكل طبائع الانسان ، حيث أن لكل طبع منها خصائصه التي تميز بني البشر ، وهو بذلك يعتمد على الصفات التي تندرج تحت هذه الطبائع لمساعدته في عملية فهم الكثير من الامراض ·

١ ـ خصائص الطبع الناري :

أ ـ صعب المراس ·

ب ـ قوي العزيمة ·

جـ ـ الشراسة ·

د ـ سيىء الاخلاق ·

هـ ـ عدم كتمان السر ·

و ـ الافتقار الى المال ·

٢ ـ خصائص الطبع الترابي :

أ ـ غيور على من يعاشره ·

ب ـ محب للنساء ·

جـ ـ مكروه من قبل اهله وأقاربه وجيرانه ·

د ـ غير محظوظ مع اصحابه ·

هـ ـ مبذر للمال بسبب ولعه بالنساء ·

و محب للسفر والترحال ·

ز ـ مظلوم من قبل النساء والزوجات لأنه يعاملهن بلين وهن ينظرن اليه بعين المكر والخديعة ·

٣ ـ خصائص الطبع الهوائي :

أ ـ متردد في سائر افعاله ·

ب ـ كثير الثرثرة ٠
ج ـ محب للهو والمرح والجنس
د ـ غير حقود ٠

٤ ـ **خصائص الطبع المائي :**

أ ـ هادىء الاعصاب ٠
ب ـ سريع الغضب احيانا ٠
ج ـ مستقيم في مسلكه ٠
د ـ مكثر من النوم واحلام اليقظة ٠
هـ ـ محظوظ في اعمال التجارة
و ـ تأثيره على جيرانه كبير ٠
ز ـ مطاع من الجميع ٠

وعن كيفية معرفة طبع الانسان فاننا نقسم المجموع الكلي في المثال السابق على رقم (٤)، وهذا الرقم هو عدد طبائع الانسان كما ذكرنا ٠ وهنا أيضا نهمل الناتج ونعتمد الباقي ثم نقارنه بقائمة الطبائع التي اوردناها٠

ومن الحالات المرضية الغريبة حقا ، ما كان من أمر الشيخ الطريفي عندما دعي لمعالجة فتاة في احدى قرى رام الله ، وكان ذلك سنة ١٩٥٧ ٠

وسنورد الحكاية باسلوب الكتابة الصوتية ، وذلك لتوضيح اللهجة المحلية ولما في ذلك من مراعاة لاسلوب البحث الفولكلوري وانضباط بقواعده ٠

يوم أنا كنت قاعد في بيتي في مخيم الأمعري في رام الله ٠ والا اثنين ارجال بسئلوا عني ٠

قالوا : انت الشيخ عبد ؟

قلت : نعم أنا الشيخ عبد ٠

قالو لي : في عنا(١١) بنت امريضة(١٢) ٠٠ اتفضل(١٣) معانا(١٤) رحت(١٥) معاهم ، ولما أقبلت على البيت في قرية اصغيرة من قرى رام الله ٠٠ والا مجموعة ناس كثيرين ٠٠ والا ها(١٦) البنت واقفة أو(١٧)في ايدها بلطة(١٨) ، أو بتقول والله اللي(١٩) بقدم(٢٠) علي لأكصعة(٢١) في هالبطة ، أو هي عارية الأثياب(٢٢)٠

فأنا اعتجبت(٢٣) من ها لأمر ٠ أوقفت ٠٠ أو قلت : يا اخوان البنت بنتكم والعرظ(٢٤) عرظكم ، خافوا الله وابتعدوا عن هالطريق الناس سمعوا أو راحو ، الغريب روح والقريب ظل ٠

قلت : يا اخوان هاتولي حطب لوز ٠

جابولي(٢٥) شوية(٢٦) حطب أولعنا(٢٧)ها النار حتى صارت جمر حطيت(٢٨) عليها شوية بخور من اللي ريحته زكية ، أو بديت(٢٩) اقرأ في سورة ياسين ٠ بعد ما تممت صورة ياسين قريت(٣٠) صورة الزلزلة والا البنت نزلت٣١ البلطة من عن كتفها على الأرض أو حطت ايديها على فرجها(٣٢) ، سترت على نفسها ٠
بعدين(٣٣) قمت ع البنت واقتربت منها أورميت عباتي عليها ٠ ف ظلت ساكته أو ماحكت ابدا ، أخذت البلطة أورميتها ٠ قلت لامها : تعالي اجت(٣٤) امها ٠

قلت الها : لبسي هالبنت ٠

لبستها ، والا البنت بتقول : بدي(٣٥) أنام ٠ نامت البنت ، واحنا جلسنا ٠

قالوا هالناس اللي قاعدين : مالها(٣٦) هالبنت ، ٠٠ ليش صار

فيها هيك[٣٧] يا شيخ ؟

قلت : ما بعرف ، لكن نسأل الله انه يهدينا على الصواب بعدين بديت أقرأ صورة الواقعة الكريمة ، أو بعد ما تليت صورة الواقعة بديت اقرأ في (عزيمة البرهتية[٣٨]) والا البنت بتصيح ·· حرقتني ··· ذبحتني · أنا بلجت[٣٩] ، قلت في عقلي شوهاظا[٤٠] ·

قلت : ليش حرقتك ·· أنا ما انا صايبك[٤١] ·· ليش بتصيحي ؟

قالت : حرقتني بأسامي الله وآياته والقرآن الكريم ·

قلت أنو[٤٢] ؟ انتي اللي بتحكي ؟

قالت : لا أنا الجانية[٤٣] شمس

أنا صفنت[٤٤] والحاظرين صفنوا وقسم منهم شرد[٤٥] ·

قلت ليش انتي عملتي فيهاي البنت هيك ·· شو اللي عندها ؟

قالت : احنا في عنا عرس في المغارة اللي في باب الدار تحت شجرة اللوز اللي انت أوقدت من حطبها ·

واحنا في العرس والا ابني بيصيح ، ارجعت على ابني ، والا كابة[٤٦] على راس الولد (سلق مية[٤٧]) الرز ، من الخرزق[٤٨] اللي عند الدرجة الأولانية[٤٩] قدام باب البيت ·

قلت : أوبعدين شو سويتي[٥٠]

قالت : اخذته للطبيب ·

هونا أنا بدت عندي الرجولة لأني كنت خايف من هل الانزعاج اللي حصل · أوبديت مرة ثانية في البرهتية · صاحت مرة ثانية : حرقتني ··· بكفي يا شيخ ·

قلت الها : اذا انتي صادقة في اللي قلتيه ، روجي أو جيبي الطبيب لحظة مرت الا الطبيب بقول : نعم يا شيخ ··· ماذا تريد مني ؟ ·

قلت له : اللي حكته شمس صحيح عن ابنها ؟ ·

قال : نعم ·

قلت : والحل ·

قال : له مهلة اربعين يوم ويشفى انشاء الله ·

قلت : معلش[٥١] ·· شكرا ·· جعل الله سعيك مشكورا أو ذنبك مغفور ·

هل ممكن انك اتساعدني على ها لمشكلة ؟ ·

قال : انشاء الله ·· ماذا تريد ؟

قلت : هاذي شمس بدنياها[٥٢] تبعد عن ها الصبية ·

سألها الطبيب انها تبعد عنها · والناس حاظرة تسمع الكلام لكنها ما بتشوف[٥٣] ·

قالت : أبدا ·· الا اقظي[٥٤] عليها تايطيب[٥٥] ابني ·

اتوسطنا معاها ، صارت تطلب نذبحلها بقر وخرفان · آخر مرة طلبت نذبح خروف وانفرقه على الفقرا ·

قلت الها : طيب[٥٦] ، ارحلي عن هاذي الدار أو عن هاذي البنت ولا تقربيها ·

برظه[٥٧] عزمت بالبرهتية مرة ثالثة ·

قلت الها : ابتعدي بكل طريق وبكل وسيلة .

قالت اذا شفتها برة في خارج الدار غير اقتلها .

قلت الها اذا شفتيها بره اللي دكياه(٥٨) سويه .

قال الطبيب : لأ مش هاظا الشرط .

قلت له : والا ايش الشرط ؟ .

قال : الشرط عليها انها تلزم بيتها اربعين يوم احترام للعهد .

والسلام عليكم .

راح الطبيب أوظلت هيه ، طلعت أوصارت تحكي من بره .

او بعدين أنا عزمت عليها بالبرهتية . شردت أوصاحت :

حرقتني ... حرقتني ... حرقتني أوراحت . بعدين كتبت حجاب فيه آيات من القرآن الكريم واسماء الله الحسنى ، الآية كانت – آخر صورة الحشر والبرهتية – بعدين علقت لحجاب على البنت قامت البنت صحيت .

قالت : اشهد أن لا اله الا الله ليش هاالناس مجموعين عنا ؟ .

قالت أمها : يمه ما في اشي .. هاظا عمك الشيخ اجا يزور ابوك .

قعدت البنت لكن مش صاحية (كل هالقد)(٥٩) .. تعبانه شوية .

قلت الها : يابنتي نامي .. شوبدك بها الدوشة(٦٠) .

قلت لأمها : سويلها كاسة ليموناظة(٦١) لانه دمها مخبوط(٦٢) .

فعلا سوت الها كاسة لموناظة أوشربتها البنت . وانا كتبت حجاب ثاني – كتبت فيه نفس الآيات – أوعلقته على باب الدار .

قلت للناس القاعدين أولأمها : هي انتو اسمعتوا بذنيكوا(٦٣) شو اللي صار ، احجزوا البنت لا تخلوها(٦٤) تطلع بره .

وأنا يوم الاربعين برجع عليكم . بعد الاربعين يوم أنا جيت ، رحت قلت للبنت : قومي اطلعي بره تشوف .

طلعت البنت اوما حصل شي . راحت ملت(٦٥) جرة مي واجت ، بعدين طلبت الجنية با سمها شمس

قلت : يا شمس .

قالت : نعم .

قلت الها : كيف ابنك .

قالت : ابخير والحمد لله .

راحت جابت توفي أوصارت تفرق(٦٦) على الناس ، وأكلنا منه وكل انسان راح في سبيل حاله .

---

(١) حيوان بري زاحف صغير الحجم وموجود في بلاد الهند والحجاز .

(٢) شجر يثمر ما يشبه الكراوية . (٣) وهي جذور شجرة الخولنجان .

(٤) بزر فجل عادي لا ينبت سوى مرة واحدة على مدار العام .

(٥) شجر بري يشبه شجر الصنوبر . (٦) نبته برية .

(٧) فلفل حجازي .

(٨) الزقوم شجر يثمر ما يشبه الزيتون وموطنه بلاد الهند والمغرب العربي •

(٩) شجر بري •

(١٠) نوع من الاعشاب ذات شكل دائري لاينبت الا في الارض البيضاء (الحور) •

(١١) عندنا • (١٢) مريضة •

(١٣) تفضل • (١٤) معنا •

(١٥) ذهبت • (١٦) هذه •

(١٧) و • (١٨) اداة حادة لقطع الخشب •

(١٩) الذي • (٢٠) يقترب •

(٢١) اضربه • (٢٢) الثياب •

(٢٣)تعجبت • (٢٤) العرض (بكسر العين) •

(٢٥) احضروا • (٢٦) بعض من •

(٢٧) اشعلنا • (٢٨) وضعت •

(٢٩) بدأت • (٣٠) قرات •

(٣١)أنزلت ، أخفضت • (٣٢) عورتها •

(٣٣) بعد ذلك • (٣٤) جاءت •

(٣٥) اريد • (٣٦) ما بها •

(٣٨) اسم شعبي يطلق على مجموعة اسمـاء الله الحسنى •

(٣٩) ذهلت ، دهشت • (٤٠) ما هذا •

(٤١) من صاب ، يصيب أي يمس • (٤٢) من هو •

(٤٣) انثى الجان • (٤٤) اصغيت •

(٤٥) هرب • (٤٦) ساكبة •

(٤٧) ماء غالي • (٤٨) ثقب •

(٤٩) الاولى • (٥٠) فعلتي •

(٥١) لا بأس • (٥٢) تريدها •

(٥٣) ترى • (٥٤) أقضي •

(٥٥) حتى يشفى • (٥٦) حسنا •

(٥٧) ايضا • (٥٨) تريدية •

(٥٩) الى هذا القدر • (٦٠) جلبة ، ضجيج •

(٦١) عصير الليمون • (٦٢) معكر •

(٦٣) بآذانكم • (٦٤) تدعوها •

(٦٥) ملأت • (٦٦) توزع •

ENGLISH SUMMARY

By : Faruk Jarrar

Fur Industry and Tent Weaving In Homs (Syria) **By : Majid Al-Mousily**

The author describes in detail the tools used in the fur industry and tent weaving in Homs in the Syrian Arab Republic; photos of different tools are shown. He also analyzes the different stages of work and gives us the popular names for each stage.

Preface to the Study of Folk Medicine **By : Dr. Hani Al-Amad**

This is a historical review of popular medicine in the Roman and Arab periods with examples of primitive practices in this field. The author believes that contemporary popular medicine is a continuation of the primitive human experiences of past ages, and that man even imitated animals in certain medical experiences.

Folklore Traiditions in the Island of Irwad **By : Munir Kayyal**

Adescription of folk traditions in the Islan of Irwad in the fields of marriage, hunnting, children songs, etc...

Folk Social Anecdotes **By : Omar Sareesi**

Mr. Sareesi continues in this essay his review of folk anecdotes, and analyzes the different types of social anecdotes following his detailed review of humorous tales in a previous article. He sees agreat deal of realism in folk tales.

Folk Food in Southern Palestine **By : Ahmed Abu Arkoub**

Abu Arkoub writes about different meals prepared by Bedouins in Southern Palestine in view of the local environment He also covers traditions and beliefs related to food and food's role in folk life.

Mawwal and Ataba **By : Nimr Serhan**

This is a pioneering study in a folk tune that is considered of prime importance in folk music. The Mawwal has its roots in the folk culture of Egypt and Baghdad other than that of Jordan. The author explains the relation between Ataba and Mawwal through original examples,

The Folk Poet Muflih Mobaideen **By : Isa Domour**

A short biography of this famous folk poet from kerak, with a background study of the era in which he lived and the general characteristics of his poetry.

The author also Quotes examples of Mobaideen's folk poetry.

Al-Fonoon Al-Sha'beyya

A Quarterly Journal

for Folklore

Published by

Department of Culture and Arts

Tel. 36391 - P. O. B. 6140

Amman - Jordan

Volume 4, No. 2, Augest 1976

صدر عن دائرة الثقافة والفنون

كتاب

اساطير الاغريق والرومان

تأليف : غوير بر

ترجمة الاديب الشاعر : حسني فريز

يقع الكتاب في ٣٢٨ صفحة

ويتناول الميثولوجيا

(علم الاساطير والخرافات في العالم القديم)

ويعتبر الكتاب اضافة قيمة في مجالات

الفن والجمال

لانه يكشف الرموز ويوضح دلالات الاساطير

التي اعتمدت عليها الآداب العالمية

على مر العصور

والتي كانت مصدراً خصباً من مصادر

الوحي والالهام



جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان